جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الآخر في الفكر الهندوسي وآفاق الحوار

إعداد

زينب رحمت الله سيد كريم

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

[الأديان وحوار الحضارات]

يونيو 2023\ 1444هـ

©2023. زينب رحمت الله سيد كريم. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدَّمة من الطالب/ة زينب رحمت الله بتاريخ 17 مايو 2023، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

الأستاذ الدكتور يوسف بنلمهدي

المشرف على الرسالة

_____

الأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش

مناقش

_____

الأستاذ الدكتور معروف باوا

مناقش

_____

الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد زين

مناقش

_____

تمّت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

زينب رحمت الله، ماجستير في برنامج الأديان وحوار الحضارات:

يونيو 2023.

العنوان: الآخر في الفكر الهندوسي وآفاق الحوار.

المشرف على الرسالة: الدكتور يوسف بنلمهدي.

ماهي مكانة الآخر في الفكر الهندوسي؟ تحاول الدراسة الإجابة على هذا السؤال من خلال النصوص المقدسة الهندوسية المختلفة، ومن خلال أفكار بعض المصلحين، مثل: راماا كريشنا، وفيفيكأنند، والمهاتما غاندي، ثم تبحث الرسالة في واقع الآخر المسلم والمسيحي والهندوسي في الهند اليوم في ظل الهندوسية السياسية (الهندتوا)، كما تبحث الدراسة في كيفية توظيف قيم الهندوسية في توسيع آفاق الحوار الديني الإسلامي الهندوسي، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أن التقاليد الدينية الهندوسية لا تقدم نظرة واضحة وموحدة، وهو ما يسمح للهندوسية القومية باستغلال بعض تعاليم الهندوسية لاضطهاد الآخر ورفض التعايش معه، حيث نجد أن معاناة المسلمين والمسيحيين وغيرهم في الهند سببه الهندوسية القومية ومشروعها السياسي الذي يهدف إلى إنشاء أمة هندوسية منغلقة، وبناء عليه توصلت الدراسة إلى ضرورة دراسة مصادر الفكر الهندوسي دراسة تأصيلية فاحصة؛ تنقد قيم الإقصاء ورفض الآخر من جهة، وتبرز قيم الحوار والتعايش من جهة أخرى، ولعل تجربة حكم المسلمين في الهند من أهم التجارب التي تساعد على تحقيق ذلك شريطة تخليصها من التشويه الذي طالها من الدراسات المتحيزة.

ABSTRACT

The other in Hindu thought and the prospects of dialogue

What is the place of the other in Hindu thought the study answers this basic question of research, through various Hindu sacred texts, and through the ideas of some reformers, such as: Rama Krishna, Vivek Anand, Mahatma Gandhi. Stedi then examines the reality of Muslims, Christians and other Hindus (shuder and Dalit) in India today under political Hinduism (Hindutu), the study also examines how to employ the values of Hinduism in expanding the horizons of Muslim-Hindu religious dialogue, The study has reached important results, including: That Hinduism views the other with a receptive and positive view, that the reason for the suffering of the other in India is caused by political Hinduism aimed at creating a Hindu nation, and that the horizons of religious dialogue in India can be expanded through many values of Hindu thought that support religious dialogue in India.

شكر وتقدير

"شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (سورة النحل: 121)

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، الذي مَنَّ عليَّ بإنجاز هذه الرسالة بتوفيقٍ وهِبةٍ منه.

ومن باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله أتوجَّه بالشكر الجزيل إلى جميع من كان له فضلٌ عليَّ في إتمام هذا البحث بدءًا من مشرفي الدكتور يوسف بنلمهدي على ما بذله من سعيٍ في سبيل توجيهي وتعليمي، وقد تشرفت أولًا بأن أكون طالبته في برنامج الأديان وحوار الحضارات، وتشرفت ثانيًا في أن يشرفَ على رسالتي، وأدعو الله العظيم أن يجزيه عني خير الجزاء على وقته وجهده وصبره وكرمه وتشجيعه وفكره الذي لم يبخل به قط.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور الفاضل عبد القادر بخوش الذي لم يتوانَ عن تشجيعي وتوجيهي، والشكر موصول أيضًا إلى الدكتور أحمد زايد الذي لم يتردد في تزويدي بالمعلومات وفي توجيهي.

وأتقدم بشكر وعرفان خاص إلى الدكتور ظفر الإسلام خان الرئيس السابق للجنة دلهي للأقليات، والدكتور شمس الإسلام الأستاذ المتقاعد من جامعة دلهي، والدكتور الشيخ إعجاز شاهين أمين عام منظمة السلام العالمي، والدكتور محمد ثناء الله الندوي أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة علي كره الإسلامية، على ما قدموه من وقت وجهد لتوجيهي، ولتوفير المراجع والمصادر لرسالتي، وفي شرحها وتبسيطها واختيار الأفضل منها.

كما أتقدم بالشكر إلى كافة أساتذتي، وإلى كل من علمني حرفًا وزودني علمًا، وساهم في إنجاز هذه الرسالة.

ولا أنسى أن أشكر عائلتي وزميلاتي وكليتي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية التي منحتني الكثير، وتركت في حياتي أثرًا لا يُمحى، ولن يوفي حقَّها أيُّ عرفان.

الإهداء

اليوم أطوي خلاصة مشواري في هذه الرسالة، وأُهديها إهداءً خاصًا، إلى من بارَكَانِي بدعائِهما، وساندانِي ولم يبخلا عليَّ بشيء، والدي الكريم السيد رحمت الله سيد كريم، وإلى والدتي السيدة آمنة محمد صالح، حفظهما اللهُ تعالى.

كما أهدي عملي المتواضع:

إلى جدي السيد\ سيد كريم، السيد\ صالح محمد، وإلى جدتي السيدة\ جول نامة، السيدة\ بي بي رقية

إلى نعمة ربي وهبته الغالية الصغيرة أختي سجود رحمت الله، والغالية ابنة أخي خديجة

إلى إخواني وأخواتي وأبنائهم كلٌّ واحدٍ باسمِه، وإلى زوجة أخي

وإلى من شجعني وساندني دائمًا زوجي محمد.

إلى أستاذي الذي أشرف على رسالتي الدكتور يوسف بنلمهدي.

وإلى كل من سقط سهوًا دون أن أنسى جميع أساتذتي الكرام.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....هـ

مقدمة 1

مدخل تمهيدي.....12

الفصل الأول: الآخر في الفكر الهندوسي والعنف.....35

المبحث الأول: العنف في المجتمع الهندي في الفترة المعاصرة (الهندتوا والآخر).....35

المبحث الثاني: أنواع الآخر في الفكر الهندوسي.....54

المطلب الأول: الآخر المسلم في الفكر الهندوسي.....54

المطلب الثاني: الآخر المسيحي في الفكر الهندوسي.....71

المطلب الثالث الآخر أصحاب الطبقات الدنيا في الهندوسية (الشودر والداليت).....79

الفصل الثاني: الآخر في الفكر الهندوسي.....104

المبحث الأول الآخر في النصوص الهندوسية المقدسة.....104

المطلب الأول: وحدة الإنسانية وتكريم الآخر.....104

المطلب الثاني: قيم التعايش من خلال النصوص المقدسة.....120

المبحث الثاني: الآخر في الفكر الهندوسي الحديث.....135

المطلب الأول: الآخر في فكر راما كريشنا (1836- 1886).....135

المطلب الثاني: الآخر في فكر سوامي فيفيكأنند (1863-1902).....145

المطلب الثالث: الآخر في فكر المهاتما غاندي (1869_1948).....163

الفصل الثالث: أثر تصور الفكر الهندوسي للآخر على الحوار الديني.....181

المبحث الأول: تحديات الحوار الديني في الهند.....181

المطلب الأول: التحديات المرتبطة بفهم الدين وأنماط التدين.....181

المطلب الثاني: التحديات القومية والمجتمعية.....195

المبحث الثاني: نماذج من القيم الهندوسية الداعمة للحوار والتعايش.....209

المطلب الأول: قيم التعايش وتكريم الآخر.....209

المطلب الثاني: قيم الإحسان وإنصاف الآخر.....230

خاتمة:.....247

التوصيات:.....249

قائمة المصادر والمراجع.....251

المراجع والمصادر باللغة العربية:.....251

المراجع والمصادر باللغة الأوردية:.....253

المراجع والمصادر باللغة الإنجليزية.....254

مراجع المواقع الإلكترونية:.....260

بسم الله الرحمن الرحيم

الآخر في الفكر الهندوسي وآفاق الحوار

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

تعدّ الهند منذ قديم الزمان نقطة تلاقي أجناس وطوائف وعناصر حضارية مختلفة، وقد حاولت الهند على مرِّ التاريخ التوفيقَ بين هذا التنوع الذي تعيش فيه، وتعدّ الحضارة الهندية من أقدم الحضارات المستمرة حتى الآن، وعلى الرغم من أنها عاشت صراعات مختلفة إلا أنها وفِّقت في النهاية إلى احتواء التنوع الثقافي والديني الذي تعيشه، وقد تسارعت كل ديانة وحضارة فيها إلى السيادة والسيطرة عليها، إلا أنها نجحت في استيعابها وصياغتها على النحو الذي تريده، وحققت أخيرًا بذلك أرقى حضارة وصلت إليها البشرية من خلال مزج الأفكار والعناصر التي احتضنتها.

وقد نجحت بلاد الهند لقرون طويلة في الصمود ضد الآفات والأوبئة والصراعات البشرية، فقد سطرت قصة تكشف السر الكامن وراء الوفاق والتعايش بين التقاليد القديمة والحديثة، والسر الكامن وراء التوحيد والانصهار بين أصحاب الطوائف والأديان والثقافات المتعددة، ولذا ليس من العجيب أن نرى الحضارة والمجتمع الهندوسي وليد التوفيق والتعاون والتعايش.

ونجحت الحضارة الهندية أن تستقبل وتتغذى باستمرار على جميع المكونات الحديثة التي أضيفت إليها ودخلت عليها، فما نراه اليوم في الهندوسية: "سواء في الأفكار والتعابير أو الأساليب أو الفنون أو المؤسسات السياسية أو العادات الاجتماعية، لا تتعدى شيئًا عن كونه مزيجًا من عناصر وتراكيب مختلفة"[1].

والهندوسية في حقيقتها تتكون من طقوس ومعتقدات وممارسات متباينة، جُمعت خلال قرون طويلة، تتكون من تقاليد ومعتقدات الشعوب الأصلية، بالإضافة إلى معتقدات الشعوب الآرية التي هاجرت إلى شبه القارة الهندية من آسيا الوسطى، وتعرضت إلى عدد كبير من الظروف التي أدت إلى تطورها وتغيرها.

وتعد الحضارة الهندية من أقدم الحضارات على الأرض بحيث توازي الحضارة البابلية والآشورية واليونانية، ومع ذلك لا يمكن عرض معلومات مفصّلة عن تلك الفترة، يقول غوستاف لوبون: "ليس للهند القديمة تاريخ، وليس في كتبها وثائق عن ماضيها، ولا تقوم مبانيها مقام الكتب ما دامت لا تزيد في القِدَم على ثلاثة قرون قبل الميلاد، ولولا ما في قليل من الكتب الدينية من أكداس الأساطير التي تستشف منها الحوادث التاريخية لظل ماضي الهند مجهولًا، وأقدم المصادر التي يرجع إليها فيها تبين أثر الماضي المفقود أشعار **الويدا** الدينية التي كتبت في أدوارٍ مختلفة، والتي

---

[1] همايون، كبير، التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث، (ترجمة: البروفيسور ذكر الرحمن)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، ط1، 2010م، ص49.

تصل في القدم إلى ما قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد"[2]، إلا أننا نجد الكثير من الآثار التي تكشف عن حضارة عميقة وتكشف تاريخ الحضارة الهندية.

إن الهندوسية الآرية تحوي وتحتضن مختلف العقائد والاتجاهات والميول، حيث إنها تؤمن بالوثنية والتوحيد ووحدة الوجود واليوجية والتقمص والتناسخ والإلحاد وإثبات الذات، وتتجاوب مع جميع العقائد الأخرى بما فيها توحيد الإسلام وتجارب الصوفية الإسلامية، متمثلة في حركتي البهاكتي والويدانتية لشنكر أشاري (788–820م)، وهذا سر استمراراها وتفوقها على مدى القرون دون اندثار أو اختفاء، حيث إنها لم تتسم بالتصلب والرجعية ولم تتعصب لأية نزعة دينية، بل سارعت إلى احتضان كل نظرية ودين والتعديل فيه وفق مصالحها، فمن ناحية أثرت وتأثرت بوحدة الوجود والبهاكتية، ومن ناحية أخرى لم تنكر وتحارب الوجودية والإلحاد، واحتضنتها كتجربة إنسانية ينبغي استمرارها، كما أنها عند ظهور البوذية اقتربت منها، وأثرت فيها وتأثرت بها على الرغم من أن البوذية ظهرت كرد فعل ضد الهندوسية، ولهذا لم تستطع البوذية القضاء على الهندوكية، وبعد الاحتلال الإنجليزي في مستهل القرن التاسع عشر احتضنت الأفكار الغربية وحضارتها دون مقاومة، وبدأ الهندوس يتعلمون في الجامعات العصرية وانكبوا على دراسة علومها وفنونها، ولهذا تفوق الهندوس على المسلمين علميًا، في حين أن المسلمين في الهند اتخذوا موقفًا عدائيًا من

[2] لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هندوي، 2017م، ص205.

الحضارة الغربية، ولولا حركة **السيد أحمد خان** التي حثت على الإقبال على التعليم الحديث والغربي، لتخلف المسلمون زمنًا طويلًا في مجال التعليم الأوروبي العصري.

ولعقود طويلة تناولت دراسات مختلفة وقضايا الحوار والتعايش والتعدد الديني والحرية الدينية مع الآخر، وعلى الرغم من أن معظم هذه الدراسات تجاهلت الفكر الهندوسي الذي يزخر بنصوص مقدسة وأدب وفلسفة تُقدَم الآخر بشكل عميق وفلسفي، بل إن العمل على استغلال الدين لبثِّ العنصرية والإرهاب خلق اعتقادًا بمدى مساهمة الدين في تأسيس السلام والتعايش والتفاهم في المجتمع.

ولأجل ذلك تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الفكر الهندوسي من خلال نصوصه المقدسة وأدبه؛ للبحث في موقف الآخر في الفكر والمجتمع الهندوسي. الهندوسية ديانة تحتضن عددًا هائلًا من الآلهة والمذاهب فيها، وتنبثق منها ديانات أخرى كالبوذية والجينية، ولكنها ليست محل البحث هنا، حيث إن هذا البحث يقتصر على معرفة مكانة الآخر في الهندوسية فقط.

إشكالية البحث: الفكر الهندوسي فكر يسعى إلى تحرير الهندوسي من الماديات ومن الحياة الدنيوية، ويسعى إلى أن يحقق الهندوسي حريته من خلال الوصول إلى الكائن الأسمى، ويتطلب ذلك منه أن ينظر إلى الآخر نظرة تحقق له التحرر، ولكن إذا نظرنا إلى واقع المجتمع الهندي اليوم نجد أنه يتعامل مع الآخر بعدوانية وعنف ولا يتقبل وجود الآخر المختلف عنه، وتكمن إشكالية البحث في معرفة مكانة الآخر في الفكر الهندوسي من خلال الكتب المقدسة والأدب

الهندوسي، ومن ثم دراسة أثر الهندوتوا على صورة الآخر، وأخيرًا معرفة أبرز القيم التي يمكن الاعتماد عليها لتعزيز الحوار.

وإشكالية الدراسة الأساسية تكمن في سؤال رئيس: ما صورة الآخر في الفكر الهندوسي، وما أثر ذلك في الحوار الديني؟

ومن هذا السؤال الأساسي تتفرع أسئلة فرعية، هي:

– كيف تشكلت صورة الآخر في النصوص المقدسة الهندوسية، وفي فلسفات وفكر أبرز المصلحين؟

– هل صورة الآخر في الفكر الهندوسي هي ذاتها صورة الآخر في الهندوتوا؟

– ما انعكاسات أفكار الهندوتوا والقومية الهندوسية على الآخر؟

– ما أبرز القيم التي يمكن الاعتماد عليها لتعزيز الحوار الديني الإسلامي الهندوسي؟

أهمية البحث:

– اكتشاف الأصول الدينية للفكر الهندوسي في نظرته للآخر.

– الكشف عن صورة الآخر في الفكر الهندوسي بالاعتماد على النصوص المقدسة، وعلى نصوص وأفكار نخبة من المعلمين والمصلحين.

– عرض وبيان أثر الهندوسية القومية على صورة الآخر في الهند الحديثة والمعاصرة.

– الإسهام في بناء أرضية تمهد لتفعيل وتعزيز الحوار الإسلامي الهندوسي.

أهداف البحث:

- دراسة موقف الفكر الهندوسي من الآخر من خلال نصوصها المقدسة وفلسفتها وثقافتها.

- الكشف عن دور التعددية الدينية والثقافية والمواقف التاريخية في تكوين موقف الفكر الهندوسي نحو الآخر.

- استخلاص الرؤية الشمولية للفكر الهندوسي إلى الآخر، ومقارنتها مع رؤية القومية الهندوسية (الهندوتوا) إلى الآخر.

- تعزيز القيم التي من شأنها أن تؤدي إلى فتح آفاق جديدة للحوار الإسلامي الهندوسي.

فرضية البحث: يفترض البحث أن موقف الفكر الهندوسي الأساسي من الآخر، ليس سلبيا بشكل عام، إلا أن صعود تيار القومية الهندوسية أجج الكراهية والعنف والتمييز نحو الآخر، وذلك من خلال التأثر بأفكار الاستعمار الإنجليزي، وما زرعه من بذور التفرقة والكراهية إبان استعماره للهند وحتى بعد خروجه.

حدود البحث: يتقيد البحث بحدود موضوعية يركز فيها على النصوص المقدسة للديانة الهندوسية مع أبرز الشخصيات الذين كان لهم أثر في تكوين الموقف نحو الآخر: شري راما كريشنا، سوامي فيفيكأنند، والمهاتما غاندي.

الدراسات السابقة:

عند تناول الدراسات السابقة، لم تجد الباحثة دراسة بهذا العنوان، ولكنها عثرت على الدراسات التي تتقاطع جزئيًا مع موضوع الدراسة، وهنا عرض لأبرز هذه الدراسات:

كتاب: الخمسينية والتبشير والعنف ضد المسيحيين في الهند المعاصرة لتشاد بومان[3]:

لماذا يتم استهداف الخمسينيين بشكل غير متناسب في العنف المعادي للمسيحية في الهند؟ هذا هو السؤال الذي يسعى تشاد بومان إلى استكشافه، ولا يهتم بومان كثيرًا بالعنف الطائفي العرضي الذي يشارك فيه المسيحيون، حيث سلط الضوء أكثر على العنف الروتيني الأقل تغطية، والذي يعاني منه المسيحيون الخمسينيون، في المناطق الريفية في الهند. ويتألف هذا العنف من الاعتداء البدني والإكراه والاعتداء النفسي بشكل عام، ويبدو أن المحرضين على هذا العنف مرتبطون بـ RSS.

وكما هو واضح من مضمون الكتاب وإشكاليته، فهو يتحدث عن فئة محددة بينما بحثي يخص مجال الهند التاريخي والثقافي والحضاري بصفة عامة، مع التركيز على الإسلام والمسلمين.

كتاب: الحرية والتحول الجماعي في الهند، للورا جنكيز[4]:

تعرض لورا حقيقة أن التحديات التي تواجه حركات التحول الجماعي إلى المسيحية والبوذية واليهودية في الهند اليوم ليست جديدة، وإنما هو أمر متجذر منذ العصور السابقة، وذلك من خلال دراستها وتتبعها تاريخ التحول في الهند، ولا يعني ذلك أن القوميين الهندوس غير متورطين في ذلك، ولا يعني أيضًا تخفيف ذنبهم بالاستخفاف بالحرية الدينية.

---

[3] Bauman, Chad M, Pentecostals, proselytization and anti, Christian violence in contemporary India, Oxford University Press, New York, 2015.

[4] Jenkins, Laura Dudley, Religious Freedom and Mass Conversion in India, University of Pennsylvania Press, 2019.

يقدم الكتاب تحليلًا مفصلًا عن العلاقة بين الدين والدولة وحقوق المواطنة، ويوضح أن قوانين الحرية الدينية لم تعد كافية لحماية الأقليات، وإنما يجب أن تكون هناك مساواة إلى جانب الحرية، كما يوضح تعسف الدولة في تحريم الأقليات من ممارسة حقوقها الدستورية، كما يظهر أهمية الروايات المضادة في تفكيك (المؤامرات الرئيسية) وإحداث التحول السياسي، بالإضافة إلى إطاره التحليلي الذي يفهم ببراعة كلًا من روايات التحول والحرية الدينية.

كتاب: المسيحية في الهند: التحول والتنمية المجتمعية والحرية الدينية [5].

يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من المقالات التي تناقش القضايا المثيرة للجدل في الهند، كالقومية الهندوسية، والحرية الدينية والعنف ضد الأقليات، والمساهمة المسيحية، والتحول، وهو عبارة عن جهد كبير يوضح الصعوبات التي تواجهها الكنيسة في الهند في الوقت الذي انتشرت فيه القومية الهندوسية، التي تهدد العلمانية والحرية الدينية في الهند، وكيف أن الهندوتوا ترفض الاعتراف بالتنوع الديني في المجتمع الهندي، وهي مقالات كتبها باحثون هنود وغربيون.

هذه الدراسات وإن كانت تتقاطع مع موضوع دراستي في بيان التمييز والعنصرية ضد المسيحيين والداليت والمسلمين في الهند، إلا أن كل كتاب يرتكز على دراسة فئة معينة ويعرض التمييز والعنصرية التي تتعرض لها الأقليات بالتركيز على معاملة القومية الهندوسية، أي أنها تعرض صورة عامة للعنف والتمييز الذي يتعرض له الآخر، وعدم وضوح قوانين التحول والحرية الدينية،

---

[5] Samuel Shah, Rebecca and Joel Carpenter, Christianity in India: Conversion, Community Development, and Religious Freedom, Fortress Press, 2018.

دون التطرق إلى بيان موقف الفكر الهندوسي من الآخر. بينما تختص هذه الدراسة في بيان موقف الفكر الهندوسي من الآخر من خلال النصوص المقدسة والفكر الإصلاحي.

صعوبات البحث: تتمثل أبرز الصعوبات في البحث:

– صعوبة التعامل مع النصوص المقدسة في لغتها الأصلية، الأمر الذي أدى إلى الاقتصار على النصوص والمصادر المترجمة إلى اللغة الأوردية والإنجليزية، بالإضافة إلى أن بعض المصادر المترجمة إلى اللغة العربية احتوت على بعض الأخطاء التي أدت إلى سوء فهم النصوص، الأمر الذي تطلب ضرورة الرجوع إلى النصوص باللغة الأوردية والإنجليزية.

– قلة الدراسات العربية والإسلامية التي اعتنت بالنصوص المقدسة الهندوسية وشرحها وتفسيرها، بالإضافة إلى قلة الدراسات في الفكر الهندوسي والدراسات المتعلقة بالشخصيات المهمة والمصلحين الذين لهم أثر كبير ليس في الهند فقط وإنما في العالم أيضًا، عدا المهاتما غاندي الذي حصل على نصيب كبير من الدراسات العربية.

– ضخامة وكثرة النصوص المقدسة والنصوص الأدبية وصعوبة فهمها، الأمر الذي تطلب ضرورة البحث في شروحها وتفاسيرها للتأكد من وضع كل نص في مكانه الصحيح بما يتناسب معه.

– صعوبة الوصول إلى بعض المصادر والمراجع، والذي تطلب التواصل مع متخصصين في الهند للحصول عليها.

منهج البحث: استخدمت الباحثة عددًا من المناهج التي أسهمت في الإجابة عن أسئلة البحث، وهي كالتالي:

– المنهج الوصفي المقارن: وظفته في عرض الأسس المرجعية للفكر الهندوسي وخصائصه.

– المنهج الاستقرائي التاريخي: وظفته في تتبع تطور الأدب الهندوسي المقدس، والفكر الديني المصاحب له، بما يتناسب مع أهداف الدارسة.

– اعتماد المقاربة التحليلية في دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا، فهو إذًا يتلخص في عمليات ثلاث، قد تجتمع كلها أو بعضها في العمل الواحد، وقد تنفرد إحداها ببناء البحث، وهي حسب الترتيب: (التفسير) وقد عبرنا عنه بالتفكيك، (النقد) وقد عبرنا عنه بالتقويم، (الاستنباط) وقد عبرنا عنه بالتركيب.

خطة البحث: لمعالجة إشكالية البحث: ما موقف الفكر الهندوسي من الآخر، وأثر ذلك في الحوار الإسلامي الهندوسي؟ تتكون الدراسة من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، حيث تناولت الباحثة في المقدمة الإطار النظري، الذي يحتوي على: فكرة عامة عن الدراسة، أهداف الدراسة، أهميتها، وإشكالية الدراسة، وحدودها، والمناهج التي اعتمدت عليها الباحثة، بالإضافة إلى الدراسات السابقة. يبدأ البحث بمدخل تمهيدي، ثم الفصل الأول، وبحثت الباحثةُ في الفصل الأول الآخرَ في الفكر الهندوسي والعنف، وقد قسمت الفصل إلى مبحثين، فدرست في المبحث الأول القوميةَ الهندوسية (الهندتوا) والعنف ضد الآخر، بينما درست في المبحث الثاني أنواعَ الآخر في الهندوسية.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الباحثة الآخرَ في الفكر الهندوسي، وقسمت الفصل إلى مبحثين، فدرست في المبحث الأول الآخرَ في النصوص الهندوسية المقدسة، وفي المبحث الثاني درست الآخرَ في الأدب الهندوسي.

وفيما يخص الفصل الثالث فقد درست فيه الباحثة أثرَ تصور الفكر الهندوسي للآخر على الحوار بين الأديان، وقسمت الفصل إلى مبحثين، تناولت فيه في المبحث الأول تحدياتِ حوار الأديان في الهند، بينما تناولت في المبحث الثاني نماذجَ من القيم الداعمة للحوار والتعايش.

وأخيرًا تعرض الباحثةُ خاتمةً للدراسة تحتوي على أبرز نتائج البحث، وتوصيات البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

مدخل تمهيدي

أولًا: تعريف بمصطلحات البحث.

1- الهندوسية: هو الاسم الذي يُطلق على تقاليد وعادات وأخلاق الهندوس، والتي أطلق عليها أيضًا البرهمية نسبة إلى (براهما) الذي يعدّ مجدد الهندوسية، وإله الخلق والقوة العظيمة، ومنه اشتق اسم طبقة البراهمة[6].

كما أن الهندوسية لم تنسب إلى مؤسس معين كغيرها من الأديان السماوية والوضعية؛ لأنها ديانة تكونت من تجارب شعوب مختلفة كوَّنت الفكر الهندوسي[7]. ومن الصعب تعريف الهندوسية أو القول بالتأكيد ما إذا كان دينًا أم لا بالمعنى المعتاد، فهو يعتنق العديد من المعتقدات والممارسات والتي غالبًا ما تكون متعارضة ومتناقضة مع بعضها البعض[8].

2- الآخر.

لغة: عرفه ابن منظور بأنه: "اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة؛ لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر، أويخر، وقوله تعالى: "فآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا"،

---

[6] نومسوك، عبد الله مصطفى، البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، 1999م، ص71.

[7] الأعظمي، محمد ضياء، دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، مكتبة الرشد، ط2، 2003م، ص528- 529.

[8] Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India, Meridian Books Limited, London, 1956, P60.

فسره الفراء قائلًا: "معناه آخران من غير دينكم من النصارى واليهود"، والجمع بالواو والنون، وأخريان وأخر. وحكى بعضهم: أبعد الله الآخر، ويقال: لا مرحبا بالآخر أي بالأبعد"[9].

اصطلاحًا:

الآخر في أبسط صورة: نقيض الذات "الأنا"، فهو موجود خارج الذات مستقلًا عنه، وموضوع الآخر له مكانة بارزة كونه موضوعًا جدليًا مرتبطًا بموضوعات الأنا (الذات)، والآخر الذي هو يأتي بالسلب والإيجاب، فإما أن نعيش معه قرابة صداقة وجوار، أو منافسة وكراهية وخصومة، وتتحدد هذه العلاقات بتنوع واختلاف التجارب التي يتم خوضها[10].

ويعرفه مصلح النجار وآخرون أنه: "فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو (الأنا)، فإذا حددنا هوية الأنا كان الآخر فردًا أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عامل التمايز، وهو تمايز إطاره الهويَّة أحيانا والإجراء في أحيان أخرى"[11].

ومفهوم الآخر هنا مرتبط بفهم الذات، فالذات هي التي تحدد الآخر، حيث تصدر المعايير التي تحدد من خلالها الآخر، ومن خلال ذلك تحدد موقفها الأخلاقي من الآخر، سواء كان موقفًا سلبيًا أو إيجابيًا، فالمسيحيون بالنسبة للمسلمين _على سبيل المثال_ ليس مجرد آخر جغرافي

---

[9] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3- 1414هـ، ج4، ص13.

[10] بنسالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2019م، ص5.

[11] مصلح النجار وآخرون، الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الكولونيالية، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م، ص51.

وديني، وإنما هو آخر أخلاقي أيضًا، وكذا هو الحال بالنسبة للمسيحيين في نظرتهم إلى الآخر المسلم.

فالآخر إذًا يتحدد باتجاهين: معرفي، وهو الذي يتحدد من ويكون هوية الذات، والاتجاه الآخر هو اتجاه أخلاقي، الاتجاه الذي يكتسب من خلاله الآخر مكانته وموقعه في حياة الذات، بحيث يحتل إما موقعًا مقبولًا أو مرفوضًا.

ومع تعدد التعريفات عن الآخر بحسب المجال الذي يدرس فيه إلا أننا سنعتمد في هذه الدراسة على الآخر المختلف دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا. والآخر يسمى بالهندية:
viruddh[12]/any/doosra [13]، و"الغير" في نظر الهندوتوا اليوم هم المسلمون والمسيحيون، ولكن من الناحية التاريخية والدينية "الغير" في نظر الهندوس هو "شودرا" shudra، وطبقات المجتمع الوضيعة التى هى خارج النظام الطبقي الهندوسي، وما عدا هذه الطبقات الوضيعة ممن هم ليسوا جزءًا من النظام الطبقي الهندوسي.

[12] Wisdom Library, Viruddha: 22 definitions, Viewed: 1\10\2022. https://2u.pw/umcynHq

[13] Rekhta Dictionary- Meaning of Gair in English, Hindi & Urdu- 1\10\2022 https://2u.pw/TNlVu1q

3- الهندوسي:

من أجل معرفة الآخر في الهندوسية لا بد من معرفة من هو الهندوسي؟ ولا بد من التفرقة بين الهندوسي التقليدي الملتزم، والهندوسي القومي.

كلمة هندوسي لا تعبر عن شعب وجنس معين، لأن الهندوسية تضم أعدادًا مختلفة من الأجناس، وبالتالي فهي لا تعبر عن قومية معينة، ويمكن القول إن الهندوسي هو: "الذي يتمسك بالتراث الهندوسي، بافتراض أنه مؤهل له وجوبًا وفعلًا، وليس بشكل براني ووهمي"[14].

والتراث الهندوسي هو: "التراث القائم على الويدا، والذي كان دائمًا وأبدًا هكذا، ويجوز استخدام وصف ويدية بشكل مشروع على مكوناته، الذي يكون المعرفة التراثية دون تخصيص"[15].

بشكل مختصر الهندوسي أو البرهمي، الذي يعتنق مجموعة من المبادئ والمعتقدات التي تشكلت عبر سنين طويلة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى العصر الحديث تستند في أساسها على الويدا، يؤمن بعدة آلهة بحسب العمل والظاهرة، وأقصى ما يسعى إليه الهندوسي هو أن يعيش حياة روحية متقشفة ملتزمًا بالمبادئ والقيم والأخلاق التي تحثه عليها واجبه (دَرَهَم أو الداهارما)،

---

[14] رينيه جينو (الشيخ عبد الواحد يحيى)، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية والهندوسية بوجه خاص، تر: عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص130.

[15] مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية والهندوسية بوجه خاص، مرجع سابق، ص133.

إذن سيكون كل شخص لا يتمسك بهذا التراث لأي سبب (غير هندوسي) مثل الجانيين والبوذيين والسيخ، في بحثنا هذا يمكن أن نطلق عليه (الهندوسي التقليدي).

أما الهندوسي القومي فهو: الهندوسي في مفهوم (الهندوتوا) أو الهندوسية السياسية، الذي ينتمي إلى أمة مشتركة (راشترا – Rashtra) وعرق مشترك (جاتي – Jati) وحضارة مشتركة (اللغة السنسكريتية)، فالهندوسي هو الذي يعتبرُ أرض الهند أرضًا مقدسة من خلال العنصرين (الأمة والعرق)، أي أن أرض الهند لا تكون مجرد وطن بالنسبة له، بينما يفسر العنصر الثالث (اللغة السنسكريتية) من خلال كلمة الأرض المقدسة، بما في ذلك السنسكار (sanskaras) والتي تعني العادات والتقاليد والعقائد والطقوس والشعائر والاحتفالات والأسرار المقدسة التي تجعل الأرض أرضًا مقدسة.

بخلاف ما هو معروف تضم الهندوسية القومية المجتمعات التي تعيش في الهند، وإن لم تكن هندوسية، كالجانيين والبوذيين، فالآخر في الهندوسية القومية هو الدخيل من الخارج الأجنبي، كالمسلمين والمسيحيين.

وقفة لا بد منها:

لتوضيح تعريف الهندوسي بشكل أكبر لا بد من ذكر بعض الأمور المتعلقة بالهندوسية هنا.

بحسب دراسة وبحث الباحثة حتى الآن لا يوجد في الأدب والتاريخ القديم ذكر لكلمة (هندوسية) وخاصة في الكتب المقدسة والأدبية المشهورة لدى الهندوس، وليست الكتب المقدسة والأدبية فقط

بل حتى الدستور الهندي لا يحتوي على لفظ (هندوسي)، ففي الأساس الأراضي الهندية هي أراضي (درافيدية) استولى عليها (الآريون) القادمون من آسيا الوسطى، ولذا كان يطلق على السكان الذين سكنوا الهند في الفترة القديمة (الآريون) وليس الهندوس، ولم يكن يطلق على بلاد الهند هذا الاسم حيث كانت تسمى (آريا فرت)، فالهندوسية ليست كلمة دينية في الأصل، ولا يوجد لها أصل والقادة والرؤساء وأصحاب المناصب الذين ينادون اليوم في الهند ويصفون سكان الهند بالهندوس يفعلون ذلك دون اقتباس أصل الكلمة من الكتب القديمة، وينبغي لهؤلاء أولًا البحث واقتباس أصل الكلمة من الكتب القديمة والأساسية لإثبات وجهة نظرهم، ففي كل من (الرامايان والمهابهارت والبهغفت غيتا والأوبانيشاد ومنو سمريتي) نجد كلمة (آري) وليس (هندوسي)، ولهذا ينبغي على أولئك الذين يدعون أنهم هندوس ويدعون إلى تكوين (أمة هندوسية) دراسة الأدب القديم جيدًا، وسيجدون أن الهند أو (آريا فرت) لم يُسَمَّ أبدًا بدولة هندوسية أو حتى الهند وإنما عرف لفترة طويلة باسم (بهارت[16]). وحقيقة لمعرفة متى وأين وكيف ظهرت كلمة (الهندوسية)؟ لا بد من تتبع دراستها تاريخيًا في الأدب القديم، وذلك ليس محل الدراسة. ولكن يمكن القول إن البريطانيين هم أول من قاموا بتشكيل أمة هندوسية[17].

[16] Bhagavad Gita 1: 24

[17] Chakravorty, Sanjoy, The Truth About us: The Politics of Information from Manu to Modi, Hachette India, 2019.

ويمكننا إثبات أن الهندوسية مخترعة حديثًا من خلال التأمل في التفسير الأوروبي لها في القرن الثامن عشر قبل الاستعمار، وفي العصر الحديث قبل الاستعمار كان ينظر إلى الهندوسية كدين وثني. أورد (كينغ Richard King) في كتابه: "صنف المنظور الأوروبي المسيحي الدين الهندي _الهندوسي_ أسفل عنوان يشمل الأديان الوثنية، ومن هذا المنطلق كانت هناك أربعة أديان في الهند: اليهودية، والمسيحية، والماهميون _المسلمون_، والوثنيون"[18]، الأمر الذي أكد عليه (بنتغون Pennington) في كتابه هل تم اختراع الهندوسية؟ إنه: "في وقت ما بين عامي 1789- 1832، خضع التصور البريطاني للتقاليد الهندية لتحول جذري"[19].

فالمجموعة التي كانت موجودة والتي تعرف اليوم بأنها هندوسية كانت في الحقيقة مجموعة مستقلة عن الإسلام والمسيحية وكانت تفتقر إلى التمسك الداخلي، ولنتساءل هنا: إذا كان الدكتور أمبيدكار كان قد نجح في نضاله ضد الهندوسية، ونجح في فصل (الدرافيدية) عن الديانة (الآرية) أو قد نقول (البرهمية)، ونجح بالاعتراف بها كديانة مستقلة عن الديانة (البرهمية)، ما الذي كان سيبقى من الهندوسية، أو بالأحرى هل كنا سنجد الهندوسية على النحو الذي هي عليه اليوم؟ لم يكن فقط غاندي ضد قرار ومطالب الدكتور أمبيدكار وإنما الحكومة

---

[18] Richard King, Orientalism and religion, Routledge, London, 2006- P99.

[19] Brian K, Pennington, Was Hinduism invented?, Oxford University Press, Oxford, 2005- P3.

البريطانية لم تكن على استعداد لتعترف بالديانة الدرافيدية كديانة منفصلة عن البرهمية؛ لأن ذلك كان سيعادي المتعاونين معهم من البراهمة.

يقول (جوهر لال نهرو): " إذا طُلب مني تعريف الهندوسية، سأقول فقط إنه اسم البحث عن الحقيقة من خلال الوسائل السلمية هو الهندوسية، يمكن للرجل أن يطلق على نفسه اسم هندوسي دون الإيمان بالإله، فالهندوسية هي اسم البحث الدؤوب عن الحقيقة، الهندوسية هي دين الحق والبر، الحقيقة هي إلهنا، ولدينا أمثلة على إنكار الإله، ولكن لا يوجد مثال على إنكار الحق"[20].

وقد اعتبر (فيفيكأنند) مصطلح الهندوسية والأمة مصطلحات لم تكن موجودة من قبل حيث يقول: "كانت كلمة "هندوسي" هو الاسم الذي استخدمه الفرس القدماء لإطلاقه على سكان نهر السند، وأطلقوا عليهم اسم (هندو) بدلًا من (سندو)، حيث إن سكان نهر السند لم يكونوا ينتمون إلى ديانة واحدة"[21].

---

[20] Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India– Meridian Books Limited, London, 1956, P82.

[21] Vivek Ananda, Complete Works of Swami Vivekananda, Advaita Ashrama, Calcutta, 1958– P118.

كما يقول الدكتور أمبيدكار أيضًا: "إن الأقاليم والولايات الهندوسية ليس لها تقاليد أو مصالح مشتركة وملزمة، على العكس من ذلك كانت الاختلافات في اللغة والعرق وصراعات الماضي تجبرها على الانقسام"[22].

ويقول الدكتور ذاكر نايك: "وفقا للعلماء الهندوس فإن الهندوسية مصطلح خاطئ. يجب أن يسمى هذا الدين (دارما ساناتان) أي الدارما الأبدية، أو (دارما الويدا) أي الدين الذي يستند على الويدا، وفقا لسوامي فيفيكأنند، يجب أن يطلق على أتباع هذه الديانة اسم (الويدانتيون)[23].

فالهندوسية إذن مجموعة من الممارسات التي تساعد مجموعة من الناس في الاستمرار في حياتهم الاجتماعية والدينية والأخلاقية، وتضع القواعد والمبادئ التوجيهية حول كيف يمكنهم العيش في وئام مع العالم بما يحتويه من بشر ومخلوقات أخرى، ففي التقاليد "الهندوسية" لا يوجد اسم للدين، فقط (دَرَهَم أو الداهارما)، ولذلك تسمى بالديانة الدارمية.

4- تعريف الفكر الهندوسي.

---

[22] Ambedkar, B. R., Writings and Speeches, Dr. Ambedkar Foundation, New Delhi, 2014, Vol 8, P13.

[23] ذاكر نائيک، خطبات ڈاکٹر ذاکر نائیک، طاہر سنز پبلیشرز، لاہور، 2007، ص2-3.

الفكر الهندوسي هو الفكر الذي تكون من عقائد وشرائع والفلسفات الآرية والدرافيدية والبرهمية مع التطورات والإصلاحات والفلسفات التي ظهرت في العصر الحديث.

والفلسفة الهندية تؤمن بالتناقضات وتعترف بها وكأنها مظاهر مختلفة لحقيقة واحدة، وقد نجحت الفلسفة الهندية في ربط أمور الدنيا بأمور الآخرة، وكوّنت عن ذلك تفكيرًا مركبًا، ولهذا تنظر للكون كله بأنه مركب وحقيقة واحدة نجده يعبر عن نفسه بأشكال مختلفة، ولذلك اعتبرت الدين أيضًا حقيقة واحدة تتجلى في مذاهب وطوائف مختلفة، واكتسبت روحًا من التسامح والمرونة على مر العصور، وسمحت للمعتقدات الأخرى بأن تتغلغل وتؤثر فيها، ولهذا يتولد الفكر الهندوسي من شرائع وعقائد وتوافق واستيعاب عناصر وموارد عديدة مختلفة سواء كانت قديمة أو حديثة[24] .

مفهوم الفكر الهندوسي يقوم على أن الإنسان هو ملك نفسه، وعلى الإنسان الهندوسي أن يفهم ذلك فقط، حتى ينال الحرية الأبدية ويتحرر من العبودية، ويقوم أيضًا على أن حقيقة الحياة تنص على أنه لا يوجد أي شيء في الحياة يربط الإنسان بأي أفكار، وإنما فقط الجهل للحالة الطبيعية، والحرية تعيق الإنسان وتؤدي به إلى العبودية، الأمر الذي يبقي الحياة في حركة

[24] التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث، ص78.

مستمرة، وهذه هي حكمة (السانكهيا واليوغا) التي تخرج الإنسان من حالة الجهل والعبودية إلى الحياة الطبيعة والحرية الأبدية، وهو الطريق المباشر للتطور.

وتؤمن الهندوسية أن كينونة الروح والوجود في الإنسان، ليسا شيئين منفصلين ومختلفين، ولكننا نرى اختلافهما بسبب اختلاف الجهاز العصبي لدى الإنسان، فنرى كينونة روح ووجود البشر مختلفة عن بعضها البعض بسبب الأجهزة العصبية المختلفة للبشر، وذلك ما يشكل وجهة وشخصية الفرد، فعندما يكون جهاز الإنسان العصبي صافيًا؛ أي أنه لم تزرع فيه أفكار أخرى يتمتع الإنسان بحرية وتكون قوة روح الإنسان وعقله في أقصى درجات الفعالية، بحيث تتمتع بحرية أبدية، وهذا يشبه في الإسلام كل إنسان يولد على الفطرة.

ثانيًا: تعريف بالكتب المقدسة:

1- الويدا:

تعني العلم المقدس في القديم، وتشكل الويدانت موسوعة معرفية شملت المعتقدات القديمة، والتصورات الإنسانية، وطقوس العبادة، والصلوات، بالإضافة إلى التصورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويعدّ الويدات من أقدم النصوص الهندوسية، ولا يعرف تاريخ كتابتها على وجه الدقة، كما لا يعرف مؤلفيها، وتنسب الويدات إلى شخصيات أسطورية، وقد بدأت قبل الميلاد بنحو 1500 أو 2500 سنة، وتم كتابتها باللغة السنسكريتية، وتضم الويدات أربعة

كتب، وهي: (ريج ويدا، ياجور ويدا، سام ويدا، وأترفا ويدا)، ثم جمعها حكيم هندوسي يدعى (ويد فياس) أي جامع الويدا.

المجتمعات التي ذكرتها النصوص الويدية مجتمعات تميزت بطابعي ديمقراطي من خلال الجمعيات والمنظمات الديمقراطية، والتي كانت تمتلك الحق في التحكم في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، ولكن هذه الجمعيات والمنظمات بدأت سلطتها تتراجع مع قيام الإمبراطوريات المختلفة، وكانت تتمتع بمنح أفراد الشعب حرية التعبير والتدين، وكانت معظم المجتمعات مجتمعات زراعية والتي تمكنت من الحفاظ على استقلاليتها حتى يومنا هذا.

وكان التحرر الروحي في هذه المرحلة له علاقة قوية مع طقوس النقاء والتضحية لمختلف الآلهة، ولهذا لا يتلقى الآخر والحرية الدينية في الآرية في هذه الفترة معالجة مكثفة من الناحية الدينية والاجتماعية أيضًا، إلا أننا نجد في الويدا نصوصًا واضحة تحث على التسامح والتعددية الدينية.

2- نصوص الملاحم الهندوسية:

الملاحم هي نوع من الأدب التي تعبر عن رؤية الشعوب، والشاعر الملحمي يعبر بخياله الواسع عن أسرار الحياة، ويسعى من خلال محلمته إلى حياة ذات معنى بأسلوب مشوق، تعكس تجارب متنوعة لحضارة الإنسان وتاريخه.

والملاحم الهندية تحكي صراع الخير والشر، حيث يتمثل الخير فيها في التجسيد البشري للإله فشنو في كريشنا في مهابهارات، رام في رامايان بينما يتمثل الشر في ملحمة رامايان في رافان، وفي ملحمة مهابهارت في شخصيات مختلفة أبرزها دريودهن وخاله شكوني.

وقد لعبت الملاحم دورًا كبيرًا في إيقاظ روح الحب والتضحية والإحساس بالواجب نحو المجتمع والكون بما فيه من مخلوقات في الشعب الهندوسي وساهمت في رفع معنوياتهم، وزرعت فيهم الأخلاق والقيم العالية، ولذلك ما تزال الملاحم أساس التربية الأخلاقية في المجتمع الهندوسي، نجد أن ملحمة المهابهارات ساعدت في دمج الطوائف والأديان أكثر من الرامايان لما تحتويه من تعاليم أخلاقية وقيم عالية.

والعلاقة بين الإله والفرد في فترة الملاحم تتميز بفردية وشخصية أكثر من الفترة الويدية، ففي هذه الفترة قل التركيز على التضحيات والطقوس، وخاصة مع ظهور البهغفت غيتا كنص أساسي يؤكد علاقة شخصية بين الإله والإنسان، نصوص الملاحم ركزت على الآخر وعلى الحرية الدينية لنيل التحرر موكشا، وتشتهر الهندوسية بملحمتين تحتلان مكانة عالية في المجتمع الهندوسي: رمايان، ومهابهارات.

وتعرض الملاحم أن الإنسان بعد إيمانه بالإله تمرد وطغى حتى كفر بالآلهة، وجرى خلف رغباته الشخصية وعاث في الأرض فسادًا وظلمًا، ولذلك تصور الرامايان أن رافن عاث في الأرض والسماء فسادًا، ولتخليص العالم من شره تجسد فيشنو في جسد (رام)، وكذلك في

(المهابهارت) عندما انحرف المجتمع عن الطريق الصحيح، واتجه نحو الضلال، تجسد فشنو في جسد (كريشن)؛ ليعيد التوازن إلى الحياة.

- الرامايان[25]:

كتاب مقدس لدى الهندوس، وهو عبارة عن ملحمة تحكي قصة الملك رام أو راما الذي تجسد فيه الإله فيشنو ليخلص العالم من شرور الشيطان رافان، الذي وعده فشنو أنه لن يتمكن أحد من قتله من المخلوقات سواء كانت آلهة أو شياطين، ويمكن لمخلوق بشري قتله فقط، وقد اختطف رافان سيتا زوجة رام، فخرج رام للبحث عنها، وأثناء ذلك التقى بعدد مختلف وكبير من المخلوقات التي ساعدته في التغلب على رافان واستعادة زوجته سيتا.

الملاحم هي مثال للمثل العليا والقيم الأخلاقية التي تمثل جوانب إنسانية تحمل الدروس والعبر للإنسان، حيث يتجلى في كل موقف منها الصفاء والصدق والعاطفة والمحبة والوفاء والإخلاص والعفو والتسامح والكرم، ونلتمس في أن الملاحم تهدف إلى حث الإنسان على التضحية والقيام بالواجب اتجاه الإنسانية، وذم الأنانية والرغبات الشخصية وتحقيق العدالة في كل حين.

---

[25] ألف (فالميكي) الرامايان عام 500 ق.م، ثم أعاد كتابتها الشاعر كامبان باللغة التاميلية قبل 900م، ثم ترجمها إلى اللغة الإنجليزية الكاتب الهندي (ك.نارايان) في 6 مجلدات، وفي عام 1972 قام باختصارها في كتاب واحد، وعلى الرغم من أن القصة الأساسية تتشابه لدى كلا المؤلفين إلا أنها تختلف في بعض التفاصيل التي تعبر عن معتقدات كل مؤلف، وخاصة في الجزء الذي كان بعد التغلب على رافان، وتم ترجمة الملحمة إلى العربية من قبل د. جوزيف نادر بولس.

فالملك راما الذي تولى العرش كان رحيمًا على شعبه عطوفًا عليهم، وتصف الرامايان كيف عاش الشعب في ظل حكم الملك داشرات والملك راما في طمأنينة ورفاهية، حتى إن الشعب اتخذوا من رام إلهًا وبطلًا أسطوريًا لهم لشدة إعجابهم به وبعدله وبأخلاقه الإنسانية وقوته المعنوية العالية، واعتبر حكم رام افتتاحًا لعصر جديد للبشرية جمعاء.

ويؤمن الهندوس أن راما وزوجته سيتا يمثلان أروع مثال للإنسان الكامل الذي يجب أن يكون عليه الإنسان، والإنسان الذي يبتغي الإنسان أن يعيش حياته معه، حيث تتمثل فيهما الحب والتضحية والعدالة والشجاعة والعفو والمساواة، وهي قيم ومثل إنسانية رائعة يتطلب من الهندوس التحلي بها في حياته اليومية.

كما تمثل سيتا أروع مثال للمرأة الطاهرة النقية التي تحملت كل الظلم بكبرياء ورضا حتى طلبت من الأرض أن تستردها إلى حضنها، فهي مثال المرأة التي تتحمل قسوة وظلم المجتمع دفاعًا عن شرفها حتى وإن تطلب ذلك التضحية بحياتها.

وهكذا كانت نهاية الرامايان، نهاية مأساوية، عبر عن الصراع الذي يحتدم في النفوس بين الحق والتقاليد، وبين الواجب والعدالة، بين الحب والثقة والحكم، حيث عاش رام بعد ذلك في المنفي بعد أن خسر زوجته في سبيل أداء واجباته كملك وحاكم. وبذلك ضرب رام مثالًا عاليًا في المحافظة على العادات والتقاليد بدلًا من الالتفات إلى المصلحة الذاتية، وإن كان من ناحية أخرى تسبب بظلم من نوع آخر، وبذلك تكون الملحمة مجحفة نوعًا ما، وتعكس صورة سلبية عن

الاستسلام للتقاليد بدلًا من التمسك بالحق، إلا أن هدفها الأساسي الذي تعكسه هو المحافظة على الوحدة، وحماية المجتمع من النزاع والفرقة ثبت ووضح بشكل عميق جدًا.

- مهابهارت[26]:

تهتم المهابهارت في الإجابة عن الأسئلة التي تواجه الإنسان في مراحل حياته المختلفة وعندما يواجه الأزمات والعقبات، وتربي الإنسان على كيفية التعامل مع الكون، والمجتمع، والآخر، والحياة والموت.

المهابهارت يعرض عالمًا متكاملًا بكل جوانبه، من خلال شخصيات مختلفة ذات سمات محددة، فنرى يوديهيشتير الذي يسعى للبحث عن العدالة والصدق في عالم يسوده الظلم والطغيان، ونجد في مقابله دريودهن الطاغية الذي يعمي قلبه الطمع والتكبر والأنانية، كما نرى أرجون الذي يسعى بحكمته وعلمه وقوته إلى القضاء على الظلم، ثم نرى دهيتراشتر الملك الأعمى الذي يحاول الموازنة بين المتناقضات ويحاول تحقيق العدالة، ولكنه ينحني أمام ضعفه وحبه لأبنائه، ونجد أيضًا بهيشم الذي يحاول الدفاع وتحقيق النظام والقانون ويسعى إلى استمرار التقاليد، والوفاء بواجبه مهما كانت الظروف، بالإضافة إلى كريشنا الذي يحاول توجيه الجميع إلى

[26] تنسب المهابهارات إلى الحكيم فياس، وتقع في مئة ألف بيت، أي أنها تبلغ ثمانية أضعاف الألياذة والأوديسة مجتمعتين، وليس هناك تاريخ واضح لتأليفها، والأرجح أنها تعود إلى سنة 1000 أو 1500 ق.م، ولم تكن بهذا الحجم في بداية تأليفها ولكنها مع الزمن ومع الإضافات التي أضيفت إليها وصلت إلى ما هي عليها اليوم.

الطريق الصحيح لتحقيق الخير والعدالة والقضاء على الشر،..... وغيرهم العديد من الشخصيات.

وتركز الملحمة على ما مفاده أن راحة وخلاص الإنسان تكمن في القيام بواجبه على أكمل وجه حسب وضعه في العالم، فالإنسان محكوم بعمله الذي يقوم به، حيث تؤكد أن مصير الإنسان مرتبط بعمله الذي يقوم به سواء كان خيرًا أو شرًا.

بالإضافة إلى المجلدات الأخرى إلا أن التركيز في الدراسة كان على المجلد الأخير من الملحمة (شانتي بوران) والتي تعني الهدوء؛ لأنها تحتوي على قيم وأخلاق توجه الإنسان في حياته، فإن كانت (البهغفت غيتا) سبيل الإنسان لتحقيق خلاص الروح والوصول إلى الكائن الأسمى، فإن (شانتي بوران) سبيل لعيش حياة تتصف بالعدل والمساواة والقيم والأخلاق، وحياة منظمة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

ملحمة المهابهارت تحث الإنسان على القيام بواجبه (دَارَهْما) ويجب عليه التمسك به، ولكن على الإنسان معرفة الواجب الذي يقتضيه الحال والزمان، وهذا ما أكد عليه كريشنا أن داهرما الإنسان وواجبه الذي يسيء إلى الآخرين ويعزز الكراهية والعداوة لا يعدّ من داهرما والواجب، وإذا وجد إنسانا يسيء إلى المجتمع ويسيء إلى البشرية فواجب الإنسان يقتضي أن يحمي المجتمع والبشرية، وأن لا يسمح بتعرض الآخرين للظلم سواء كان رجلًا أو امرأة أو كان من طائفة أخرى، ولا يجب عليه في تلك الحالة التمسك بواجبه (دَارَهْما) الخاص به، أو أن يسعى إلى تحقيق

أهدافه الخاصة، لأن ذلك سيؤدي إلى الظلم والكراهية وصراعات أكبر، وقد قصد بذلك عندما تمسك كل من شارك في مجلس القمار بواجبه الخاص به، حيث رأى البعض أنه يجب عليه أداء واجبه كأخ أصغر وكوزير وكحامٍ للعرش وكمعلم..... إلخ، فلم يتقدم أحد في المجلس ليدافع عن دروبتي، الأمر الذي أدى إلى الحرب الكبيرة التي دمرت كل شيء، وهذا النوع من الواجب (دارَهْما) لا يعترف به كريشنا أيضًا.

وقد لعبت الملاحم دورًا كبيرًا في إيقاظ روح الحب والتضحية والواجب في الشعب الهندوسي وساهمت في رفع معنوياتهم، وزرعت فيهم الأخلاق والقيم العالية، ولذلك ما تزال الملاحم أساس التربية الأخلاقية في المجتمع الهندوسي.

3- البهغفت غيتا.

نشيد السعيد (كريشنا)، ونشيد المولى، والاسم الكامل: (شريماد بهغفت غيتا)، ويعني: العقيدة السرية المعطاة في أناشيد المولى، تتألف من ثمانيةَ عشر فصلًا في سبعمائة ألف بيت، عبارة عن حوار بين أرجون وتجسيد الإله فشنو كريشنا.

والكتاب المقدس الذي عرف باسم الإنجيل الوطني الهندي، والذي لعب دورًا كبيرًا في النقاش حول ما إذا كان يجب شن الحرب ضد البريطانيين أم لا أثناء استقلال الهند[27]، وقد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالدين والعنف في الهند.

الغيتا من أهم النصوص الهندوسية، حيث نجد فيها العقائد الهندوسية بأجل صورها وخاصة عقيدة التناسخ، والتي لم تكن راسخة في الفكر الهندوسي قبل ذلك، كما نجد فيها تقديس البقرة، وتصور الغيتا الحياة الدينية والاجتماعية الهندوسية بشكل لم يسبقها به أي كتاب من قبل، من حيث تصحيح المفاهيم الخاطئة التي ظهرت في عصر (اليوبانيشاد)، من خلال شخصية كريشنا الذي نقد الفكر والفلسفة الهندوسية، التي كانت تدعو إلى الحياة السلبية بأسلوب رائع ومشرق، حيث علم أمته معنى العمل والجهد، وعدّه من العناصر المهمة في حياة الإنسان، فلا ينبغي للإنسان ترك الدنيا والابتعاد عنها؛ لأن ترك العمل يعني الاستغناء عن النتائج المترتبة على فعل شخص ما سواء ارتكب فعلًا صحيحًا أو قبيحًا.

كريشنا لم يدعُ أبدًا إلى طريق (البهكتي)، واعتبر طريق العمل سواءً رغب الإنسان بذلك أم لم يرغب طريق الفلاح والخلاص، بالإضافة إلى أنها تؤكد على عقيدة اللاعنف (أهيمسا)،

---

[27] Kapila, Shruti and Devji, Faisal, Political Thought in Action: the Bhagavad Gita and Modern India, Cambridge University Press, UK Cambridge, 2013.

بالإضافة إلى أن التمييز بين الطبقات لم يكن بتلك القوة الذي وجد عليه في العصور التالية، ومع ذلك تحتوي الغيتا على شقين في بيان العنف واللاعنف.

نلتمس ذلك في إجابة كريشنا على سؤال أرجون حين سأله عن القتال، فالشق الأول من الإجابة مستمد من الويدا، وهو أن القتال واجب على أرجون بحسب الطبقة التي ينتمي إليها كونه محاربًا، فواجبه هو القتال والدفاع، أما الشق الثاني مستمدة من الأدفيد فيدانتا، أي نهاية الويدا، وهي كما شرحها (شنكر أشاريا) أن الروح (أتما) هو (البراهما) الإله الأسمى، وهذه هي الحقيقة الوحيدة وما سواه هو وهم (مايا)، وقد كان يؤمن إيمانًا مطلقًا أن اللاثنائية هي لب تعاليم الويدا والأوبانيشاد[28]. وتقوم فلسفته على أن الحق الخالق وما سواه باطل، وأن الإله منزه عن الصفات والكيفيات، وهو وجود ومعرفة حقيقية وليس فقط فكرة، أما العالم فهو مجرد ظاهرة وليس حقيقيا فهو وهم (مايا)، والإنسان في الأصل واحد وتعدد الأفراد هو مجرد وهم، وكذا هو الحال للكائنات الحية الأخرى، وفردية الإنسان هي وهم لأن حقيقته (برهمان)، وبسبب تخلف الإنسان فهو لا يدرك هذه الحقيقة[29].

ذلك يبين لنا أن الهندوسية لا تنظر إلى العنف نظرة دقيقة، لأن ذلك يدعو إلى أحادية الوجود والذي تمنع أن تكون الأخلاق عالمية أي مبنيّة على قيم مرعية، إذ أن ما يقوم به الفرد من فعل

---

[28] Radakrishnan, S., Indian Philosophy. Oxford University Press, 2nd, 2008, P416

[29] تارا شند، أثر الإسلام في الثقافة الهندية، (ترجمة: محمد أيوب الندوي)، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط1، 2016م، ص158.

هو صواب؛ لأنه قد وقع من ذلك الفرد، أي لا معنى للحسن والقبح في الأفعال التي يقوم بها الإنسان، فإذا قتل الإنسان شخصًا ما فإنه يقتل وهمًا فقط وليس إنسانًا حقيقيًا، وإذا أخذنا بذلك فإن ذلك سيفتح أفقًا واسعة لممارسة العنف ضد الآخر تحت حقيقة أنه "وهم" وليس حقيقيًا.

إلا أنها لكونها نصوصا وردت كأشعار يصعب فهمها، ولذلك لا بد من الرجوع إلى تفاسيرها حتى يمكن معرفة المقصود من النص الوارد، ولكتاب (الغيتا) تفاسير كثيرة جدًا، يقول الباحث (سندرلال): "ما من كتاب مقدس حظى بالشروح والتفاسير قدر ما حظى بها (غيتا) إلا القرآن الكريم"[30]، وقد اعتمدت الباحثة على عدة تفاسير، ولكن أهمها تفسير (المهاريشي ماهيش يوغي[31])، الذي يبين في تفسيره سبب ضياع الممارسة الروحية الحقيقية لكتاب (الغيتا) في الحياة الحديثة، ويعود سبب ذلك إلى التفسير الخاطئ للنصوص، وانتشار وجهات النظر التي تسعى إلى تضليل الناس وجعلهم ينحرفون عن الحقيقة.

تفسير (المهاريشي ماهيش يوغي) يتبين فيه تسلسل الكلمات والموضوع والحوار بين كريشنا وأرجون التي تبين تطور الموضوع، وتربط المواضيع والتعاليم ببعضها البعض، وتعالج تعاليم الحياة حتى تلك التي تشعرك بأنها تناقض بعضها البعض، في حين أن معظم التفاسير الأخرى تدور في النقطة ذاتها، وتعيد الحوار ذاته مرة أخرى دون تطور وتقدم، فتشير مثلًا إلى أن

---

[30] سندر لال، گيتا اور قرآن، سندر لال سيكريٹرى هندستانى كلچر سوسايتى اله أباد، 1941- ص15.

[31] ماهيش براساد فارما، ولد عام 1917- 2008، وهو الذي أدخل التأمل التجاوزي (TM) إلى الغرب، كما أحيا الوعي المكرس في الفيدا، ابتعد في تفاسيره عن التقليد، وألف وفسر كتبه بما يناسب العقل والمنطق.

أرجون في كل مرة لم يدرك معنى حديث كريشنا، ولذلك يعود لسؤاله مرارً وتكرارً، الأمر الذي يشعرك أنك تدور في دائرة لا نهاية لها، وأنه لا يوجد ترابط في الحوار الدائر بين الطرفين، إلا أن الحقيقة أن شخصية مثل أرجون لا يمكن أن يكون غير مدركة لحقيقة حديث كريشنا لما اتصف به من حكمة وشجاعة، وإلا فإن ذلك يناقض شخصيته وشخصية كريشنا الذي اختاره من بين الجميع ليكون رفيقه وتلميذه.

4- منو سمريتي[32].

يشرح كتاب منو سمريتي التزامات وواجبات المجتمع وكل طبقة من الطبقات التي تكون المجتمع الهندوسي، كما يغطي مواضيع العلاقات السياسية والاجتماعية، وواجبات وقواعد الملك، ففي جوهرها تناقش الحياة البشرية وطريقة عيشها.

وأكثر ما يركز عليه قانون (منو) هو نظام (فارن) أو النظام الطبقي في المجتمع، وبذلك يحتوي على نصوص مثيرة للجدل في حق الطوائف الأدنى، بالإضافة إلى نصوص غير أخلاقية في حق المرأة، على الرغم من أن القصد كان خلق مجتمع منظم يتمحور حو الإله، بسلوك منضبط

[32] قوانين منو، ويسمى أيضًا (دَرَهم شاستر) أحد النصوص الهندوسية المقدسة، ويحتوي على عقائد وتعليمات لإدارة المجتمع، وتعاليم خاصة للنظام الطبقي، يعد من أوائل النصوص السنسكريتية التي ترجم إلى الإنجليزية من قبل (ويليام جونز)، وتم استخدامه في صياغة القانون الهندوسي، قيل أن تاريخه يعود إلى القرن 2 أو 3 قبل الميلاد.

وقوانين صارمة، إلا أنه انحرف عن الأخلاق والمساواة والعدالة البشرية، وبسبب ذلك قام الدكتور (أمبيدكار) بإحراقه عام 1927[33].

لم يتم الاعتماد على هذه النصوص فقط، ولكن كان التركيز الكبير على هذه النصوص المقدسة، وتعود أسباب اختيارنا لهذه النماذج من الكتب المقدسة بالذات دون غيرها من الكتب والفلسفات لما لها من مكانة خاصة في الثقافة والديانة والتعاليم الهندوسية، وتركيزه على ترجمة الواقع والفكر الهندوسي، بكل تشكيلاته الفكرية والثقافية والدينية والعقدية، إذ سنحاول استجلاء الجوانب المخفية من حقيقة الآخر في الفكر الهندوسي، والوصول إلى الحقيقة الشائعة حوله، ومدى ابتعادها أو قربها من الواقع. في السطور القادمة سيتم عرض بعض النصوص الهندوسية التي تبين مكانة الآخر في الهندوسية، تتبعها بعض النصوص من القرآن والسنة النبوية لبيان توافقها مع الإسلام، ولتصديقها، إلا أننا لن نتبحر في النصوص الإسلامية وفي التعاليم الإسلامية كثيرًا.

[33] Madhura Raut- Why Manusmriti Dahan Divas Is Still Relevant Today- 25\12\2016- Viewed: 2\10\2022. https://2u.pw/Gd09Xcu

الفصل الأول: الآخر في الفكر الهندوسي والعنف.

الفكر الهندوسي هو فكر كما أسلفنا يحث في بعض من مصادره على العنف، ويختلف أحيانًا ذلك باختلاف تفسير النصوص المقدسة، إلا أن هذا العنف بدأ يتزايد مع ظهور الهندوسية السياسية أو ما عرفت باسم (الهندوتوا)، التي بدأت تمارس العنف ضد الآخر بشكل كبير. وهذا المبحث يجيب على: كيف ظهرت هذه الحركة؟ ولماذا ظهرت؟ وما هي أهدافها؟

المبحث الأول: العنف في المجتمع الهندي في الفترة المعاصرة (الهندوتوا والآخر).

الهندوتوا هي حركة سياسية ظهرت في الهند وتهدف إلى إنشاء أمة هندوسية، وقد قامت الحركة بنشر دعايات وإشاعات بأن المسلمين والمسيحيين في الهند استولوا على حقوق الهندوس، وأنهم خطر على الثقافة والديانة الهندوسية، ومن خلال استغلالها لقضية المسجد البابري نجح الحزب في احتلال المرتبة الأولى بين الأحزاب الهندية، وهو الحزب الذي حكم الهند منذ عام 1999م إلى عام 2004م، كما أنه الحزب الذي يحكم الهند منذ عام 2015م.

ظهر مصطلح الهندوتوا مع كتاب **سافاركار** بعنوان (الهندوتوا) عام 1923م، واعتبر كتاب سافاركار كتابًا مقدسًا لدى منظمة أو حزب **بهاراتيا جانتا** عندما تولى **غولووكار** رئاسة الحزب، كما اعتبر الكتاب كتابًا علميًا يلبي الحاجة إلى كتاب نصي عن القومية الهندوسية[34].

نشأت الهندوتوا على يد **كيشاف بالراما هيدغيوار** – Keshav Baliram Hedgewar، وهي رابطة حاولت دمج القيم الهندوسية التقليدية بالقيم الغربية، وحاولت بناء شخصية هندوسية على أخلاق الخدمة والتي تتأسس على الولاء والانضباط والاحترام للتراث الهندوسي، واعتبر التنظيم المحارب شيفاجي من القرن السابع بطلًا ورمزًا له، والذي بفضله تمكنت الهندوسية من قيادة ثورة ناجحة ضد المغول عندما حول طبقة المزارعين إلى جنود جيش موحد، وقد تعهد تنظيم رابطة المتطوعين الوطنية بتطبيق ذلك في الهند أثناء الاستعمار البريطاني[35]. وقد أكدت تعصبها وعدم تسامحها ضد المسلمين والبوذيين الشرق آسيويين.

كان هيدغيوار ناشطًا سياسيًا متأثرًا بفكر فينياك دامودار سافاركار، وكتابه الهنودتوا، والذي اعترف فيه بالهند كأرض مقدسة[36]، ولهذا يعدّ تنظيم رابطة المتطوعين الوطنية RSS الهند أرضًا وآلهة مقدسة حية بما فيها، ولكنها لقرون عديدة اغتصبت ودنست من قبل الآخرين، ولهذا لا بد من تطهيرها.

---

[34] Keer, Dhananjay, Veer Savarkar, Popular Prakashan, Bombay, 1988, P527.

[35] "Organized Hinduisms", p533-542.

[36] Savarkar, Vinayak Damdar, Hindutva, S.S Savarkar, Bombay, 1969, p1.

وبدأ تقديس سافاركار مع أواخر التسعينات عند صعود حزب بهاراتيا جانتا في السلطة السياسية البرلمانية الهندية، حيث تم تسمية مطار Port Blair باسم V. D. Savarkar عام 2002، وفي 2003 تم وضع صورته في البرلمان جنبًا إلى جنب مع غاندي وغيره من القادة الذين ناضلوا من أجل الحرية في القاعة المركزية للبرلمان[37].

وتهدف الهندوتوا إلى توحيد الفرق والطوائف الهندوسية تحت راية واحدة لتحقق أهدافها السياسية والثقافية، ويعدّ الهندوس السكان الأصليين للهند، ولذلك لا بد أن تكون السيادة السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية لهم، ولا بد لهم أن يهيمنوا على فئات المجتمع الأخرى من المسلمين والمسيحيين، أو يجب عليهم أن يقبلوا العيش كمواطنين من الدرجة الثانية.

يقول سافاركار: "نحن الهندوس ونحب أن نظل كذلك!"[38]، واعتبر أن الاسم الهندوسي هو الاسم الأصلي الذي حمله سكان أرض السند، وأن اسم سندهو هو شكل لاحق، وبذلك يعدّ سافاركار أن كلمة الهندوسية أقدم من كلمة سندهو، بحيث يصعب تتبعها إلى مصدرها الأصلي أيضًا، كما اعتقد أن الهوية الوطنية الهندوسية لن تكون بينة إلا إذا تم إقصاء الإسلام، فالتاريخ المعقد للهند اختزل ليكون صراعًا شرسًا بين الهندوسية والإسلام، وعلى الرغم من أن أغلبية السكان كانوا ينتمون

---

[37] Shamsul Islam, Hindutva; Myth and reality, 25\2\2020, Introduction.

[38] Hindutva, p1

إلى الهندوسية، إلا أنهم كانوا خاضعين للحكم الإسلامي لفترة طويلة، ولذلك أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أقلية مهددة من قبل الآخر المسلم[39].

ويدعي أن أول أمة هندوسية هي الأمة التي حدد حدودها أمير أيوديا راما، حيث كان ذلك اليوم هو الميلاد الحقيقي للشعب الهندوسي واليوم الوطني لها؛ لأن الآريين والأناريين الذين ربطوا أنفسهم في

شعوب ولدوا كأمة، علاوة على ذلك، لخصت وتوجت سياسيًا جهود جميع الأجيال التي سبقتهم، وأرسلت رسالة جديدة ومشتركة وقضية وراية مشتركة حاربتها جميع الأجيال بعدها بوعي أو بغير وعي للدفاع عنها. ويقول سافاركار: وبذلك أصبحت أرضنا تعرف باسم هندوستان، وشعبنا باسم الهندوس، كما لو أنهم يحققون رغبة آبائنا الويداية الذين اختاروا هذا الاسم[40].

ورفض سافاركار القول القائل إن أصل مصطلح الهندوسية والهندوستان يعود إلى المسلمين، ويدعي أن الأمة الهندوسية كانت معروفة قبل ولادة الكريم الرسول محمد ﷺ وقبل معرفة العرب كشعب، وأن العرب لم يكن بإمكانهم اختراع هذا المصطلح والاسم، بل سمعوه من الإيرانيين واليهود والشعوب الأخرى، متحججًا أن المسلمين كانوا يطلقون عليهم كفارًا أيضًا، إذا لماذا لم يتبنوا هذا الاسم وتبنوا اسم الهندوس؟ ومتحججًا أيضًا أن الأدب السنسكريتي يحتوي على آلاف الكلمات

---

[39] "Organized Hinduisms", Pp 575-580.

[40] Hindutva, p11- 12, p15. p51.

التي يستخدمونها يوميًا، إذا هل يجب أن ينسبوها إلى مصدر أجنبي؟ ويدعي أن المسلمين أطلقوا كلمة (هندوسي) على هذا الشعب كازدراء حيث تعني الأسود أو اللص؟! [41]

ويرى سافاركار أن الأفكار والمثل العليا والثقافات والمشاعر التي تركزت حول اسم الهندوتوا غنية وقوية ودقيقة جدًا وحية، واستغرق تكوينها ما يقارب أربعين قرنًا، فهي نتيجة أعمال وأفكار وتضحيات طويلة تتعاون الآن من أجل عرقهم المميز، ويعدّ سافاركار أن الهندوتوا تاريخ طويل وليس فقط تاريخ ديني وروحي كما هو الحال مع الهندوسية عندما يتم الخلط بين المصطلحين، حيث يقول إن الهندوتوا "تاريخ كامل لشعبنا"، واعتبر الهندوسية جزءًا ضئيلًا مشتقًا من الهندوتوا، والتي ستبقى غامضة ما لم يتم توضيح مصطلح الهندوتوا، واعتقدَ أن عدم الفصل والتوضيح بين المصطلحين أدى إلى سوء فهم كبير وشك بين بعض المجتمعات التي ورثت إرث الهندوتوا مع الحضارة الهندوسية. ويرى أن الفرق بين المصطلحين أن مصطلح الهندوسية يشير إلى مذهب يعتمد على مبادئ وعقائد روحية ودينية، في حين أن الهندوتوا تشتمل على جميع أقسام الفكر والنشاط الكائن للعرق الهندوسي[42].

وقد لخص سافاركار[43] أساسيات الهندوتوا في ثلاثة نقاط أو مؤهلات، فالهندوسي هو الشخص الذي يمتلك هذه المؤهلات:

---

[41] Ibid, p71.

[42] Ibid, p3.

[43] Ibid, p 40–118. p 40–41. p 91– 100.

1 – يجب أن يثير اسم (هندوستان وهندوس) في فكر الشخص الصورة الأولى للوطن الأم والأرض المقدسة، حيث يجب أن تكون الهندوستان هذه المنطقة الجغرافية التي تعني أراضي الهندوس، هو العنصر الأساسي الأول للهندوتوا، فالهندوسي مواطن في المقام الأول إما في نفسه أو من خلال أجداده من "هندوستان" ويدعي أن الأرض هي وطنه الأم.

2– الهندوسي يكون سليلا لأبوين هندوسيين، ويثبت أن دماء شعب السند القديم والعرق الذي انحدر منهم يجري في عروقه.

3– ورث وامتلك بجانب لغته السنسكريتية التي تعدّ اللغة الأم الحقيقية للعرق الهندوسي، حيث يرث كل هندوسي هذه اللغة السنسكريتية ويدين لها بكيانه الروحي حقًا كما يدين بجسده لأرض ودماء أجداده، الحضارة الهندوسية، الممثلة في التاريخ المشترك، والأبطال، والأدب، والفن، والقانون والتشريع المشترك والمعارض والمهرجانات المشتركة والطقوس والشعائر والاحتفالات والأسرار المقدسة.

كما ذكره غولووكار : "وبذلك بتطبيق الفهم الحديث لمفهوم الأمة على ظروفنا الحالية، فإن الاستنتاج المفروض علينا بلا شك هو أنه في هذا البلد هندوستان يكمل العرق الهندوسي بدينه الهندوسي وثقافته الهندوسية ولغته الهندوسية (العائلة الطبيعية للسنسكريتية وذريتها) مفهوم الأمة"[44]، ولتحقيق

[44] Golwalkar, M. S, We or Our Nationhood Defined, Bharat Publications, Nagpur, 1939, P43.

ذلك تقوم المنظمة بعقد اجتماعات يومية (شاخا)، وهي اجتماعات يجتمع فيها الأعضاء لتتعلم الانضباط، وكيفية استخدام العصي، وتلقي التعليم الأيديولوجي[45].

ومن هذا المنطلق يعدّ الهندوس الذي اعتنقوا المسيحية والإسلام _من عرفوا لدى سافاركار بالمتحولين قسريًا_، وعلى الرغم من أنهم يشتركون في الوطن والثروة والثقافة واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد، لا يمكن اعتبارهم مجتمعًا وجزءًا من المجتمع الهندوسي، ببساطة لأنهم لا يعتبرون الهند أرضًا مقدسة، حيث يعتبرون أرض الحرمين وأرض الأقصى أرضًا مقدسة لهم بدلًا من الهند، فهم يمتلكون جميع المؤهلات التي تسمح لهم بأن يكونوا جزءًا من المجتمع الهندوسي باستثناء مؤهل واحد، يعني ذلك أن كل فرد يشترك مع الأمة الهندوسية في العرق والدم والثقافة حتى وإن لم يكن ينتمي إلى المجتمع والوطن الهندي، ولكنه يعدّ الهند وطنًا مقدسًا هو فرد مرحب به! وبإمكانه الانضمام إلى المجتمع الهندوسي، في حين أن الذي يسكنون هناك أساسًا، ويفتقدون إلى جزء من المؤهلات يجب عليهم الخروج من أرض الهند.

ألا يدل ذلك أيضًا على أن الفرد الذي يعتنق الهندوسية ولا يشترك في النسب والدم والعرق، وباعتناقه الهندوسية يشترك مع الهندوس في الحضارة والعادات والشعائر والطقوس والأعياد الدينية غير مرحب به أيضًا، لقد أصبحت كلمة هندوسية هي راية عرقية مميزة تساهم في تقوية ودعم القومية والعرقية الهندوسية، وأصبحت تنتهج نهج الفاشية والقومية الصهيونية.

---

[45] ظفر الإسلام خان، حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت مسلمي الهند، Pharos Media & Publishing Pvt Ltd, New Delhi، ط1، 2022م، ص15.

المتأمل في كتاب الهندوتوا سيرى أن سافاركار اعترف أن الهندوتوا مصطلح يتحدى جميع محاولات التحليل، وقد حاول أن يقارن بين مصطلح الهندوسية والهندوتوا ليوضح التمييز بينهما، إلا أنه لم يفلح في ذلك، حيث يتضح من محاولاته أن الهندوتوا في الأخير ليست إلا هندوسية بطابع سياسي، والكتاب في مجمله يفتقر إلى الترتيب والتماسك، كما أن معظم مواضيعه تتحدث عن الشر في البوذية، وعن انتماء الجاينيين والسيخ والطوائف الأخرى إلى الهندوسية، وعن أصل مصطلح الهندوسية والأرض الهندوسية، في حين أن الحديث عن الهندوتوا أخذ حيزًا بسيطًا فقط من الكتاب، كما أن الكتاب لم يلق إقبالا ولم يطبع كثيرًا، ولم ينتشر إلا في الآونة الأخيرة.

كما أن المتأمل في الكتاب سيرى أنه لم يقصد بغير الهندوسي من هذا الكتاب إلا المسلم والمسيحي بشكل خاص يقول سافاركار: المجتمعات المسيحية والمحمدية، التي كانت هندوسية مؤخرًا وكانت عادةً أكثر الأعضاء ترددًا في مجموعتهم الجديدة في جيلهم الأول، لا يمكن الاعتراف بهم على أنهم هندوس على الرغم من أنهم يتشاركون نفس الدم والنسب معنا، إلى جانب أرض آبائهم وأسلافهم الهندوسية، لأنهم تخلوا عن ملكية الحضارة الهندوسية السنسكريتية ككل منذ تبني العبادة الجديدة، حيث إنهم ينتمون أو يشعرون أنهم ينتمون إلى وحدة ثقافية مختلفة تمامًا عن الوحدة الهندوسية، فلم يعد الأبطال وعبادة الأبطال، والمعارض والمهرجانات، والمثل العليا والنظرة للحياة

مشتركة بيننا وبينهم، وبالتالي، فإن وجود العنصر الأساسي الثالث للهندوتوا، والذي يتطلب أن يكون لكل هندوسي علاقة حصرية ومكرسة مع عرقه السنسكريتي لم يعد موجودًا[46].

مع أن أصحاب الطوائف الأخرى من السيخ والجاينيين والبوذيين وغيرهم جزء من الأمة الهندوسية، على الرغم من أنهم قد لا يعترفون بجميع أسس الهندوتوا التي ذكرها سافاركار، ومع ذلك هل يعتبرون أفضل حالًا من المسلمين والمسيحيين؟ فمن خلال هذا الاعتراف وعدهم جزءًا من الديانة الهندوسية سيفقدون حريتهم واعتبارهم كديانات مستقلة!

إذ إن الاختلاف القليل في العادات والتقاليد والطقوس والعقائد لا يعني أن الفرد لا ينتمي إلى المجتمع الهندوسي كما أطلق عليه سافاركار، وهو أمر اعترف به بنفسه، حيث يقول: إنهم في الواقع يخضعون جنبًا إلى جنب مع مجتمعهم للقانون الهندوسي، قد يختلفوا فيما يتعلق ببعض المهرجانات أو قد يضيفوا عددًا قليلًا من الأبطال إلى مجموعة الكائنات الأسمى أو أنصاف الآلهة، لكننا قلنا مرارًا وتكرارًا إن الاختلاف في التفاصيل هنا أو هناك لا يخرجنا من جماعة الهندوس السنسكريتية، تلتزم المجتمعات الفرعية بين الهندوس بالعديد من العادات، والتي تُعد ليس فقط متناقضة ولكنها تتعارض حتى مع عادات المجتمعات الهندوسية الأخرى، ومع ذلك، كلاهما من الهندوس، لماذا لا يُعترف بمن يستطيع أن يفي بالمؤهلات المطلوبة من الهندوتوا إلى درجة معينة على أنه هندوسي؟[47].

---

[46] Hindutva, p 100- 101.

[47] Ibid, p 101-102.

نجد أن حديث سافاركار لا يخلو من التناقض، فلماذا لا يعد المسلمون والمسيحيون الهنود فئة ضمن المجتمع الهندي؟ فالمسلمون والمسيحيون إذا كانوا يفتقرون إلى مؤهل واحد باعتبارهم يقدسون أماكن أخرى، لا يعني ذلك أنهم لا يعتبرون الهند أرضهم الأم التي يحبونها ويضحون بحياتهم من أجلها؟

فالهدف أساسًا تكوين أمة هندوسية تطرد أصحاب الديانات الأخرى المسلمين والمسيحيين من المجتمع والقومية الهندية، إذا لم يكن الأمر كذلك إذًا لماذا قتل المهاتما غاندي؟ الهندوسي الذي كان يتبع تعاليم الويدا وغيرها من الكتب الهندوسية، والذي رفض منح الداليت حقهم؛ لأن ذلك لا يوافق التعاليم الهندوسية، ببساطة لأنه لم يكن يؤيد سياسة كراهية الهندوتوا ضد أصحاب الديانات الأخرى، وكان المسؤول عن تقسيم الهند، وحماية مسلمي الهند، وقيام دولة علمانية على أرض الهند، الأمر الذي أشعرهم بتخاذل كبير أمام باكستان.

وقد تم حظر حركة RSS بعد اغتيال غاندي، ولكن الحظر ألغي عام 1949م بعد توقيع دستور أعلنت، وأكدت فيه المنظمة أنها ستكون منظمة ثقافية فقط بعد اليوم، ولن تتدخل في السياسة أبدًا، ولكن بعد ذلك لم تلتزم المنظمة بهذا الدستور حتى لمدة يوم واحد، وأنشأت لها منظمات ومراكز في جميع مناحي الحياة، مثل: السياسة، والعمال، والطلبة، والصحافة، والعمل الجماهيري، والعمل الديني، ووضع المناهج الدراسية،... إلخ، وبذلك تضمن المنظمة عددًا كبيرًا من الأحزاب والمنظمات، وتم إنشاء هذه المراكز وفق إستراتيجية معينة، فحتى إذا تم حظر المنظمة في المستقبل

سيكون من الصعب على الحكومة حظر جميع هذه المراكز والأحزاب، كما أنه إذا وقعت منظمة أو فرد منها في يد القانون فإنهم يدعون عدم صلتهم بحزب RSS[48].

فالمسلمون والمسيحيون هم التهديد الداخلي الذي يهدد ما يسمى بالأمة الهندوسية، يقول غولووكار: "هناك الكثير ممن يقولون: الآن لا توجد مشكلة إسلامية، فكل العناصر المشاغبة التي دعمت باكستان رحلوا إلى الأبد، أما المتبقون من المسلمين فهم مكرسون لوطننا، بعد كل شيء ليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه، ولهذا يجب عليهم البقاء مخلصين لنا، سيكون من الانتحار أن نخدع أنفسنا بالاعتقاد أنهم تحولوا إلى وطنيين بين عشية وضحاها بعد استقلال باكستان، على العكس من ذلك، إن خطر المسلمين تضاعف مئة مرة الآن بعد استقلال باكستان، لأنها تعد نقطة انطلاق لمخططاتهم العدوانية ضد وطننا[49].

فالمسلمون هم العدو الحقيقي للأمة الهندوسية، حتى إنهم أكثر خطرًا من الإنجليز، بل حتى إن الإنجليز لا يعتبرون عدو الهندوس من الأساس، في رواية Bankim Chandra Chatterjee التي تروي حكاية كفاح الهندوس ضد المسلمين، وبعد أن انتهى (ساتياناند) من القتال وانتصر على المسلمين جاء إليه شخص يتحدث بصوت الإله وأمره بالتوقف عن القتال؛ لأن مهمته أنجزت ولذلك لا داعي للذبح الذي لا داعي له، وعلى الرغم من القائد أخبره أن الهيمنة الهندوسية لم تتحقق

---

[48] حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت مسلمي الهند، ص12- 13.

[49] Golwalkar, M.S, Bunch of Thoughts, Sahitya Sindhu, Bangalore, 1996, P177- 178.

لأن الإنجليز يحكمون كولكاتا، أخبره الصوت أنه لا داعي لذلك، لأن الإنجليز سوف يحكمون الآن، لأن الإنجليز هم الأصدقاء والحكام، ولا يمكن لأحد أن يهزمهم في معركة![50].

تشاترجي هو الشخص الذي اخترع شعار "الهند الأم" ومؤلف قصيدة Vande Mataram القصيدة التي يرددها غلاة الهندوس ويرفضها المسلمون، لأنها تدمج الهند الأم مع الآلهة الهندوسية دورغا وكالي، فالوطن هو الأم والآلهة والدين.

وكان نصيب المسيحيين من التهديد الداخلي أنهم يسعون إلى هدم النسيج الديني والاجتماعي الهندوسي، ويسعون إلى الهيمنة على الحياة السياسية[51]. هذا "التهديد الداخلي" كما أطلق عليه غولووكار على الرغم من أنه لم يلحق أي ضرر بـ "الأمة الهندوسية"، معرضين للكراهية والعنف والقتل والطرد والتمييز بسبب هذه التصريحات التي لا صحة ولا أساس لها.

ولهذا يتم تصوير العنف ضد المسلمين والمسيحيين على أنه دفاع عن النفس وإحياء وتجديد الرجولة الهندوسية، حيث ترسخ مبدأ أن العنف أمر ضروري لتطهير الأمة من كل أجنبي ودخيل يحاول إلحاق الضرر بالأمة الهندوسية

فمثلا المسجد البابري الذي أقيم على أنقاض معبد هندوسي أثار مشاعر الهندوس، كونه رمزًا ودلالة على بقائهم تحت عار حكم المسلمين لفترة طويلة، ولذلك قرر بعض النشطاء عام 1989م

---

[50] Chatterjee, Bankim Chandra, Anandamath, Translation: Sri Aurobindo and Barindra Kumar Ghosh, Auro e Books, 2016, Part 4, Chapter 8, P160.

[51] Bunch of Thoughts, P193.

بناء معبد للإله راما على أنقاض المسجد، ولفعل ذلك جمعوا الأموال وأدوات البناء اللازمة لذلك، كان ذلك سببًا كافيًا لإشعال التوتر بين المسلمين والهندوس، ونتيجة لذلك خسر راجيف غاندي الانتخابات عندما حاول حل الخلاف بين الطرفين، وفي عام 1990م قام لال كريشنا أدفاني بإعداد حج العربة (رت ياترا)، انطلق فيها من الساحل الغربي إلى أيوديا، بدأ حج العربة من سومنات، حيث تقول الأسطورة إن السلطان محمود الغزنوي ذبح آلاف الهندوس فيها، وهدم معبد شيفا، لم يصل كريشنا لال إلى أيوديا؛ لأنه اعتقل في الطريق، ولكن هذا الأمر أدى إلى أعمال شغب كبيرة مات فيها عدد كبير من الطرفين، وفي ديسمبر 1992م تم إزالة المسجد، في حين أن الجيش والصحافة بقيت موقع المتفرج، تبع ذلك أعمال شغب أخرى، أشهرها: هجوم المسلمين على قطار يحمل حجاج هندوس إلى أيوديا، وفي المقابل قام الهندوس بمذبحة في غوجرات ضد المسلمين انتقامًا لما ارتكبه المسلمون.

كما أدى ذلك إلى مطالبة عدد من الهندوس المتشددين بأنه لا بد من تدمير المساجد الكبرى في الهند في ماتورا وبنارس[52]، حيث إن هدم المسجد البابري ليس إلا البداية، لم يوافق عدد كبير من الهندوس على ذلك فزعًا من المأساة التي حدثت في أيوديا.

---

[52] الجزيرة، ليس تاج محل فقط. 4 معالم إسلامية أخرى في الهند تسعى الجماعات الهندوسية لهدمها، 23\5\2022، شوهد في: 5\10\2022. https://2u.pw/tj8gWs

اعتبر الهندوس القوميون معبد راما الجديد رمزًا للحرية، فالمعبد بالنسبة لهم ليس مجرد مبنى: "معبد راما هو مبعث الفخر واحترام الذات، إنه صورة للوحدة الهندوسية"[53]، ذلك هو إيمان الهندوس القوميون في أن كراماتهم واحتراماهم لذاتهم وجوهرهم الروحي قد فقد، ويجب إعادة بناء الذات الهندوسية عن طريق تدمير الآخر المخالف لها، واعتُبروا المسلمون مغتصبين لأرضهم مدمرين لمعابدهم، وقاتلين لشعبهم وقومهم، ولهذا آمنت القومية الهندوسية أنه لا يمكن إعادة الهوية الهندوسية القومية إلا بعمل عنيف حازم.

ومع تاريخ طويل من العنف والتحريض والحملات تعود إلى فترة تقسيم الهند وباكستان فإن استعمال العنف خطة إستراتيجية لتفتيت مجتمع متكامل متعدد الأديان، ويتكون من أفرد مسلمين ومسيحيين وهندوس ومعتقدات أخرى متعددة، وتنتهج الهندوتوا خطة تعمل من خلالها على استقطاب المجتمعات الدينية بشكل تدريجي من خلال العنف لتحقيق أهدافها، ونظرًا لتزايد سيطرة الهندوتوا واكتسابها سلطة الدولة مع مرور الزمن، بدأ استخدامها الإستراتيجي لأعمال الشغب لاستقطاب المجتمعات الدينية يتحول ببطء إلى عملية تدمير وتشريد مجتمعات الأقليات بشكل أساسي وعلني، فعلى مدى العقد الماضي، لم يعد العنف الديني في الهند حالات لكادر هندوتوا يقاتل كادرًا مسلمًا

---

[53] Kakar, Sudhir, The Colors of Violence: Cultural Identities, Religion, and Conflict, University of Chicago Press, Chicago, 1996, p154-157.

أو مسيحيًا يمينيًا في الشوارع، ولكنه أصبح يتحول إلى مذابح منظمة للقضاء على مجتمعات الأقليات من المسلمين والمسيحيين[54].

الهندوتوا ليست سوى وجه آخر للتمييز والعنصرية والطائفية يقول غولووكار: اليوم نسعى إلى هدم نظام فارنا من خلال الجهل، إلا أن هذا النظام كان له دور كبير في السيطرة على التملك في المجتمع، فالمجتمع يحتوي على فئات مختلفة من الناس: مثقفين، وخبراء الإنتاج، والحرفيين والمقتدرين على العمل، قسم أسلافنا المجتمع إلى أربعة أقسام، ولا يعني هذا النظام سوى تنسيق المجتمع، وتمكين الفرد من خدمة المجتمع بأفضل ما لديه من خلال التطور الوراثي للوظائف الذي يعد الشيء الأنسب للمجتمع[55].

ويؤيد سافاركار ذلك بقوله: منو سمريتي هو ذلك الكتاب المقدس الأكثر عبادة بعد الويدا لأمتنا الهندوسية، والذي أصبح منذ العصور القديمة أساس ثقافتنا وعاداتنا وفكرنا وممارستنا حتى اليوم، تستند القواعد التي يتبعها الملايين من الهندوس في حياتهم وممارستهم إلى منو سمريتي، اليوم منوسمريتي هو القانون الهندوسي[56].

---

[54] Outlook, Hindutva: The Growth of Violent Hindu Nationalism, 3\2\2022, See in: 9\9\2022. https://2u.pw/8cWZ2T

[55] Bunch of Thoughts, P36 -37.

[56] Shamsul Islam, Savarkar's dream of 'enforcing' Manu's laws would mean end of road for Dalits, women, 24\10\2019, Viewed: 20\8\2022. https://2u.pw/W89zD6

من خلال هذا القول فقط نستطيع أن نعرف نوع المجتمع والأمة التي حلم بها سافاركار، والتي يدعو حزب بهارتيا جاناتا إلى إقامتها، أمة تقوم على العنصرية والتمييز، وتعد الإنسان أقل منزلة حتى من الحيوانات.

في النهاية الأمر ليس إلا تمجيدًا للعرق الآري، ونبذ الأجانب المسلمين والمسيحيين الذين يتبعون ديانات ولدت خارج الهند، ولهذا تدعو الهندوتوا إلى التطهير العرقي وتمجد الفاشية، يقول غولووكار: يتجلى فخر العرق في أعلى مستوياته في ألمانيا، التي طهرت بلادها من العروق السامية أي اليهود، حيث أظهرت لنا استحالة استيعاب ودمج عروق وثقافات مختلفة في وحدة واحدة، وهو درس جيد لنا في هندوستان لنتعلم منه ونستنتج منه حلولًا مناسبة[57].

وليس الأمر أن الهندوتوا أخذت أفكار النازية والفاشية فقط، وإنما هي دروس تعليمية تلقاها أفراد وأعضاء حركة RSS، من خلال سفرهم إلى ألمانيا وإيطاليا ومقابلة زعماء النازية والفاشية، وأخذ أساليبهم وأفكارهم، وهي حقيقة ليست مخفية[58].

الخلاصة أنه لا يوجد مكان في أرض "هندوستان" للآخر من المسلمين والمسيحيين لأنهم لا ينتمون إلى العرق الهندوسي، فهم مجموعة لا مكان لهم كما يقول غولووكار: "لا مكان لهم في

---

[57] We or Our Nationhood Defined, P34 -35.

[58] For more information see: Marzia Casolari, In the Shadow of the Swastika: The Relationships Between Indian Radical Nationalism, Italian Fascism and Nazism, Routledge, London, 2022.

الحياة الوطنية، إلا إذا تخلوا عن اختلافاتهم، واعتنقوا دين وثقافة الأمة واندمجوا تمامًا في العرق القومي"[59].

فالمسلمون والمسيحيون في الهند لديهم حل واحد فقط إذا كانوا يريدون العيش في الهند، وهو أن يتخلوا عن دينهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ويذوبوا في الثقافة والديانة والأمة الهندوسية، أو يستطيعوا البقاء في الوطن على أن يكونوا خاضعين بشكل كامل للأمة الهندوسية، دون حقوق أو امتيازات.

أخيرًا الهندوتوا ليست سوى أيديولوجية قائمة على العنصرية والظلم والطائفية، ولا شك أنها أكبر خطر تهدد المجتمع الهندي بأكمله، حيث تهدد سلامته وحريته، ويؤدي إلى نشر العنف والسعي إلى القضاء على المسلمين والمسيحيين أولًا، ثم المرأة ثانيًا، وأخيرًا المثقفين والمفكرين الذي يرفضون مثل هذه الأفكار المتطرفة، الهندوتوا تسلك سبيل الصهيونية في ترسيخ القومية ونبذ الفئات الأخرى في المجتمع.

من المفترض أن الهند هي دولة علمانية، أي أنها دولة بلا دين، ويجب عليها مراعاة عدم التفرقة بين شعبها فيما يعتنقون من أديان[60]، إلا أن الحكومة الهندوسية تشجع القومية الهندوسية وتفرض قوميتها على المسلمين، كما هو معروف فالهند بلد يتميز بتعدد الديانات والثقافات، وكل ديانة وثقافة لها كيان وشخصية مستقلة، إذًا كيف يمكن اختيار ثقافة وديانة قومية؟ حتى وإن قال أحدهم

---

[59] We or Our Nationhood Defined, P45.

[60] حسين، سيد عابد، قومى تہذيب كا مسئله، انجمن ترقى اردو، على گڑھ، 1955م، ص7.

إن الاختيار يصب على الثقافة فقط، فإن ذلك لا يمكن أيضًا؛ لأن الثقافة والدين وجهان لعملة واحدة لا يمكن فصلهما. إن هذا الأمر لا يتجاهل فقط إسهامات المسلمين في الحضارة الهندية لسنوات طويلة، وإنما تؤدي إلى ضعفها وضعف نسيجها الحضاري الذي يتكون من قاعدة عريضة. إن ما يحتاجه المجتمع الهندي اليوم هو ما ذكره نهرو: "بعض الحوافز الداخلية نحو التوليف"[61]، القومية الهندوسية تطلب من المسلمين اليوم أن يقبلوا الثقافة الهندوسية، ويعترفوا بالملاحم الهندوسية وبراما وكريشنا وشيفاجي كأبطال قوميين، وأن يتخلوا عن الأبطال المسلمين، كما طلب منهم ترك الأسماء الإسلامية والتسمية بأسماء هندوسية[62]. كيف يمكن للمسلمين قبول الملاحم الهندوسية وهي تخالف العقيدة الإسلامية؟ وكيف لهم أن يقبلوا راما وكريشنا أبطالًا قوميين وهم في مقام الآلهة عند الهندوس، ناهيك عن مخالفة فلسفتهم للشريعة الإسلامية؟ لقد غفلت القومية الهندوسية اليوم عن حقيقة أن الثقافة الهندية ليست ثقافة هندوسية أو إسلامية بل هي ثقافة تضم هذه الأديان والمعتقدات والفلسفات جميعها.

ومنذ وصول حزب بهارتيا جانتا إلى الحكم عام 2014م، يدفع الأصوليون الهندوس أجندتهم القومية والمجتمعية بسرعة كبيرة، حيث يهاجمون الهند كدولة ديمقراطية وعلمانية، وهو أمر منصوص عليه في الدستور، ولتحقيق ذلك فإنهم يشنون هجومًا شاملًا وعنيفًا لإعادة تأسيس نظام

---

[61] Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India, John Day Company, New York, 1946, P366.

[62] Deshpande. V.G, Why Hindu Rashtra? A Summary of Speech Delivered by Prof. V. G. Deshpande, Hindu Mahasabha. New Delhi, 1949, P10-11.

اجتماعي يقوم على التعاليم والعقائد الهندوسية فقط، بحيث لا يبقى وجود ومكانة لغير الهندوس وخاصة المسيحيين والمسلمين، بالإضافة إلى محاولة تأسيس المجتمع على نظام منو سمريتي وإعادة النظام الطبقي بشكل كامل، ونتيجة لذلك شنوا حملات واسعة، مثل (غار وابسي _العود إلى البيت_) (وجهاد الحب) وغيرها، لبث الرعب في قلوب المسيحيين والمسلمين، كما يحاولون إعادة كتابة الكتب المقدسة والكتب المدرسية، والهجوم على المفكرين والمصلحين الذي يعارضون سياستهم وأفكارهم، مثل: الدكتور نارييندر دابهولكار، وجوفيند باناساري الذي ألف كتابًا عن الملك شيفاجي فضح فيه دعاية الهندوتوا عنه بأنه كان ملكًا معارضًا للمسلمين، في حين أنه كان ملكًا عادلًا ساند جميع الطوائف والأديان، والبرفيسور كالبورقي رئيس جامعة كارناتاك، بالإضافة إلى أنهم أصبحوا يعززون الفكر الهندوسية اللامنطقي والأساطير الهندوسية بدلًا من الفكر العلمي، كما يجتهدون في تعيين الأشخاص المرتبطين بالهندوتوا في المناصب ذات السلطة في البلاد، سواء كانت مناصب سياسية أو علمية أو ثقافية أو دينية، والطريقة التي يتفاعل بها قادة الهندوتوا مع حزب بهاراتيا جانتا تظهر بوضوح أنها تدعم بعضها البعض، فليس حاكم الدولة فقط هو حزب بهارتيا جاناتا، وإنما الهندوتوا هي التي تحكم البلاد.

المبحث الثاني: أنواع الآخر في الفكر الهندوسي.

المطلب الأول: الآخر المسلم في الفكر الهندوسي.

لا يعيش المسلمون اليوم في الهند كما كانوا يعيشون قبل الاستعمار الإنجليزي، فالحكم لم يعد حكمًا مسلمًا في الهند، والأدهى من ذلك أنهم لا يعيشون كما كان يعيش الهندوس في ظل الدولة الإسلامية، فالهند اليوم بلد ديمقراطي، ويعني ذلك أن حكم الأغلبية هو الذي يسري، يقول أحدهم: "من المحتم أن يبرز أسلوب الحياة الهندوسي في جميع مجالات الحياة الهندية"[63]، ويردد بعض المفكرين والمثقفين الهندوس شعار "هندوسي هندي هندوستاني"[64]، ولذلك يعدّ هؤلاء من لا ينتمي إلى الهندوسية أجانب معادين للهندوسية والهند[65]، كما يعتبرون الهند بلدًا هندوسيًا، ويتلخص هدفهم في إحياء المجد الهندوسي العظيم[66]، وهو الأمر الذي ذكره (بال تاهكيري) قائد جماعة شيف سينا في مقابلته عام 1984م حينما قال: "ليس عندي ما يدعو للغش والخداع، هذه هي هندوستان، والهندوستان تخص الهندوس"[67]، ففي الاضطرابات المناهضة للإسلام التي حدثت عام 1984م في مومباي وفي بيهيواندي عرض الهندوس على المسلمين خيارًا جاء في

---

[63] Ghosh, S.K, Muslims in India Democracy, Ashish Publishing House, New Delhi, 1984, p153.

[64] For More Information See: Golwalkar, M. S, Bunch of Thought.

[65] We or Our Nationhood Defined, P28.

[66] Ghouse, Mohammed, Secularism Society and Law in India, Vikas Publishing House, Delhi, 1973, P52.

[67] Muslim India, September, 1984, P419.

الملصقات التي كان يرفعونها، وهو: "اتركوا القرآن أو اتركوا الهند"، وورد في شعار آخر: "العيش في هذا البلد يتوقف على إنشاء باندي ماترام"، وشعار آخر: أعط هجمة أخرى: حطم باكستان"، وآخر يحمل عبارة: "الهجمة الأولى أسقطت باكستان الشرقية"، _المقصود بنغلاديش_، كما رفع شعار: "انتصار عظيم للهندوسية المحاربة"، مع انتشار رسوم معلقة على شوارع مدينة تهانه، رسم فيها رسومات شيفاجي وهو يقطع أيدي الخونة الذين يحاولون خيانة البلاد، ورسوم تظهر شيفاجي وهو يركل عرش حاكم مسلم مع شعار "اركلوهم بعيدًا عن مراكز السلطة فهم رموز عجزنا"،[68]، والمقصود المسلمين الذي يعملون في مراكز السلطة كالوزراء، ولذلك يجب على الأقليات التي تعيش في الهند اعتناق الهندوسية لغة وثقافة وعقيدة، واحترام كل ما ورد فيها من فلسفات وأفكار[69].

لا يقتصر الأمر على محاولة تغيير معتقدات وثقافة المسلمين بالاحتجاجات والمؤتمرات والمحاكم، بل يتعداه إلى استعمال العنف والقتل، وما زال مسلمو الهند يذكرون خطاب بال تاهيكري عام 1984م، حيث قال: إن المسلمين الهنود أشبه بالسرطان لهذه البلاد، والسرطان مرض لا يرجى شفاؤه، وقد انتشر هذا السرطان في البلاد كلها، والعلاج الوحيد له هو العملية الجراحية، أيها الهندوس: عليكم بالكفاح المسلح واستئصال هذا السرطان[70].

---

[68] Muslim India, July, 1984, P306.

[69] Secularism Society and Law in India, P52.

[70] Muslim India, July, 1984, P304.

وكان ذلك من بدايات إخفاق الحكومة في حماية المسلمين، ودليل موافقتها على أقوال مثل هؤلاء المتطرفين الذين يطالبون باستئصال الإسلام من الهند، وانحيازها إلى جانب الهندوس، حيث كانت إجابتها عند سؤالها عن الإجراءات ضد بال تاهيكري أنها: "تنظر في الموضوع!"[71]. وبات خلق جماعة وحركة متطرفة سياسة من سياسات الحكومة الهندية، حيث أصبحنا نرى العديد من الحركات المتطرفة التي تعادي الإسلام والمسلمين.

إن الصراع الأساسي في الهند اليوم يقوم على الطائفية، والذي يسعى الهندوس من خلاله إلى فرض ثقافتهم وعقيدتهم على المسلمين، فالأمر يتطلب من المسلمين ترك ثقافتهم وعقيدتهم وتبني الهندوسية بكل ما فيها، ولذلك يبقى الصراع قائمًا، فلا المسلمون يتركون ثقافتهم وعقيدتهم، ولا الهندوس يظهرون تسامحًا معهم.

ولقد كان المسلمين يدركون في بداية استقلال الهند أن العلمانية ليست إلا خداع، وأنه ليس هناك حقيقة في ذلك، والدليل على ذلك أن أبو الكلام آزاد في خطبه بعد الاستقلال دعا مرارًا وتكرارًا إلى التحرر من الخدع، حتى إنه بدأ يتحقق عن ما تعنيه الثقافة القومية في الحقيقة[72]. ويبدو الأمر في حقيقته أن الاستقلال كان استعادة للهندوسية[73] من ناحية الديانة والثقافة واللغة، حيث تسعى الهند إلى إحياء اللغة السنسكريتية، وتحارب اللغة الأوردية، فالقومية الهندية ترى في اللغة

---

[71] Muslim India, July, 1984, P297.

[72] Abulkalam Azad, Constituent Assembly Debates, 4\9\1949, Vol 9, https://2u.pw/zM3E1X

[73] Panikkar, K.M, The Foundation 0f New India, Aakar Books, 2019, p 46.

الأوردية عائقًا يعيق النظام التعليمي، إلا أن المسلمين في الهند على وعي أن ضياع اللغة الأوردية تعني ضياع الكثير من الأدب والمؤلفات الإسلامية، والحفاظ عليها يعني حفاظ الإرث الأدبي الإسلامي في الهند، بل إنها تعني مساعدة أطفالهم على تعليم وحفظ القرآن الكريم؛ لأن اللغة الأوردية قريبة من اللغة العربية.

كما أصدرت الحكومة قوانين تنص على أن يكون التعليم والمناهج التعليمية باللغة الهندية وحدها[74]، ولم تسمح للأطفال المسلمين بتعلم لغتهم الأم، بل وتحرص على تعليمهم أفكار تعارض الديانة والثقافة الإسلامية تحت مسمى التراث والثقافة والقومية الهندية[75]. ولقد شعر المهاتما غاندي بالتعقيدات التي ستنتج عن ترك اللغة الأوردية والاستناد إلى لغة قومية واحدة، حيث قال: "دعونا لا نترك اللغة الأوردية"[76]، ومع ذلك نص الدستور الهندي على أن اللغة الرسمية للدولة ستكون اللغة الهندية بحروف (الديفناجاري)[77]، ولكن ما زال المسلمون يرفضون الاعتراف بذلك، لأنهم يعرفون حق المعرفة أن التخلي عن اللغة الأوردية يعني القضاء وإلغاء مساهمة الحضارة والثقافة الإسلامية في الحضارة والثقافة الهندية.

---

[74] Husaain Khan, Masud, "Special Number Problems of Muslims In India, The Aligarh Magazine, Muslim University Aligarh, Aligarh, 1984, P72.

[75] الندوي، أبو الحسن علي، ہندوستانی مسلمان، مجلس تحقیقات و نشریات اسلامك، لكهنؤ، 1967م، ص30-128.

[76] Gandhi, M.k, Harijan Sevak Sangh Magazine, 10 August 1947.

[77] The Constitution of India, Article 343 (1), 1949.

– مسلمو الهند اليوم: سبق وأن تم التفصيل في علاقة المسلمين بالهندوس، وعلاقة الهندوس بالمسلمين في المباحث السابقة من هذه الدراسة، حيث عاش الطرفان جنبًا إلى جنب في تعايش وتشارك معظم الوقت، مع ظهور توترات وأعمال عنف بين فترة وأخرى، إلا أن أكثرها حدثت بعد الاستقلال، كما أنها زادت منذ زيادة سلطة الهندوسية السياسية أو الهندوتوا.

فقد أبلغ المكتب الوطني لسجلات الجرائم عن 857 حالة عنف مجتمعي في عام 2020م مقارنة بـ 438 حالة في عام 2019م، ووفقًا لكل من وسائل الإعلام وتقرير الجريمة في الهند لعام 2020م، الذي صدر في سبتمبر من العام ذاته، اعتقلت الشرطة 1818 شخصًا طوال عام 2020م بسبب الاحتجاجات في شمال شرق دلهي، وأورد التقرير أن 53 شخصًا بينهم اثنان من أفراد الأمن قتلوا في الاحتجاجات، وأصيب 581 شخصًا، بينهم 108 من أفراد الشرطة، وبلغ عدد المسلمين الذين قتلوا في الاحتجاجات 35 مسلمًا و18 هندوسيًا، ومن بين المعتقلين بلغ عدد المسلمين 956 مسلمًا و868 هندوسيًا، وبحلول نهاية العام كان 1204 أشخاص ما يزالون في السجن، وكانت محاكم مختلفة في دلهي تعالج 250 شكوى جنائية معلقة، في حين أن شرطة دلهي وحدها كانت تحقق في 350 شكوى جنائية إضافية تتعلق بأعمال الشغب والعنف، واستمرت هذه الأرقام في التقلب بسبب جلسات الاستماع الجارية، وكانت أول إدانة لرجل هندوسي في ديسمبر 2021م لإضرامه النار في منزل أحد السكان

المسلمين كجزء من الغوغاء، وأكد التقرير أن أعمال الشغب هذه نتجت عنه شعور الجالية المسلمة بالتمييز[78].

ولا تفتأ الحكومة تعمل على استفزاز المسلمين، وليس أدل على ذلك ما فعلته عندما قضت المحكمة عام 2019م بحق الهندوس في أرض المسجد البابري، وقد أشاد بالقرار رئيس الوزراء الهندي مودي كما جعل بناء المعبد في موقع المسجد من أولى أولوياته، وهو الذي وعد بذلك أثناء حملته الانتخابية الأولى عام 2014م، وتعدّ أفعال وأقوال مودي بمنزلة ختم على نشب العداوة والكراهية بين الهندوس والمسلمين، فالقضية أساسًا كانت السبب في تسميم العلاقة الهندوسية الإسلامية قبل 27 عامًا، وما يدعو للسخرية أن قرار المحكمة صدر في اليوم الذي تم فيه فتح ممر كارتبور بين الهند وباكستان حتى يتمكن السيخ من الانتقال بسهولة بين الدولتين للحج، وذلك بحجة التسامح والحرية الدينية! ويتصدر مودي القائمة في التشجيع على أعمال العنف ضد المسلمين، ففي عام 2002م اتهم بتشجيعه على الهجوم على بيوت المسلمين في **غوجرات** والذي أدى إلى مقتل ألف مسلم، وفي عام 2013م أثارت تصريحات مودي عن المسلمين الذي تم قتلهم من قبل الهندوس في أعمال عنف بأنهم "كالجراء التي تدعسهم السيارات في الشارع" موجة من الانتقادات والغضب[79].

لا يقتصر الأمر على التشجيع على أعمال العنف، وإنما يتخطى لأن يتولى متهمون بالإرهاب

---

[78] Office of International Religious Freedom, 2021 Report on International Religious Freedom: India, 2\6\2022, p10.

[79] مصطفى، مجدي، الجزيرة: قضية مسجد بابري تكشف "القشرة العلمانية" للهند، 10\11\2019م، شوهد في 9\9\2022م.https://2u.pw/0rECEj

وظائفًا حكومية في حكومة مودي، حيث تم تعيين سادفي براغيا Sadhvi Pragya عام 2019م كممثلة لدائرة بوبهال على الرغم من أنها أدينت بالهجمات الإرهابية على قطار الصداقة عام 2007م، وبالهجمات الإرهابية في ماليغاون عام 2008م، وتجلس سادفي اليوم في البرلمان الهندي مع أنها متهمة بتهم إرهابية عديدة[80]، فمن يستطيع أن يتهم الهند بأنها دولة ليست ديمقراطية؟!

ويذكر النقاد أنه منذ عودة مودي إلى السلطة منذ عام 2019م زادت أعمال العنف ضد المسلمين، فخلال مؤتمر ديني كبير عقد في ديسمبر 2021م قام المشاركون بدعوة الهندوس إلى التسلح استعدادًا لقتل المسلمين حتى يتم تأسيس أمة هندوسية، خلال المؤتمر قالت بوجا شاكون باندي العضو البارز في حزب هندو ماهاسابها: "إذا أصبح 100 منا جنودًا، مستعدين ومدربين بشكل جيد لقتل مليوني مسلم فسننتصر، في النهاية سنحمي الهند وسنجعلها أمة هندوسية خالصة"[81]، وبالطبع ليس هذا هو التصريح الوحيد وليس هو الآخر، وبالطبع لن يكون الأخير. المسلمون في الهند يواجهون في ظل الحكومة الحالية مخاوف كبيرة، وخاصة أن الرئيس مودي متشبع بتعاليم الهندوتوا، فصعود حزب بهارتيا جانتا وسيطرة حركة RSS على السلطة هي الانتكاسة الكبيرة

---

[80] قومی آواز، بھگوا دہشت گردی کی ملزمہ 'سادھوی پرگیہ' کو بی جے پی نے بنایا بھوپال سے امیدوار، 17\4\2019، شوهد في 25\8\2022. https://2u.pw/CgOLFS

[81] الغر، أحمد مصطفى، هندوس الهند ومسلميها.. جدلية التعايش وثقافة الكراهية، البيان، 6\6\2022، شوهد في: 10\9\2022. https://2u.pw/rk48PZ

الثالثة في التاريخ الهندي، بعد فشل حرب الاستقلال عام 1857م، وبعد هدم المسجد البابري عام 1992م.

ومن ذلك أيضًا اضطرابات تريبورا التي وقعت نهاية عام 2021، والتي تم فيها إلحاق الضرر بمساجد وممتلكات المسلمين، في أعقاب المظاهرة الهندوسية التي تم فيها رفع شعارات ضد المسلمين وتم فيها الإساءة للرسول الكريم ﷺ، حيث انفجرت أعمال العنف بعدها، وكما هي عادة شرطة الهند نفت الشرطة وجود أي أعمال عنف في الولاية، بل إنها تمادت في أنها رفعت قضايا تشهير ونشرت أخبارًا ملفقة وإرهابا ضد نشطاء حقوقيين وصحفيين[82].

– اتهامات ووسائل العنف ضد المسلمين: تنتهج حركة RSS أكاذيب مختلفة وقصصا مختلقة لخلق الكراهية والعنف في قلوب الهندوس ضد المسلمين، من هذه الأكاذيب أن المسلمين كانوا هم المسؤولين عن تقسيم بلاد الهند (بهارت) إلى الهند وباكستان، وبذلك تعدّ بلاد الهند بلاد الهندوس ولا مكان للمسلمين فيها، وإن كانوا يريدون البقاء فيها فليس لهم حق المطالبة بأي من حقوقهم.

في الحقيقة إن نظرية الدولتين هي نظرية طرحها الهندوس قبل أن تقوم الرابطة الإسلامية بطرحها بهدف تكوين أمة هندوسية، وكان أول من طرح نظرية الأمتين والقومية الهندوسية، هما: **راج نارين باسو**، وشريكه **نابها غوبال ميترا**، وتصور باسو تكوين أمة آرية هندوسية قوية تتجاوز العالم

[82] حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت مسلمي الهند، ص18– 19.

بأسره[83]، أما نيترا فقد أنشأ جمعية وطنية وورقة وطنية لتعزيز الوحدة والقومية الهندوسية، حيث يقول: "أساس الوحدة الوطنية في الهند هي الديانة الهندوسية، الجنسية الهندوسية تحتضن جميع الهندوس في الهند بغض النظر عن منطقتهم أو لغتهم"[84].

ولذلك أي مسلم يحاول الدفاع عن نفسه أو عن عقائده ودينه وحريته وشعائره، أو يعارض تعسف وعنف السلطات والحكومة يجد نفسه متهمًا بأنه عميل باكستاني، ويتردد في أذنيه الشعار القائل: "للمسلم مكانان فقط: باكستان أو قبرستان"[85] أي المقبرة.

ومن الأكاذيب أيضًا اتهام المسلمين في أنهم يستولون على فرص العمل، ويحتلون مناصب كبيرة على حساب الهندوس، مع وجود أدلة وتقارير تؤكد أن حال المسلمين اليوم في الهند أسوأ من حال المنبوذين، حيث إنهم لا يتجاوزون نسبة 3% في مجال العمل[86]، ولذلك أعدت الحكومة تقريرًا

---

[83] Majumdar, R. C, History of the Freedom Movement in India, Firma KL Mukhpadhyay, Calcutta, 1971, Vol 1, P295- 296.

[84] Majumdar, R. C, Three Phases of India's Struggle for Freedom, Bharatiya Vidya Bhavan, Bombay, 1961, P8.

[85] National Herald, Anti CAA protests: Muslims have only two places, Pakistan or kabristan, UP police tell 72, year-old man, 26\12019, Viewed: 8\10\2022. https://2u.pw/or4pOU

[86] Social, Economic and Educational Status of the Muslim Community of India, Prime Minister's HighLevel Committee Cabinet Secretariat Government of India, New Delhi, November 2006. https://2u.pw/pbYXd0

آخر لتحسين حال المسلمين والمسيحيين، وحثت على أن 10% من الوظائف الحكومية يجب أن تكون للمسلمين، إلا أن ذلك لم ينفذ حتى اليوم[87].

ويظهر من ممارسات حزب بهارتيا جانتا أن هدفها هو تنفيذ الألاعيب الطائفية، وتحويل الهند إلى دولة هندوسية وإقصاء بقية الطوائف والأديان، وتنتهج الحكومة في ذلك طرقًا مختلفة كاختبار المواطنة الذي يتعرض له المسلمون في ولاية **آسام**[88]، حيث قررت الحكومة اتخاذ إجراءات ضد المسلمين الذين يسكنون ولاية آسام بشكل غير قانوني، تحت تهمة أنهم يستحوذون على فرص العمل من الهنود المحليين، وعلى الرغم من أن الحكومة تمثل أنها تحاول حل هذه المعضلة إلا أنها تبذل ما في وسعها لطرد المسلمين من ولاية آسام تحت حملة "الهندوس أولًا"، في حين أن الحكومة أطلقت قانونًا جديدًا يسمح بمنح الجنسية للمهاجرين من غير المسلمين، الذي هاجروا بطرق غير شرعية إلى الهند من باكستان وأفغانستان وبنجلاديش، وتدعي الحكومة أن القانون يهدف إلى تعديل أوضاع الأشخاص الذين هربوا من الاضطهاد والتعنيف الديني في هذه الدول، فيما يقول المعارضون إن الحكومة تسعى إلى تهميش المسلمين وتحاول السيطرة على ثقافتها

---

[87] Report of the National Commission for Religious and Linguistic Minorities, Ministry of Minority Affairs, New Delhi, 10\5\2007.

[88] الجزيرة، اختبار المواطنة يزلزل أربعة ملايين مسلم في الهند، 30\7\2018م، شوهد في 0\0\2022م.
https://2u.pw/H92cdk

الجزيرة، بعد إحصاء يستبعد ملايين المسلمين.. تحذير للهند من التمييز، 31\7\2018م، شوهد في 9\9\2022م.
https://2u.pw/0E0i9t

وهويتها، بينما نفت الحكومة مثل هذه الادعاءات قائلة أنها لا تقوم بأي تحيز ديني، لأن القانون يستهدف الأقليات، والمسلمون لا يدخلون ضمن هذه الفئة لأنهم ليسوا أقلية، وليسوا بحاجة لحماية الهند!"[89]

من ناحية أخرى تحاول الحكومة الهندية اعتماد قانون موحد للأحوال الشخصية، في حين أن الدستور الهندي ينص على أنه بإمكان كل طائفة ومعتقد في الهند اتباع تشريعاتها فيما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث"[90]، وقانون الأحوال الشخصية للمسلمين هو قضية جدلية وخلافية منذ فترة طويلة في الهند.

بالإضافة إلى أن آلاف المسلمين في الهند يتعرضون للضرب والقتل بسبب الأبقار، تعدّ البقرة حيوانًا مقدسًا لدى الهندوس، ولذلك تشكل قضية ذبحها وأكلها من قبل المسلمون لدى الهندوس اعتداء على إله ومعتقد مقدس، حتى وإن تم شراء وذبح الأبقار بطريقة قانونية، فإن ذلك لا يشكل فرقًا لدى بعض المنظمات والحركات الهندوسية المتشددة، فخلال الثلاث السنوات السابقة تعرض المسلمون لـ 168 هجومًا متطرفًا باسم حماية الأبقار، قراءة قصة إرشاد خان الذي تعرض للهجوم عندما كان ينقل بعض الأبقار التي اشتراها إلى قريته والذي توفي فيه أحد أصدقائه قصة تقشعر

---

[89] بي بي سي نيوز، مظاهرات واسعة وأعمال عنف في أنحاء الهند بسبب قانون يمنح الجنسية لغير المسلمين، 2019\12\16، شوهد في 2022\9\10. https://2u.pw/55rNZH

[90] الجزيرة، مسلمو الهند يعارضون فرض قانون مدني موحد، 2016\10\13، شوهد في 2022\9\9م. https://2u.pw/fFRl39

لها الأبدان، حيث تبين العنف الذي يتعرض له المسلمون، وتبين أيضًا تعاون وتشجيع الحكومة على مثل هذه الأفعال من خلال غض الطرف عنها[91].

من ناحية أخرى اعتمدت الحكومة قانون (جهاد الحب) وهو مصطلح يسعى الهندوس المتطرفون إلى استخدامه إشارة منهم إلى أن الرجال المسلمين يتصيدون الهندوسيات لتحويلهن إلى الإسلام في إطار الزواج، ويتم استخدام هذا القانون لمضايقة الرجال المسلمين والقبض عليهم، وقد احتلت قضية المرأة الهندوسية التي تعرضت للعنف الأمر الذي أدى إلى اجهاض جنينها، بعد أن تم إجبارها على الانفصال عن زوجها المسلم عناوين الصحف، وأثارت ضجة على مواقع التواصل الاجتماعية لفترة طويلة[92]، في مقابل ذلك تتعرض النساء المسلمات لمضايقات من نوع آخر، حيث انصدم عدد كبير من النساء المسلمات عندما اكتشفن وجود صورهن على مواقع تعرضهن للبيع في مزاد على الإنترنت[93]. وللزيادة في العنف والرعب وإغلاق جميع الأبواب في وجه المسلمون انتهجت الحكومة نهجًا جديدًا، حيث أصبحت تهدم وتحطم بيوت المسلمون، حيث انصدم المسلمون الذي يسكنون ولاية **مادهيا براديش** بتحول بيوتهم إلى أكوام من الحجارة في ما سمي بأنه "شكل

---

[91] Griswold, Eliza, he Violent Toll of Hindu Nationalism in India, 5\3\2009, See: 9\9\2022 https://2u.pw/MmbZ44

[92] باندي، غيتا، الأذى والإذلال مصير المسلمين على يد المتطرفين الهندوس في الهند، بي بي سي نيوز، 2\9\2021، شوهد 10\9\2022. https://2u.pw/Oxh24w

[93] باندي، غيتا، الإسلاموفوبيا: "كنت معروضة للبيع مع عشرات المسلمات"، بي بي سي نيوز، 11\7\2021، شوهد 10\9\2022. https://2u.pw/B2nwd6

من أشكال العقاب"، وذلك بعد أعمال العنف التي اندلعت يوم احتفال الهندوس بعيد راما في شهر أبريل 2022م، وقد صرح وزير الداخلية في الولاية ناروتام ميشرا: "كل المنازل التي ألقت بالحجارة ستتحول إلى أكوام من الحجارة"، وذلك في أعقاب التراشق بالحجارة الذي حدث بين الهندوس والمسلمين بعد مرور مواكب الهندوس الذين كانوا يحتفلون بعيد راما، وهم يعزفون موسيقى تحريضية تدعو إلى ممارسة العنف ضد المسلمين، بالإضافة إلى رميهم الحجارة على المسلمين، فيما وقفت الشرطة جانبًا تشاهد ما يحدث، دون أن تبذل جهدًا لوقف أعمال العنف، بالإضافة إلى أن الهندوس دنسوا مسجدًا يقع في مدينة سيندهوا في ولاية مادهيا براديش وحطموا مئذنته، وأكدت سلطات الولاية أن أعمال العنف هذه شكل من أشكال العقاب ضد المسلمين الذين رموا الحجارة على الهندوس، وقال أحد الضحايا: "توسلت زوجتي وأختي لرجال الشرطة، ليسمحوا بجمع وإخراج أغراضنا، إلا أن أحدا لم يستمع إلى توسلاتنا"، وفعل البلدوزر فعلته[94].

وخلال السنة الماضية، منعت العديد من المؤسسات التعليمية التي تديرها الحكومة في ولاية **كارناتاكا** الهندية الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب، وأيدت حكومة الولاية بقيادة حزب بهاراتيا جانتا القومي الهندوسي الحظر التمييزي، وأصدرت توجيهًا جاء فيه: "لا ينبغي ارتداء الملابس التي تخل بالمساواة والنزاهة والقانون العام والنظام"، وظهرت مقاطع فيديو منتشرة لحشد من الشباب

[94] متين، زويا، مسلمو الهند: لماذا تهدم السلطات في ولاية ماديا براديش منازل المسلمين؟ 15\4\2022، شوهد في 10\9\2020. https://2u.pw/qxNf1q

الهندوس يهاجمون طالبة مسلمة لارتدائها الحجاب، وحظر الحجاب هو أحدث مثال على سعي السلطات الهندية بشكل متزايد إلى تهميش المسلمين[95].

ولا تفتأ السلطة في استغلال كل ما تجده لتوجيه الاتهامات إلى المسلمين، فعندما انتشرت الجائحة وتم فرض الحظر اتهمت السلطة الحكومية بمن فيهم مودي عدد من القادة المسلمين بممارسة ما أطلق عليه (جهاد كورونا) وأنهم يتعمدون نشر الفيروس، حيث بدأت الحكومة تنشر أرقام المصابين من جماعة التبليغ على حدة بينما الأرقام الأخرى كانت تضم جميع فئات المجتمع، وذلك كان له أثر في نشر الهلع والخوف، الأمر الذي أدى إلى إخراج المسلمين من بعض القرى وقتل بعضهم، وتعرض عدد منهم إلى العنف الجسدي واللفظي بسبب ارتدائهم ملابس المسلمين أو أن لديهم لحى[96]، تبع ذلك ما عرف بـ (جهاد خبز روتي)، حيث تم اتهام الخبازين المسلمين أنهم يبصقون على الخبز لنشر الفيروس بين الهندوس[97]. ولم تكن الإساءة الموجهة لنبينا الكريم محمد ﷺ التي صدرت عن المتحدث الرسمي باسم حزب بهاراتيا جانتا نوبور شارما، سوى سلسة جديدة من السلسلة الطويلة للعنصرية والكراهية والعنف التي ترسخت على مدى سنوات مضت ضد الإسلام

---

[95] Jayshree Bajoria– Hijab Ban in India Sparks Outrage, Protests, Human Rights Watch, 9\2\2022, Viewed: 10\9\2022. https://2u.pw/q39IPjs. BBC NEWS, Hijab ban: Karnataka high court upholds government order on headscarves, 15\3\2022, Viewed: 10\9\2022. https://2u.pw/W4awwM

[96] حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت مسلمي الهند، ص58.

[97] الأذى والإذلال مصير المسلمين على يد المتطرفين الهندوس في الهند، مرجع سابق.

والمسلمين في الهند[98]. تبع جهاد كورونا وجهاد الحب جهاد جديد اتهم المسلمين بممارسته وهو (جهاد الفيضانات!) أو (جهاد الطوفان) ففي الفيضانات التي حدثت مؤخرًا في ولاية آسام اتُّهم المسلمون بأنهم سبب ذلك، وأنهم كانوا يمارسون (جهاد الفيضانات)، وانتشر الأمر بشكل سريع في وسائل التواصل الاجتماعية، وتم إلقاء القبض على عدد من المسلمين، منهم نذير حسين الذي قال بعد خروجه من السجن: "ما زلت أنا وعائلتي نعيش في رعب، وأبنائي لا يذهبون إلى المدرسة، وإذا اضطررت إلى الخروج من المنزل، أرتدي القبعة وأغطي وجهي خوفًا من أن يقتلني المتشددون"، بينما أكد مشرف الشرطة أن: "الادعاءات مثل (جهاد الفيضان) هو طريق سهل للهروب"، حيث أكد إهمالَ الحكومة التي لم تصرف مياه السد هذا العام[99].

هذه دلالة على أن أي مصيبة ومشكلة ستحل بالهند في المستقبل سيكون المسلمون في وجه المدفع، فهم المتهمون الأوائل لكل مصيبة تنتج بسبب المتطرفين أو بسبب إهمال الحكومة أو حتى بسبب الطبيعة، والحكومة والسلطة الهندية لا تريد إيجاد حل أو أن تخفف من الصراعات والعنف في البلاد، بل تشجع عليه وتدعو إليه، وبرهان ذلك أنها أعلنت على الملأ في القنوات الإخبارية عن أسماء المتهمين بجهاد الطوفان، ففي ظل هذه التوترات والغضب ماذا سيكون مصير المتهمين وعائلاتهم، حتى وإن أطلقت الحكومة سراحهم بسبب عدم إثبات التهم؟

---

[98] القصة الكاملة لما حدث في الهند... هاشتاغ "إلا رسول الله يا مودي" يتصدر وسط غضب إسلامي وعربي، 2022\6\6. شوهد في: 2022\9\9. https://2u.pw/HNqhQ3

[99] انقلاب، آسام کے مسلمنوں پر اب 'سیلابی جہاد' کا الزام، 2022\8\6، شوهد في: 2022\8\25. https://2u.pw/x15rfc

ولا يقتصر الأمر على العنف الجسدي والنفسي لمحاربة المسلمين، وإنما يتعدى للحرب الاقتصادية، وقد ورد في منشور وزعته حركة اليمين الهندوسية المتطرفة في مدينة أحمد آباد أن الهندوسي الحقيقي هو الذي لا يتعامل مع المسلم بأي شكل، لا يشتري منه ولا يبيعه، لا يوفر له فرصة عمل ولا يعمل في مكان يعمل فيه المسلم، لا يساند مسلمًا في أي عمل ولا يشاركه أي شيء، لا يقيم في بيت وفندق ويستأجر محلًا صاحبه مسلم، لا يشاهد فيلمًا عمل فيه بأي شكل ممثلين أو منتجين أو مخرجين مسلمين، لا يترك أطفاله في مدرسة يعمل فيها المسلمون بأي شكل، من لا يسمح بأي علاقة بين الهندوس والمسلمين بأي شكل من الأشكال، ولائحة الاتهامات التي تسوق لها الهندوتوا ضد المسلمين طويلة في مقدمتها أن مسلمي الهند غير مواليين للهند وإنما ولائهم لباكستان، ولن يتورعوا عن إشعال فتنة وتمرد لمصلحة باكستان، وغيرها الكثير والكثير من التهم، والتهم السابقة التي تصور المسلمين كعقبة مانعة في تطور الهند، أكدت الأبحاث والمراجع النقدية أنها اتهامات صكت بشكل غوغائي لمجتمع فقير غير متعلم ليس هناك ما يمكن أن يؤثر فيه غير الدين[100]. وفي اتهامات أخرى موجهة للمسلمين تذكر المؤرخة أودري تروشكي في تغريداتها على تويتر قائلة: "المسلمون اضطهدوا الهندوس لمئات السنين، لذا فهم يستحقون أن يُضطهدوا اليوم عقابًا لهم على ما فعلوه في الماضي"، كما أضافت قائلة "أن اسم السلطان أورنكزيب يعدّ

[100] عبد الحميد، عاطف معتمد، المسلمون في الهند عقبة مانعة أم قوة دافعة، مركز الجزيرة للدراسات، 26\10\1009، شوهد في 10\9\2022. https://2u.pw/GFgmkGl

ضوءًا أخضر لقبول اضطهاد المسلمين في الهند واستخدام العنف ضدهم"[101]. وجميع هذه الاتهامات والإساءات ليست إلا عذرًا لممارسة العنف وطرد المسلمين، فسبب العداوة الحقيقي مع المسلمين يعود إلى عدم قبول المسلمين الانصهار في الثقافة الهندوسية، حيث يقول أشوك رودرا: "السبب في سبعمائة سنة من الحدق وعدم التسامح مع الإسلام، يعود إلى فشل البرهمية في ابتلاع الإسلام في الهند، ولو كان الإسلام قد قبل الانصهار لكانت البرهمية قد قبلت به كجزءٍ من البيت الهندوسي"[102].

كيف يمكن للإسلام والمسلمين في الهند أن يشكلوا خطرًا على الهندوس، في حين أن الهندوس يستولون ويحتكرون جميع جوانب الحياة في الهند من سياسية واقتصاد وصحافة وإعلام ومخابرات، فالهندوس يمتلكون كل ما يلزمهم لحكم بلاد الهند، والمسلمون هم مجرد مواطنين من الدرجة الثانية الذين يتعرضون للعنف والاضطهاد بشتى الطرق، فمن هو المضطهد ومن هو الضحية؟ وما يحدث في الهند اليوم من عنف واضطهاد سواءً كان ذلك للمسلمين أو المسيحيين ليس إلا محاولة لتحويل المسلم والمسيحي إلى العدو الآخر من خلال هذه الإجراءات التعسفية، وتجري هذه العملية على نحو أنه إذا لم ندمر الآخر (العدو)، فإنه سيدمرنا.

---

[101] باندي، غيتا، لماذا يثير الإمبراطور المغولي المسلم أورانغزيب الذي حكم الهند جدلًا ساخنًا؟، بي بي سي نيوز، 27\5\2022م، شوهد في 10\9\2022. https://2u.pw/UlDxLF

[102] حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت مسلمي الهند، ص14.

ونتيجة لذلك يضطر عدد كبير من المسلمين في الهند إلى إخفاء هويتهم الإسلامية، من خلال عدة طرق، أهمها: تجنب التسمية بأسماء تشير إلى الديانة الإسلامية، وتجنب الاحتفال بالأعياد جهرًا، أو تجنب حيازة اللحم في عيد الأضحى، وتجنب التعامل مع الجزارين الذين يدينون بالدين الإسلامي، في زمن أصبح فيه المسلمون في الهند لا يشعرون بالسلام والطمأنينة في ظل الحكومة الحالية التي تطبق أيديولوجية الهندوتوا أو الهندوسية السياسية، حيث يؤكد المسلمون أنهم سابقًا ومع تعرضهم للعنصرية والاعتداءات إلا أنهم لم يكونوا يشعرون بالخوف والاضطراب الذي يشعرون به اليوم، حيث إن الهندوس في السابق كانوا يفكرون ويحتاطون قبل التعرض للمسلمين، أما اليوم فقد أصبح الاعتداء على المسلمين أمرًا عاديًا[103].

المطلب الثاني: الآخر المسيحي في الفكر الهندوسي.

تاريخيًا وصلت المسيحية إلى الهند قبل أن تصل إلى أوروبا، ويشكل المسيحيون ثاني أكبر أقلية دينية في الهند بعد الإسلام. ويبلغ عدد المسيحيين نحو 21 مليون مسيحي في الهند، أي ما يقارب 2% من إجمالي السكان، ولقد كان أصل المسيحية في الهند موضع جدل بين المؤرخين، إلا أن الرواية الأكثر شهرة وتأكيدًا هي ذهاب الرسول **توماس الرسول** إلى غرب الهند عام 52م، حيث قام ببناء كنيسة له هناك، واعتنق عدد من السكان المسيحية[104]، وأكبر تجمع للمسيحيين يرتكز

---

[103] الجزيرة، لوموند: الهنود يخفون إسلامهم في عهد مودي، 21\8\2018م، شوهد في 9\9\2022م.
https://2u.pw/E8ydZj

[104] Tisserant. E, Eastern Christianity in India, Orient Longman, London, 1957, P10.

في ولاية **كيرلا** جنوب الهند[105]، ويتناقل سكان كيرلا الرواية ذاتها، حيث يعتقد المسيحيون المعاصرون في ولاية كيرلا أن الرسول توماس زار الهند عام 52 م وعمد أجدادهم، الآلاف من الكنائس اليوم تحمل اسمه وطقوسها ولاهوتها مستمدة من التقاليد **الأرثوذكسية الشرقية**، وفي عام 1498م أبحر المستكشف البرتغالي الشهير **فاسكو دي جاما** إلى ولاية كيرلا لفتح أول طريق بحري بين أوروبا والهند، وانصدم بوجود المسيحيين هناك، تبعه الكابتن بيدرو ألفاريس كابرال مع قساوسة آخرين والذين قدموا الطقوس اللاتينية للمسيحيين في الهند[106].

ويمثل شعب مالابار النصراني السوري مجتمعًا عرقيًا في ولاية كيرلا، ويعود وجودهم إلى بدايات الفكر المسيحي في القرن الأول والكنائس السبع التي أنشأها القديس توما الرسول بين السكان الأصليين والشتات اليهودي في ولاية كيرلا، ويتبع المسيحيون هناك تقليدًا مسيحيًا عبريًا سريانيًا فريدًا من نوعه يتضمن العديد من العناصر اليهودية إلى جانب بعض العادات الهندوسية، فلديهم تراث سرياني كيرلاي خاص بهم، ويتحدثون **باللغة المالايالامية**، ووفقًا لأعمال توماس كان أول من اعتنق المسيحية في الهند هم **يهود إسينيس** الذين استقروا في ولاية كيرلا[107]. وقد واجهت المسيحية صعوبة في التكيف في الهند، فعلى الرغم من أن الهندوس كانوا مستعدين للتكيف مع

---

[105] Sarah Park, Christianity in India, 2000, Viewed: 10\9\2022. https://2u.pw/dnrGzl

[106] بولس زكريا، لين جونسون، التاريخ المبكر المثير للدهشة للمسيحية في الهند، 19\2\2016م، شوهد في 11\9\2022م، شوهد 10\9\2022. https://2u.pw/tvUUfr

[107] New world Encyclopedia, Christianity in India, Viewed: 10\9\2022. https://2u.pw/eelheH

المسيحية، إلا أنهم رفضوا التنازل عن كثير من معتقداتهم[108]، ولهذا عمل المسيحيون على دمج المسيحية في أنظمة الثقافة الهندية، ولذلك قاموا بإضافة الطابع الهندي على الكنائس المسيحية، ومع ذلك واجه عدد كبير من أصحاب الطبقات الدنيا العديد من التحديات في محاولة منهم لاستيفاء معايير المسيحية والهندوسية معًا[109].

ومن أهم الشخصيات المسيحية في الهند والذين كان لهم أثر كبير في المسيحية الهندية، هما: (راما موهان روي 1772-1833) المعروف بوالد الهند الحديثة، وأيضًا الشخصية الأخرى هو (**Vedanayagam Samuel Azariah فيدانايا غام صموئيل أزريا**) المتوفي عام 1945م[110].

المجتمع المسيحي تقاسم الحياة الاجتماعية مع الهندوس، وقد كتب أنتوني موكينث توم: كان عيشهم مع البيئة الثقافية والاجتماعية شاملًا للغاية، وهذه الوحدة الضمنية مع البيئة الاجتماعية والثقافية في الهند تدل على وجود وعي ضمني يحث على العيش معًا، ووعي بأن المسيح جاء بكل القيم الأخلاقية والاجتماعية"، وقد عاش الهندوس والمسيحيون كمجتمع واحد لعدة قرون في جنوب الهند، وقبلوا بعضهم، وكان هناك تعاون بين الطائفتين ليس فقط في المسائل الاجتماعية ولكن أيضًا في المجال الديني، كان المسيحيون الهنود مندمجين اجتماعيًا وثقافيًا إلى حد كبير في

---

[108] Aziza Ahmed, Victorian Women Travelers in the 19th Century, 10\2017. Viewed: 10\9\2022 https://2u.pw/EC5v4I

[109] Sarah Park, Christianity in India, Ibid.

[110] Harper, Susan Billington, In the Shadow of the Mahatma, Routledge, London and New York, 2019.

المجتمع الهندوسي الأوسع، وحافظوا على العديد من العادات والممارسات الاجتماعية الهندوسية، ومن المنح التي قدمها الحكام المحليون للمسيحيين نستنتج أن المسيحيين في جنوب الهند كان لديهم وضع امتياز في المجتمع الهندي. [111] وانتشرت المسيحية مع مرور الوقت وخاصة مع وصول المبشرين البرتغاليين، واعتناق عدد كبير من الهندوس المسيحية بمختلف طوائفها.

وقد تصاعدت أعمال العنف ضد المسيحيين بعد المجزرة التي حدثت في ولاية غوجرات ضد المسلمين، حيث إن ثقة الهندوتوا في أنها تستطيع ارتكاب أعمال عنيفة دون خوف تضاعفت، ولذلك تعرض عدد كبير من القساوسة والراهبات من المسيحيين للعنف، وتشمل أعمال العنف قتل القساوسة وقتل واغتصاب الراهبات وتدمير المدارس والكنائس، وإجبار المسيحيين على اعتناق الهندوسية[112].

– المسيحيون في الهند اليوم: يواجه المسيحيون الهنود أنواعًا مختلفة من العنف من الإساءة اللفظية إلى الضرب والسجن والقتل بقيادة حزب بهارتيا جاناتا، ويسعى الحزب إلى تحويل المسيحيين الهنود إلى مواطنين من الدرجة الثانية بحيث لا يسمح لهم بممارسة حقوقهم الدينية التي ينص عليه الدستور، وتضع الهند المسيحيون اليوم أمام خيارين فإما أن يكونوا أجانب ليس لهم حقوق، أو يخضعون خضوعًا كاملًا للأمة الهندوسية.

---

[111] Philip, T.v, V, East of the Euphrates: Early Christianity in Asia, Chapter 7: Christianity in India up to AD 1500, 1998, https://2u.pw/l8ooxK

[112] Human Rights Watch, India: Politics by other means: Attacks Against Christians in India, October 1999, Vol 11, No. 6C.

وقد تصاعدت أعمال العنف ضد المسيحيين منذ أن تولى رئيس الوزراء الحالي ناريندرا مودي السلطة، وصلت إلى قتل بعض منهم بحجة تناول لحم البقر، حيث ذكرت المنظمة غير الحكومية (تحالف الدفاع عن الحرية) في تقرير نشرته أنها سجلت خلال عام 2019م، 218 حادثة عنف ضد المسيحيين، ومن بين أعمال العنف التي حدثت كانت 159 حالة جماعية، ويكون ذلك بوصول حشد مع رجال الشرطة، لإفساد الاحتفالات والطقوس الدينية الجماعية، وتتضمن هذه الحوادث إلقاء القبض على القساوسة بحجة أنهم يجبرون الناس على ترك دينهم واعتناق المسيحية، مع أن معظم هؤلاء القساوسة تم إطلاق سراحهم من قبل المحكمة لعدم إثبات التهم عليهم، ويذكر التقرير أن عددًا كبيرًا من المسيحيين يواجهون صعوبة وقيودًا على الحرية الدينية في معظم أجزاء الهند، حيث تعرض المسيحيون لأعمال عنف في 23 ولاية من أصل 28 ولاية، ومنذ عام 2014م أي منذ تولي مودي الحكم وأعمال العنف ضد المسيحيين في تزايد، حيث بلغت 292 حالة في 2018م، و240 حالة في 2017م، و208 حالات في 2016م، و177 حالة في 2015م، و147 حالة في 2014م، وذلك وفقًا لتقرير منظمة تحالف الدفاع عن الحرية، وتذكر التقارير أن مودي وحكومته يسعون إلى جعل الهند ثيوقراطية متجانسة[113]. ووفقًا لـ UCF ارتفع عدد الهجمات ضد المسيحيين في الهند خلال عام 2020م من 279 حالة إلى 486، وتم الإبلاغ عن معظم الحوادث في الولايات التي يحكمها حزب بهاراتيا جانتا، وشملت الحوادث: هجمات على القساوسة،

---

[113] الجزيرة، لاكروا: تصاعد أعمال العنف ضد المسيحيين في الهند منذ مجيء مودي، 26\9\2019م، شوهد في 9\9\2021م. https://2u.pw/24P5Lt

وتعطيل احتفالات عيد الميلاد، والتخريب والضرب والاعتداء، وأشار تقرير مشترك بعنوان "المسيحيون يتعرضون للهجوم في الهند"، صاغته منظمات غير حكومية متحدون ضد الكراهية، وجمعية حماية الحقوق المدنية، واتحاد الكنائس الموحد إلى أنه تم الإبلاغ عن أكثر من 500 حادثة عنف ضد المسيحيين، وذكر التقرير أنه تم تسجيل 333 حادثًا من أصل 486 حادثًا في ولاية أوتار براديش وولاية تشاتيسغار وولاية جهارخاند وولاية ماديا براديش وولاية كارناتاك، وذكر التقرير أنه لم يقدم سوى 34 بلاغًا ومعلومات عن الجناة، ومع نهاية العام كانت هناك 19 قضية معلقة ضد مسيحيين في تسع ولايات بموجب قوانين تقييد التحول، على الرغم من عدم إدانة أي مسيحي في البلاد بتهمة التحول الديني غير القانوني خلال العام[114].

كما يذكر تقرير تحالف الدفاع عن الحرية أن معظم المتضررين لا يقدمون شكوى، حيث قد تم تقديم 25 شكوى فقط على الرغم من أن حالات العنف بلغ عددها 218 عملا عنيفا، ويرجح التقرير أسباب ذلك إلى تورط السلطة الحكومية والشرطة مع الجهات المسؤولة عن العنف، وقال ناشط كاثوليكي إن معظم ضحايا العنف من المسيحيين يخشون الانتقام إذا هم تقدموا بالشكوى إلى الشرطة، حيث إن الثقة التي تمنحها الحكومة والشرطة لمرتكبي العنف أعدمت ثقة المسيحيين في السلطات[115]، فالهجمات على المسيحيين أصبحت تمر دون عقاب، حيث يؤكد عددٌ كبيرٌ من المسيحيين أنه يتم استدعاء عدد قليل من مرتكبي أعمال العنف دون تسجيل معلومات عنهم، أي

---

[114] 2021 Report on International Religious Freedom: India, P2.

[115] لاكروا: تصاعد أعمال العنف ضد المسيحيين في الهند منذ مجيء مودي، مرجع سابق.

أنها لا توثق من الأساس، وبسبب ذلك يرى المسيحيون أنه بسبب تقاعس الشرطة والسلطات أصبح المسيحيون لا يشعرون بالأمان والوئام الاجتماعي[116].

وقد توقف المسيحيون عن التجمع لأداء الطقوس والصلوات وأغلقوا أماكن العبادة، حيث إن أعمال العنف التي يتعرضون لها تشكل عائقًا أمام حرية ممارسة الدين، وقد شهد القس جيم على الاعتداءات التي تعرض لها هو وأصحابه في بادجير في 19\9\2021م، عندما هجم عليهم مائتا شخص من الهندوس يرددون شعارات ضد المسيحية، ويذكر كيف أن الشرطة رفضت مساعدتهم، ورفضت تقديم شكواهم، وبدلًا من ذلك بقوا في السجن لمدة 3 أيام، ويذكر عدد من المسيحيين استغلال السلطات الهندوسية قانون الحظر وبروتوكولات كورونا في إغلاق بعض الكنائس والقبض على القساوسة ومعاقبة عدد كبير من المسيحيين بتهمة انتهاك القوانين التي فرضتها السلطات بسبب الجائحة[117].

وفي محاولة تعنيف واضطهاد ليس المسيحيين فقط وإنما المسلمين أيضًا أصدرت الحكومة قوانين جديدة مناهضة للتحول إلى ديانة جديدة في محاولة منها للتصدي للتبشير المسيحي والدعوة الإسلامية، والغرض الأساسي من هذه القوانين هو حماية الهندوس من التبشير المسيحي، وحمايتهم من التحول إلى الإسلام، وتستغل الحركات والمنظمات المتشددة هذه القوانين كمبرر للهجمات

---

[116] Ucanews, Attacks on Christians go unpunished in Indian state, 30\8\2021, Viewed: 10\9\2022. https://2u.pw/XVPEIj

[117] Focus- "Patterns in Hate Crimes Against Indian Christians"- March 2022- V 107- P2-5.

على المسيحيين والمسلمين[118]. فيما يحاول المسيحيون تجنب أي فعل أو تصريح قد يؤدي إلى تأجج الخلافات بين المسيحيين والمسلمين بأي شكل من الأشكال. وجاء في تقرير أصدرته (منظمة العون من الاضطهاد): "ارتفعت جرائم الكراهية ضد المسيحيين في الهند بنسبة مخيفة، وصلت إلى 40. 87 بالمئة"، وهذه الزيادة في العنف جاءت في الوقت الذي تعيش فيه البلاد حالة حظر شامل بسبب جائحة كورونا، وقد تم تسجيل 293 حالة اضطهاد ضد المسيحيين، موضحة أن ما ورد في التقرير ما هو إلا غيض من فيض[119].

ووفقًا لتقرير إخباري حديث نقلًا عن (بيانات المنتدى المسيحي المتحد)، تم الإبلاغ عن 207 حالات عنف ضد المسيحيين في عام 2022م، وقد أفاد العدد المتزايد من حوادث العنف التي يواجهها المجتمع المسيحي في الهند إلى اعتبار عام 2021م "أكثر الأعوام عنفًا بالنسبة للمسيحيين"، وفقًا للمنتدى المسيحي المتحد، بلغ معدل العام التصاعدي ذروته بحلول نهاية عام 2021م، حيث تم الإبلاغ عن حوالي 505 حوادث عنف في جميع أنحاء البلاد، كما تم الإبلاغ عن أكثر من 100 من هذه الحوادث (1 من كل 5 حوادث)، تشمل هذه الحوادث العنف الجنسي،

---

[118] he Violent Toll of Hindu Nationalism in India– Ibid.

خبر روزنامين، تبديلی مذہب کے الزام میں یوپی کےکئی اضلاع سے متعدد پادری گرفتار، 15\10\2021، شوهد في: https://2u.pw/un6p32 .2022\9\10

[119] أبونا، تصاعد أعمال العنف ضد المسيحيين في الهند، على الرغم من إغلاق البلاد بسبب كورونا، 30\7\2020\، شوهد في 10\9\2022. https://2u.pw/TKaK8I

والترهيب والتهديد والنبذ الاجتماعي، وتخريب وتدنيس الأماكن الدينية، وتعطيل خدمات الصلاة، ويغلب العنف والحالات الوحشية الجسدية على هذه الحوادث[120].

ولا يمكننا أن نعرض في هذه الدراسة جميع أشكال وأنواع الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون؛ لأن ذلك ليس موضوع الدراسة، ويمكن للقارئ الرجوع إلى بعض المصادر لمزيد من المعلومات[121].

ختاما نشير إلى وجود آخر هندوسي في الفكر الديني والاجتماعي الهندوسي، وهم طبقة الشودرا والداليت، ولأننا عالجنا مشكلتهم في فقرات كثيرة من البحث، فلن نخصص لهم مطلبا خاصا، ونكتفي بما تقدم وما سيأتي من فقرات البحث التي نخصصها للحديث عن الطبقية.

المطلب الثالث: الآخر أصحاب الطبقات الدنيا في المجتمع الهندوسي (الشودر والداليت).

تمهيد:

يذكر همايون في كتابه أن نظام الطبقات لم يكن موجودًا عند قدوم الآريين إلى الهند، ومع ذلك قام بعض رجال الدين بتكوين طبقة خاصة فيهم منفصلة، وذلك عندما انتهوا من تدوين (الريج ويدا)، الأمر الذي ضاعف الاهتمام بالناحية المادية للطقوس والقرابين، حيث انسلخت مع مرور

---

[120] United Christian Forum, Sc To Hera Plea on Hate CRMES Against Christian on First day of Court Reopening, New Delhi, 10\7\2022.

[121] For More Information: Religious Liberty Commission of the Evangelical Fellowship of India, Hate and Targeted Violence Against Christians in India, 2020 and 2021, An initiative of the Religious Liberty Commission of EFI, Indian Christians face at least 29 attacks in the first month of the new year 2021, 31\1\2021 and Watch the Least of These: The Graham Staines Story, directed by Aneesh Daniel and written by Andrew Matthews, 2019.

الأيام عن مقصدها الروحي ونسى الناس أهدافها وأغراضها الأصلية، ومن آثار ذلك ظهور نظام الطبقات وانقسامه إلى أربع طبقات، واقتصار العبادة على طبقة رجال الدين، التي عملت على استغلالها[122].

يبرر همايون كبير نظام الطبقات في الهند في أن الهند تعرضت على مر الزمن للغزو من الأجانب، والذي أدى إلى تعدد الألوان واللغات والثقافة والأديان والدماء، وأن الهند لم تتعامل مع الغزاة والسكان الأصليين كما تعاملت أستراليا وأمريكا وأفريقيا عند الاستعمار حينما مارست إبادات جماعية أو قامت بتحويل السكان إلى عبيد ورقيق، على الرغم من أنه كان عليهم التوفيق بين عنصرين مختلفين، في حين أن الآريين كانوا أمام أجناس وعناصر وثقافات مختلفة ومتعددة، مع ذلك لم يمارس الآريون القتل والإبادة أو حولتهم إلى عبيد، وإنما وجدت حلًّا أفضل حينما وضعت نظام الطبقات. مع أنه يوافق على أن النظام الطبقي لا يوافق معايير العدالة، لأنها تنبذ الإنسان الآخر بسبب نسبه ومولده فقط، إلا أنه يرى أن هذا النظام له محاسن عديدة، وأنه نظام يدين بأصوله إلى روح التسامح والاستمرار، وأنه سبب في دمج عناصر وأجناس وثقافات مختلفة في وحدة مجتمعية وثقافية! ويرى أن الدليل على مرونة وتسامح هذا النظام هو

---

[122] التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث، ص75- 79.

السماح بتنصيب آلهة الدرافيدين في تماثيل آلهة الآريين، وذكر همايون أنه يمكن لأصحاب الطبقات الانتقال من طبقة إلى أخرى[123].

هل تعرض الهند للغزو بشكل مستمر تطلب وضع نظام طبقي جائر وذلك حتى لا يتم قتل السكان الأصليين والقبائل التي كانت تسكن الهند؟ بدلًا من قتلهم ألم يكن من الممكن دمجهم مع المجتمع فقط بشكل طبيعي؟ التجربة الإسلامية خير دليل على دمج الآخرين والتعايش معهم بحرية وتشارك، والحضارة الهندية برهان على تقبل الآخر وإن كانوا هنودًا أو حتى من أصحاب الطبقات الدنيا، فالإسلام لم يفرق بين الهندوسي وغيرهم، ووضعتهم في مناصب حكومية وتشاركوا معًا في الحياة الاجتماعية.

لقد قام الآريون بتقسيم المجتمع؛ لأنهم شعروا أنهم أسمى وأعلى من الأجناس الأخرى: "آمن الآريون أنهم شعب متفوق على السكان الأصليين، وآمنوا إيمانًا راسخًا أن جنسهم يسمو على الأجناس الأخرى، وكلمة (آري) تعني النبلاء"[124].

وكما ذكرنا _سابقًا_ أن همايون ذكر في كتابه أن الآريين لم يحولوا السكان الأصليين والقبائل التي كانت تسكن الهند إلى عبيد ورقيق، إذا فيما تختلف طبقة (الشودرا) عن العبيد، والأدهى منها طبقة المنبوذين (الداليت والشاندال)، تعيش هذه الطبقات على خدمة الطبقات العليا،

---

[123] المرجع السابق – ص65-66.

[124] المرجع السابق، ص52.

ويكتسبون عيشهم من خلال الخدمة التي يقومون بها، حتى إنهم قد لا يحصلون على المال، فقد يكون الأجر وجبات طعام أو بعض الملابس أو احتياجات أخرى بسيطة، نساؤهم وبناتهم معرضات للاغتصاب والزواج القسري دائمًا، ويعتبرون أنجاسا لا يجوز لهم لمس أشياء وأغراض وأجساد الطبقات العليا، ولهم معابد منفصلة عن معابد الطبقات الأخرى، وعلى الرغم من أنه يتم السماح لهم بالانتقال من طبقة إلى أخرى إلا أن كيفية هذا الانتقال غير معروفة، أي هل المقصود تغيير الطبقة أي أن ينتقل الشودرا إلى طبقة الشتري أو الكشتاري أو البراهمة؟ وإذا كان ذلك صحيحًا فقد يكون ذلك ممكنا في العصور السابقة أو في البدايات؛ لأن ذلك غير مسموح به الآن بعد تشريع شريعة التناسخ.

نقطة أخرى لا بد من ذكرها أن تقسيم الطبقات حدث بحسب الجنس والسيادة والقوة، وإلا لماذا لا توجد فئة من الآريين يقومون بالزراعة أو الخدمة؟، في تلك الحالة كان سيكون التقسيم بحسب مقتضيات الحياة والعمل، إذا كانت كل فئة قامت بواجبها بما تتقنه من مهارات وحرف وأعمال بحيث تكون الطبقات خليطًا من الأجناس، ولكن اقتصار الطبقات العليا على الآريين والطبقات الدنيا على السكان الأصليين دلالة على أن التقسيم حدث بمقتضى القوة والسيادة وسمو الجنس، وحوصر أصحاب الطبقات الدنيا في دائرتهم المغلقة، إذا كان التقسيم بحسب العمل، إذًا لو أراد أحد من الطبقات الدنيا أن يكون كاهنًا أو حتى إنسانًا متعلمًا لحبه للعلم، هل كان يسمح له بالدراسة ليصبح مفكرًا أو كاهنًا؟ أو إذا وجد رجل جبان أو لا يقوى على حمل السلاح في طبقة (الكشتريا) هل كان يسمح له بالانتساب إلى طبقة (الشودرا)؟

وجدير بالذكر أن نذكر هنا دراسة الأنثروبولوجي الفرنسي (لويس دومون Louis Dumnt1911–1998[125]) والذي قام بدراسة أيديولوجية مقارنة بين المجتمع الهندوسي والمسيحي، وركزت دراسته على الجانب القيمي للفرد، وركز على كيان ورغبات الفرد كقيمة مستقلة، وأكد لويس أن الهندوسية تتصف بالتراتبية وأيديولوجيا جماعية، بينما المسيحية تسيطر عليها المساواة والقيم الفردية[126]، فالهندوسي منقاد بطبقته وجماعته التي تمص فردانيته.

برهان ذلك نجده في المهابهارت أيضًا، كارن الذي كان في أصله من طبقة الكشتريا، ولكن لأنه تربى في طبقة الشودرا لم يتم قبوله في طبقة الكشتريا على الرغم من قوته التي نافست قوة أرجون، وعلى الرغم من حكمته وتتويجه كملك على مدينة (أنج)، إلا أنه تعرض للتمييز والعنصرية دائمًا، الأمر الذي جعله يحقد على المجتمع، وعلى أن يقف إلى جانب دريودهن الشرير على الرغم من أنه كان يوافق على أعماله على مضض، وحاول أن ينصحه ويثنيه عن أفعاله السيئة، بالاختصار لم يكن سيئًا بطبيعته، بل كان رجلًا يتصف بالأخلاق الحسنة، ولكن لم يرغب في ترك جانب دريودهن؛ لأنه كان الوحيد الذي تقبله ولم يعامله بعنصرية وتمييز، كانت الطبقية والتمييز الطبقي السبب في أن يسلك ذلك المحارب العظيم سبيل الباطل، وأن

---

[125] لويس دومون، أنثروبولوجي فرنسي ولد في سالونيك (اليونان) عام 1911م، اهتم بالفنون والتقاليد الشعبيّة والدراسات الدينيّة (المسيحيّة–الهندوسيّة). تعلم اللغة السنسكريتية وسافر إلى جنوب الهند عام 1948، وهناك وجد المادة الأساسية لأطروحته في الدكتوراه في شعب (براماالاي كالار).

[126] لويس، دومون، مقالات في الفردانية: منظور أنثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة، ترجمة: بدر الدين عردوكي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2006م، ص48.

يقاتل إخوانه، وأن يقتل ابن أخيه، إذا كيف يمكن القول إن التقسيم الطبقي كان على أساس العمل؟ إذا كانت حتى الأسماء يتم تسميتها بحسب الطبقة الاجتماعية.

ورد في كتاب (منو سمريتي): "يجب أن يكون اسم (البرهمي) مبدوءًا بلفظ يعكس السرور، واسم (الكشتري) بلفظ يدل على القوة والسلطان، واسم (الويشي) على معنى المال والعمل، واسم (الشودري) على معنى الذل والإهانة! ويجب أن ينتهي اسم (البراهمي) بلفظ (شارما) أي البهجة والراحة والسعادة، واسم (الشتري) بلفظ (ركشا) أي الحماية والقوة، واسم (الويش) بلفظ (بشت) أي الحارس، واسم (الشودرا) بلفظ (بريشيه أو داس) أي العبد والخادم"[127].

لم يظهر النظام الطبقي إلا عندما اضطر المجتمع الهندوسي إلى الاختلاط ببعضهم البعض، فوضع هذا النظام حتى يتم المحافظة على العرق السامي للآريين من الاندماج مع الأجناس الأخرى، حيث لم يظهر النظام إلا في قوانين مانو في القرن الثالث قبل الميلاد.

يقول (مانو): "كانت الدنيا غامضة؛ لا توجد لها علاقة ولا وسيلة للوصول إليها، ثم ظهر (برميشور) _الإله الأكبر_ بمادة التكوين، وأرد أن يخلق خلقًا من ذاته فخلق الماء، وألقى فيه النطفة، وأصبحت هذه النطفة بيضة، فخرج منها براهما وكسر البيضة نصفين، فخلق من

---

[127] جگرانوى، كرپا رام شرما، منو سمريتي، پريس دهلى، 1: 30– 31.

أحدهما الجنة، ومن الآخر الأرض والسماء وما بينهما والجهات الثماني والبحور المتموجة، ثم أخرج من فمه طائفة البراهمة.."[128].

مؤلف (منو سمريتي) غير معروف، ولكن يرجح الهندوس أن واضعه هو الإله براهما ذاته الذي علمه ابنه (منو)، وقد كتب بين القرن السادس والقرن العاشر قبل الميلاد، ولكن بدراسة الكتاب بعمق نجد أنه لا يرتقي إلى هذا الزمن القديم، فأقصى ما يمكن أن نتوقعه أن يكون قد كتب في القرن الثاني قبل الميلاد، بدليل أنه على الرغم من أنه كتاب قائم على العنصرية والتمييز والتركيز على الشعائر الهندوسية لم يذكر البوذية أبدًا، وباعتبار أن البوذية قد ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد لتكون رد فعل على الهندوسية، عندها عدم ذكر (منو سمريتي) لها أمر غير منطقي، ثم إن الكتاب يفصل واجبات الطبقات شرحًا وافيًا ما يجب أن يعملوه وما هو محرم عليهم... إلخ، ولم يكن ذلك ممكنًا في القرن السادس الميلادي؛ لأن ظهور النظام الاجتماعي في تلك الفترة لم يكن بهذا الوضوح والصبغة التي يذكر بها في منو سمريتي.

بالإضافة إلى أن اللغة التي كتب بها الكتاب والفلسفة العميقة التي تعتني بالبلاد، وتنظّم أمور حياة المجتمع يدل على أن المجتمع الهندي كان في مرحلة تجاوز فيها التفكير الابتدائي الذي

---

[128] منو سمريتي، 1: 7-57، 1: 87.

كان عليه المجتمع الهندي في القرن السادس الميلادي، إذ أنه يدل على عقلية وتفكير ومنطق أرقى وأكثر تحضرًا.

ثالثًا: الآخر الشودر والداليت.

أولًا: الشودر.

الشودر الطبقة الرابعة في النظام الطبقي الاجتماعي، وهي طبقة تتألف من المنبوذين من أصحاب المهن الحقيرة كإزالة مخلفات البشر أو دباغة الجلود أو كنس الشوارع، بالإضافة إلى خدمة الطبقات العليا، ويكون (الشودري) "مجتهدًا في الخدمة والتملق متحببًا لكل أحد بها"[129]، ولا يظهر مصطلح الشودر في الأدب الويداي القديم على عكس الطبقات الثلاث الأولى (البراهمة– الكشتري– الويشي).

الشودر غير مسموح لهم بقراءة الكتب المقدسة والاقتراب منها، وتقتصر مهامهم على خدمة البراهمة، "أما شودر، فهو للبرهمن كعبد يتصرف في أشغاله ويخدمه، وكل عمل يخص البرهمن من التسابيح وقراءة الويدا فهو محظور عليه، حتى إنه إن صح عليه أنه قرأ الويدا رفعه البرهمي إلى الوالي فقطع لسانه، وأما ذكر الله وعمل البر والصدقة، فهو غير ممنوع عليه"[130].

---

[129] البيروني، محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، ط2، 1983م، ص78.

[130] المرجع السابق– ص457.

(أين الشودر؟) بهذا العنوان نشرت مجلة (كارافان) التقدمية الهندية بحثها، وقد بين المقال نقطتين أساسيتين[131]:

– الأولى: ما تبين بعد عقود على تقرير لجنة ماندال في الثمانينيات، الذي كان قد أقر على منح (كوتا) للطبقات المهمشة من (الشودر والداليت والآديفاسي)، وبين المقال أن الشودر ما يزالون مستثنون عمليًا عن كل ما من المفترض أن يتم منحه لهم، من فرص الوظائف والتعليم وخدمات اجتماعية، وبينت أن فئات أخرى تسللت لتستولي على ما هو حقهم من الوظائف والتعليم، في حين أن من حاول استثناء أنفسهم من (الشودر) من الطبقات المهمشة، عادوا مرة أخرى يطالبون بحقوقهم في ذلك بسبب تعطيل السلم الاجتماعي بالنسبة لهم.

– الثانية: أن رئيس الوزراء الهندي مودي، يدعي أن طبقته (المود غانشي) تنتمي إلى الشودر، مع أنه أصر سابقًا أنها تنتمي إلى التجار، وفي الحقيقة ينتمي مودي إلى الطبقة ذاتها التي ينتمي إليها (غاندي) مع فارق بسيط، وهو أن غاندي كان مقتنعًا بهيمنة الكهنة (البراهمة) وهيمنة (حزب المؤتمر) باسم التحرر الوطني والاشتراكية، مما ساهم في استمرار هيمنة البراهمة، في حين أن القوميين الذين ينتمون إلى حزب (بهاراتيا جاناتا) يفككون سيطرة البراهمة، لمصلحة التجار وخاصة (الباني)، أي الطبقة الثالثة من التقسيم الطبقي.

---

[131] Shepherd, Kancha Ilaiah– "Where Are the Shudras? Why the Shudras are lost in today's India"– The Caravan A journal of politics& culture– 30\9\2018. https://2u.pw/URRlWP

القضية ليست بتلك البساطة التي ننظر إليها على أن الشودر طبقة رابعة منبوذة تتعرض للتمييز والعنصرية، لأن القضية معقدة وتحتاج إلى دراسة وتفصيل، عن أصلهم وحياتهم ومجتمعهم وفئاتهم، وخاصة مع التطور والتغيرات السياسية والصراعات التي يواجهها المجتمع الهندي، وخاصة بعد أن تولى حزبRSS الحكم[132].

وقد ألف الدكتور أمبيدكار كتابه بعنوان (من هم الشودر؟[133])، في هذا الكتاب يحاول الدكتور إثبات أن الشودر في الأصل ينتمون إلى العرق الآري، ولا يختلفون عن أصحاب الطبقات العليا، وطرح فيه سؤالين: من هم الشودر؟ كيف أصبحوا فارنا الرابعة في المجتمع الهندي الآري؟ وللإجابة عن ذلك يوضح الدكتور أمبيدكار أن المجتمع الهندي تكون من ثلاث طبقات فقط (الكهنة– النبلاء– والتجار)، أما الشودر فقد تم تصنيفهم ضمن طبقة النبلاء في المجتمع الآري الهندي، وبسبب العداء بينهم وبين البراهمة تردى الوضع الاجتماعي لهم، وسقطوا من رتبة الكشتريا إلى رتبة أقل من الويشي، وأصبحوا يشكلون طبقة رابعة منبوذة عرفت باسم الشودر، كما يناقش الدكتور أمبيدكار في كتابه نظرية العرق الآري، حيث إنه يرفض نظرية الهجرة الآرية.

---

[132] For More information see: Ilaiah, Kancha & Karuppasamy Kartik, The Shudras: Vision for a New Path, Vintage Books, 2021.

[133] Ambedkar, B. R., Who were the Shudras?, Delhi Open Books– 2021.

ويعاني الشودر من التمييز والعنصرية بشدة، وهذا التمييز يلازمهم منذ ولادتهم وحتى وفاتهم، تذكر (رينو) أنها اضطرت إلى إجهاض طفلها؛ لأن والد الطفل لم يقبل به كونها من طبقة الشودر، كما تعرضت (رينو) للعنصرية والنبذ في الكلية من قبل معلميها، تقول (رينو): "لم تتركني الطبقة في أي مكان، تبعتني هويتي في باهوجان، OBC[134] في كل مكان، توقفت الأستاذة عن مساعدتي في الدراسات عندما علمت أنني حصلت على القبول من خلال حصة OBC"، ولم يقتصر الأمر على ذلك فخلال دراسة رينو الماجستير زعم رئيس قسمها أنها جاءت من الغابة، ويجب أن تعود إلى هناك! لا زالت رينو تعاني من النبذ الطبقي حتى اليوم[135].

في مقال نشره (سانترام بي أي) بعنوان (دموع الشودر – Shudra ka Aansoo) عرض فيه مقابلة مع مدير كلية متعلم تعليمًا عاليًا، ولكنه ينحدر من طبقة متخلفة، وفي مقدمة مقاله يقول: "هذا الرجل حاصل على شهادة في الأدب من جامعة لندن وهو نائب مدير كلية حكومية، وهو مثقف للغاية ورجل عائلة فاضل، عاداته الغذائية وأسلوب حياته أوروبي، وفي منزله، يتحدث أطفاله باللغة الإنجليزية"، مع ذلك يشرح هذا المدير معاناته مع النبذ والتمييز الطبقي الذي يتعرض له في بلاده ومجتمعه، حيث يقول: "إن عبودية البريطانيين لا تزعجني بقدر ما تزعجني

---

[134] الطبقات المتخلفة الأخرى، وهو مصطلح اجتماعي تستخدمه الحكومة الهندية لتصنيف الطوائف المتخلفة علميًا واجتماعيًا، وهي واحدة من عدة تصنيفات رسمية لسكان الهند، إلى جانب الطوائف العامة والطوائف المجدولة والقبائل المجدولة، وتشكل الطوائف المتخلفة نحو 52% من سكان البلاد.

[135] Tapasya- THE DIPLOMAT- Not Just 'Dalits': Other-Caste Indians Suffer Discrimination Too- 27\8\2019- Viewed: 1\3\2022. https://2u.pw/KcqyQC

تجاوزات الهندوس، على الرغم من أنني أوصف بأنني هندوسي، فأنا أعاني من عبودية البريطانيين مرة واحدة في السنة أو نحو ذلك، ولكن يجب أن أواجه الإهانات على أيدي الهندوس في فارنا العليا كل دقيقة"، ويضيف قائلًا: " لقد جعل البراهمة والكشاتريا والويشي الحياة صعبة للغاية على الشودر، فلا يمكن لأي شودر أن يعيش مع احترام الذات في الحظيرة الهندوسية. المعلمون يتعرضون للإزعاج كلما قبل طفل من طبقة شودر في المدرسة، ثم يعملون على تثبيط هؤلاء الأطفال عن طريق إذلالهم، هؤلاء القتلة يقولون: "أنت مغفل! اذهب والحق الآخرين، لا يمكنك أبدا أن تتعلم، لماذا أنت هنا! اذهب واغسل الأواني، الدراسة هي عمل البراهمة، ماذا ستفعل بالدراسة؟" ثم، إذا ارتكب الطفل خطأ صغيرا، فإنهم يوبخونه بقسوة باستخدام الافتراءات الطبقية، هذا يسحق أرواح الأطفال الصغار. ما ينطبع بشكل دائم على عقولهم غير الناضجة هو أن الإله قد خلقهم ككائنات متواضعة وكعبيد، أما إذا ارتكب صبي براهمن تو كشتري الخطأ نفسه، فإن هؤلاء الأشرار لا يطلبون منه أبدا الذهاب والتسول في الشوارع أو بيع الجرامات في السوق، أما إذا تبين وجود طفل ذكي وأداؤه جيد في الامتحان فهؤلاء الناس الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على المعرفة والحكمة يمطرونه بانتقادات لاذعة.. "، ويضيف المدير عن أن وصمة الولادة في طبقة منخفضة تلاحقهم أينما ذهبوا قائلًا: " قد لا تعرف ولكن وصمة الولادة في طبقة منخفضة تبقى معك طوال حياتك، من بين كل عشرة اجتماعات عامة تعقد في المدينة التي أعيش فيها، يتم تقديم الكرسي لي في ستة اجتماعات بسبب مؤهلاتي ومنصبي، لكن في المناسبات الاجتماعية الهندوسية، لا يسمح لي وضعي

بالجلوس حتى عند أقدام براهمن، ولتجنب مثل هذا الإذلال عزلت نفسي عن المجتمع، ولا أستطيع العمل في شمال الهند وهو مكان ولادتي، ربما تكون قد سمعت اسم الدكتور السير براجيندر ناث، والذي كان باحثًا عظيمًا في الفلسفة الغربية، كان نائب رئيس جامعة ميسور وكان يحصل على راتب يبلغ نحو 2,500 روبية فقط، لأنه كان ناي بالولادة، ابنه هو أيضًا في خدمة التعليم الهندي كان نائب رئيس كلية حكومية في ولاية مومباي، ولكن الهندوس في الطبقات العليا يسخرون منه، قائلين: "إن كونه جزءًا من خدمة التعليم الهندية لا يحدث فرقًا، بعد كل شيء هو ناي"، لهذا ترك الهند وذهب إلى أوروبا وتزوج من امرأة فرنسية، أطفاله لا يعرفون شيئًا عن الطبقية، ولا يتحدث أحد في منزله اللغة الهندوستانية، إنه يعتقد أنه حرر جيله القادم من العبودية!"[136].

إن ما تم طرحه هو فقط شيء بسيط من التمييز والعنصرية والاضطهاد الذي يتعرض له طبقة الشودر، وهذا التمييز والعنصرية مستمرة ما دامت الطبقية هي التي تحكم المجتمع الهندي، الشودر مجتمع يعاني ويكافح من أجل أن يعيش، ويتعرض للظلم والاضطهاد، إلا أن هناك من هم أسوأ حظًا منهم وهم الداليت أو المنبوذون، لأن ما يتعرضون له من تمييز أسوأ بكثير مما يتعرض له الشودر.

[136] Kumar, Suresh- FORWARD Press- 'Shudra' is not a terminology of Dalit-OBC castes- 22\6\2021- Viewed: 2\3\2022. https://2u.pw/ue7oYA

ثانيًا: الداليت:

تعني (الداليت) بالسنسكريتية (المتناثرة) وهم الأشخاص الذين لا ينتمون إلى الطبقات الهندية في النظام الاجتماعي الهندوسي والذين يوصوفون بإنهم لا يمكن المساس بهم، يعدّ الداليت طبقة خامسة من الطبقات الهندوسية، بل تعدّ أدنى مرتبة ولا تعد ضمن الطبقات الاجتماعية أساسًا، انتشر المصطلح بعد أن أطلق الدكتور أمبيدكار هذا المصطلح على هذه الطائفة[137]. وتبدأ العنصرية التي يتعرض لها أصحاب هذه الطبقة منذ الولادة، ولا يدرك الأطفال سبب تحقير وكراهية الآخرين لهم في بداية طفولتهم، ثم شيئًا فشيئًا يدركون أنهم يتعرضون لهذا التمييز والعنف والكراهية لا لشيء وإنما فقط لآنهم ولدوا في طبقة ينظر إليها الآخرون على أنها نجسة أكثر من الحيوانات الضالة.

أصر الدكتور أمبيدكار على تسمية هذه الطائفة باسم الداليت إشارة منه إلى وضعهم، كما أراد منحهم حق التمثيل السياسي عام 1932م، إلا أن غاندي رفض ذلك، ولم يمتلك أمبيدكار من مفر سوى الخضوع والتنازل عن مطالبه، وذلك بعد أن أعلن غاندي أنه سيصوم ويضرب عن الطعام حتى الموت إذا لم يتراجع الدكتور عن قراره[138]، الأمر الذي نتج عنه ميثاق بونا[139]،

---

[137] Subodh Ghildiyal & Swati Mathur- From Buddhist texts to the East India Company to date, Dalit has come a long way- 5\9\2015- Viewed: 8\9\2022. https://2u.pw/2w1ZLY

[138] إسلام المنسي- الداليت في الهند: منبوذون منذ الولادة- 28\3\2022- شوهد في 8\9\2022 https://2u.pw/xJ75eN

[139] See: Poona Pact- 24\9\1932- https://2u.pw/rCphQP

وبعد توقيع الاتفاقية حصل الداليت على 148 مقعدًا في الدوائر الانتخابية[140]، إلا أنه ومن الواضح أنه في مجتمع يعيش حياته وينظمها على حسب الطبقية لا بد للنواب الداليت التنازل عن كثير من حقوقهم حتى تحقق الطبقات العليا سعادتها ورفاهيتها، الخلاصة أنه لا يمكنهم العمل بصدق وأمانة، ولن يستطيعوا أن يضمنوا حقوق الداليت أو أن يحموها .

وعلى الرغم من توقيع اتفاقية بونا، وعلى الرغم من أن الدستور ألغى الداليت رسميا عام 1950م إلا أن التمييز ضدهم لا زال قائمًا[141]، ويقدر عدد المنتمين إلى هذه الطبقة بحوالي 250 مليون نسمة[142]، ويتعرض عدد كبير من أبناء هذه الطائفة للعنف والاضطهاد وتتعرض الفتيات إلى حوادث الاغتصاب والقتل[143].

يتعرض الداليت للتمييز ويعاملون على أنهم منبوذون في المجتمع الهندوسي، حيث يتعرضون للتمييز الاجتماعي والديني والاقتصادي، ففي ظل حكم البيشوا في ماراتا كان الداليت لا يسمح لهم باستخدام الشوارع التي يستخدمها بقية الطبقات، لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك سيلوث ظل

---

[140] India News- Gandhi, Ambedkar and the 1932 Poona Pact- 1\10\2019- Viewed: 8\9\2022. https://2u.pw/uVjFT9

[141] Human Rights Watch- Broken People: Caste Violence Against India's "Untouchables"- New York, Washington, London, Brussels- 1999. All India Mahila Adhikar Manch (AIDMAM)- Dalit Women Rise for Justice- 2021.

[142] بؤساء الهند من "الداليت".. طائفة منبوذة تتعرض للتمييز (تقرير)- 18\10\2020م، شوهد في 8\9\2022. https://2u.pw/gOzUqq

[143] بؤساء الهند من "الداليت".. طائفة منبوذة تتعرض للتمييز، المرجع السابق.

الهندوسي من أصحاب الطبقات العليا، كما أنهم كانوا يرتدون خيطًا أسود حول معاصمهم أو رقابهم حتى لا يتم لمسهم من قبل الطوائف الأخرى؛ لأن ذلك سيؤدي إلى تلويثهم، بالإضافة إلى أنه كان يتم إجبار الداليت على حمل مكنسة مربوطة على الخصر وتتدلى لتكنس الطريق الذي يمشون عليه ولنفض الغبار الذي يلمسهم، حتى لا يقع ذات الغبار على أصحاب الطوائف الأخرى، وكان يحمل حول رقبته وعاء ليبصق فيه إذا أراد ذلك، لأن سقوط بصاقه على الأرض يلوثها ويلوث من يدوسها من الطبقات الأخرى[144] .

لم يقتصر النبذ والعنصرية ضدهم على الحياة الاجتماعية والسياسية، بل تعدت لتشمل الحياة الدينية والعبادات، حيث لا يمسح للداليت بدخول المعابد، ولا يمكنهم قراءة الكتب المقدسة وإذا حدث وشاهد شخص من أصحاب الطبقات العليا عليه أن يرمي نفسه على الأرض ولا ينظر إليه.

ونضرب هنا بعض الأمثلة على العنصرية والتمييز الذي يعاني منه هذه الطبقة: يذكر أنه تمت مقاطعة 40 أسرة من الداليت بسبب قطف فتاة صغيرة من الداليت زهرة من حديقة كانت تنتمي للطبقة العليا، وتعرض رجل آخر من الداليت للضرب هو وأفراد أسرته بعد أن تم اتهامه بلمس دراجة نارية تعود لرجل من الطبقة العليا، وتعرض محامٍ آخر من طبقة الداليت للقتل بسبب نشره

---

[144] Ambedkar, B.R, The Annihilation of Caste, Why social reform is necessary for political reform.

منشورًا على وسائل التواصل الاجتماعية انتقد فيه الطبقة العليا. ووفقا للبيانات الحكومية لعام 2019م، زادت الجرائم ضد الداليت، وصرح نشطاء حقوقيون أن سبب زيادة العنف هو دحض أي جهود نحو الحراك الذي قد يهدد النظام الطبقي في الهند[145] .

وفي مجتمع منبوذ آخر عرف باسم Balais لم يسمح للنساء بارتداء الحلي والمجوهرات، ولم يسمح لهم بارتداء العبايات الساترة، كما تم إجبار أصحاب هذا المجتمع على العمل دون أن يكون لهم حق طلب أجورهم، وعليهم أن يرضوا بما يعطيهم إياهم الهندوسي صاحب الطبقة العليا، ولم يسمح لهم بالمرور من خلال الأراضي التي يملكها الهندوسي، أي أنه إذا كان حقل المنبوذ يقع وسط حقول أصحاب الطبقات الأخرى فإنه لن يستطيع الوصول إليه، ولأنهم عارضوا هذه القوانين تم منعهم من الحصول على المياه من الآبار، ولذلك اضطروا إلى الهجرة وترك منازلهم[146].

وفي مجتمعات أخرى تم منع الأطفال من ارتياد المدارس الحكومية، وتعرضت بعض النساء للاعتداء والضرب؛ لأنهن استخدمن إناءً معدنيًا لنقل المياه، الأمر الذي اعتبره الهندوس إهانة لكرامتهم، وفي عام 1936م تعرض عدد من المنبوذين إلى الضرب والعقاب؛ لأن أحدهم أقام

---

[145] Human Rights Watch- India Events of 2020- Viewed: 8\9\2022.
https://2u.pw/NZWCCtA

[146] Why social reform is necessary for political reform, ibid.

مأدبة لأصدقائه من طائفته قدم فيها السمن لهم، الأمر الذي اعتبره الهندوس وقاحة وإهانة لهم، حيث لا يحق للمنبوذ تناول السمن[147].

ووفقا للبيانات الحكومية، استمرت الهجمات ضد داليت والأديفاسيين في الارتفاع، وما تزال نساء داليت والأديفاسي معرضات بشكل خاص للعنف، بما في ذلك العنف الجنسي[148].

وقال تقرير صادر عن اللجنة الأمريكية للحرية الدينية الدولية يراقب انتهاك الحرية الدينية في الخارج: "في ظل الحكومات التي يقودها حزب المؤتمر وحزب بهاراتيا جاناتا، واجهت الأقليات الدينية والداليت، التمييز والاضطهاد بسبب مزيج من القوانين الفضفاضة أو غير المحددة بشكل جيد، ونظام العدالة الجنائية غير الفعالة، والافتقار إلى الاتساق العقدي والاجتماعي"، وخاصة منذ عام 2014م عندما تولى حزب (بهاراتيا جاناتا) بقيادة رئيس الوزراء مودي.

في واقع الأمر فإن الهندوس يعاملون كل من لا ينتمون إلى طبقتهم وكأنهم أجانب، يمكن التمييز ضدهم دون التعرض للعقاب، كما يمكن ممارسة الاحتيال ضدهم دون خجل أو رحمة، مع أنه بموجب الأحكام الدستورية والقوانين المختلفة، تمنح الدولة الداليت عددًا معينًا من الامتيازات إلا أن النظام الطبقي السائد يحول بين تطبيق الدستور.

---

[147] Why social reform is necessary for political reform, ibid.

[148] National Crime Records Bureau, Ministry of Home Affairs, Government of India- Crime in India, 2020- 9\2021- Viewed: 8\9\2022.

لا يعدّ الداليت أقلية ولا يعتبرون طائفة دينية منفصلة عن الهندوسية، لأنهم على الرغم من عدم قدرتهم على قراءة الكتب المقدسة وزيارة المعابد إلا أنهم دينيًا وعقديًا ينتمون إلى الهندوسية، ووطنيًا ينتمون إلى بلاد الهند، إذا ما سبب معاملتهم بالعنصرية؟

فأي أمة وسلطة لا تسمح لأبناء دينها ووطنها بالدراسة في المدارس العامة؟ وأي سلطة تمنع أبناء وطنها من استخدام آبار المياه؟ وتمنعهم من استخدام الشوارع؟ أي أمة تتمع أبنائها من ارتداء الملابس والحلي، وتمنعهم من تناول الطعام الذي يحبونه؟

يدافع الهندوس عن نظام الطبقات بأن هذا التقسيم الطبقي هو تقسيم بحسب العمل وليس العمال، ولذلك لا يوجد أي خطأ في هذا النظام، إذا كان الأمر كذلك إذًا لماذا تعرض الداليت للتمييز الاجتماعي والديني والسياسي؟ ثم إن هذا التقسيم لا يقوم على الكفاءة والقدرات الفردية للفرد، حيث لا يتم اختيار الأفراد حسب قدراتهم وطموحاتهم لينضموا إلى الطبقة الاجتماعية، وإنما الاختيار مقدر وعفوي على أساس الوضع الاجتماعي سواءً أراد الفرد ذلك أو لم يرد ذلك، وكنتيجة لذلك ومع التطورات السريعة والمفاجئة في جميع المجالات سيؤدي ذلك إلى زيادة البطالة، وسيعاني الأفراد من الجوع وعدم القدرة على توفير احتياجاتهم، إذا لم يسمح للأفراد من هذه الطبقات بممارسة مهن أخرى، وكيف لشخص أجبر على ممارسة مهنة لا يرغب فيها وقد تكون منفرة ومقززة له أو ينفر الناس منه بسببها أن يكون منتجًا؟

ويدعي بعض الهندوس أن الهدف من نظام الطبقات هو الحفاظ على نقاوة العرق والدم، لا يوجد ما يسمى العرق النقي في العالم، فجميع شعوب العالم اختلطت في فترة ما مع غيرها، وخاصة الهند لا يوجد بها شيء كذلك، ومع تعدد الأعراق والطوائف التي سكنتها طوال فترة تاريخها[149]، والذي يؤكد أنه لا توجد أي طبقة أو طائفة هندوسية سواء كانوا براهمة أو كشتريا أو الطبقات الدنيا لم تختلط بسلالة أجنبية وتعاليمها تسمح بإقامة علاقات خارج إطار الزواج، وخاصة أصحاب الطبقات العليا؛ لأن ذلك يعدّ عبادة بل ويجب إشباع رغباتهم؛ لأن ذلك سيجلب الأجر والثروة والخلاص، فالوهم القائل إن نظام الطبقات يحافظ على نقاء الطبقات والعرق غير حقيقي، وكأن النظام الطبقي موجود منذ الأزل؛ لأنه حديث الظهور في الأساس.

ولنفترض أن الغرض من النظام الطبقي هو الحفاظ على نقاء العرق والحفاظ على النسل، هل يتطلب ذلك منع الاختلاط والمعاملة بالتمييز والعنصرية والتعامل في بقية أمور الحياة، هل التعامل مع الآخر في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يؤدي إلى اختلاط الأنساب؟

الطبقية في الهند لم تؤدِ إلى شيء سوى تشويش وإحباط المجتمع الهندي والشعوب التي تسكن بلاد الهند، المجتمع الهندوسي في أساسه غير متماسك ولا يشكلون مجتمعًا واحدًا، فهم فقط مجموعة من الطوائف والطبقات تعيش كل منها في انعزال عن الطبقات الأخرى، وهذه الطبقات

---

[149] Bhandarkar, Devadatta Ramkrishna, Foreign elements in the Hindu population, Dept. of Ancient Indian History and Culture, University of Calcutta, Calcutta, 1968.

لا تشعر بالانتماء إلى بعضها البعض، وكل طبقة تتميز عن الأخرى بلباسها وشعائرها، ومع ذلك ستجد الكثير من الهندوس يرفضون الاعتراف بأنهم ليسوا أمة، وليسوا كيانًا ومجتمعًا واحد، ومن يعتقد أن الهندوس مجتمع واحد يعاني من سوء فهم الأساسيات والقواعد التي تكون المجتمع والأمة، فحتى وإن كان الهندوس يتشابهون في الأفكار والعادات والتقاليد والعبادات لا يعني ذلك أنهم يكونون مجتمعًا متناسقًا، لأن تكوين مجتمع متناسق يتطلب المشاركة والتواصل والبحث عن وجود أشياء مشتركة للتعايش والتقدم والتطور، والهندوس على الرغم من أنهم يتشاركون في الكثير من الأفكار والعادات والتقاليد، وعلى الرغم من أنهم يحتفلون بالأعياد نفسها، إلا أن كل طبقة تقيم طقوس ذلك لوحدها وإن كانوا يعيشون بجانب بعضهم البعض، وكذا هو الحال عند وفاة أحدهم تقيم الجنائز بالطقوس ذاتها، ولكن لا يشارك أصحاب الطبقات الآخرى في تعزية بعضهم البعض، فالمشاركة والإحساس بمشاعر الآخرين هو ما يربط المجتمع وليست بالعادات والتقاليد.

فكيف نبحث عن مجتمع متماسك يتكون من أفراد يتصف بالروح المعادية للطبقات الأخرى؟ حيث تسعى كل طبقة إلى حماية مصالحها، البراهمة يسعون إلى حماية مصالحهم ضد الطبقات الأخرى، فيما تحاول الطبقات الأخرى الدفاع عن نفسها وعن مصالحها ضد البراهمة.

وكيف نبحث عن مجتمع متماسك لا يشعر بالثقة اتجاه بعضهم البعض؟ فأصحاب الطبقات الدنيا لا يشعرون بالأمان اتجاه الطبقات الأخرى، وخاصة أنهم يتعرضون للعنف والاضطهاد

من أصحاب الطبقات العليا، وهم على يقين أنهم إذا تعرضوا إلى الاضطهاد من عدو خارجي لن يجدوا أحدًا من ديانتهم يقف إلى جانبهم ويحيمهم.

المنبوذون في المجتمع الهندوسي هم عبيد بكل ما تعنيه الكلمة من معنى في زمن أصبحت العبودية جريمة يعاقب عليها القانون، وتعتبرُ ضد الحقوق البشرية والإنسانية.

من الطبيعي أن يفكر أي إنسان يشاهد هذا النظام الطبقي والتمييز والعنصرية أنها سيئ وغير عادل، ومن الطبيعي أن يطلق على من يمارس العنصرية من أصحاب الطبقات العليا ضد الداليت بأنهم وحوش أو أنهم غير إنسانيين، ولكن الهندوس لا يعتقدون ذلك لأنهم يؤمنون أنهم حين يمارسون التمييز والطبقية ضد بعضهم البعض فإنهم يطبقون قواعد دينهم ومعتقدات كتبهم المقدسة.

الهندوسية بحاجة إلى إصلاح اجتماعي، والإصلاح الاجتماعي في الهندوسية لا يشابه الإصلاح في أي مجتمع آخر، ففي أي مجتمع آخر الإصلاح الاجتماعي يعني إصلاح الأسرة ومراجعة حقوق الأسرة والمرأة والأطفال، أما الإصلاح الاجتماعي في الهند فيتطلب إلغاء وتفكيك نظام الطبقات أولًا، يلي ذلك إصلاح الأسرة.

ودعوة المهاتما غاندي إلى اللاعنف والتحلي بالأخلاق الحسنة والقيم الإنسانية، والاعتقاد في أنها ستساهم في إصلاح المجتمع وهم كبير، فحتى وإن اقتنع أصحاب الطبقات العليا بأنه يجب عليهم معاملة الطبقات الدنيا والمنبوذون بأخلاق رفيعة ومساواة دون تمييز فلن يؤدي ذلك إلى

نتائج. لأن تغيير هذا السلوك لا يتطلب إصلاحا اجتماعيا فقط، وإنما يتطلب تغيير المفاهيم والمعتقدات الدينية التي تزرع هذه الأفكار، وفعل ذلك ليست مهمة سهلة ولكنها ليست مستحيلة، وبداية ذلك تكون من تفكيك النظام الطبقي على النحو الذي اقترحه الدكتور أمبيدكار.

حاول الدكتور أمبيدكار لفترة طويلة نبذ النظام الطبقي، من خلال المؤتمرات والمسيرات والمؤلفات التي كتبها، ومن أهم مؤلفات الدكتور أمبيدكار مقاله الذي كتبه بعنوان (إبادة الطائفة) عام 1963م بعد أن دعي من قبل (جمعية إلغاء نظام الطبقات) لإلقاء خطاب عن نظام الطبقات، إلا أن اللجنة نفسها ألغت المؤتمر بأكمله بعد أن رفض الدكتور أمبيدكار طلبهم بضرورة تغيير محتوى المقال قائلًا: "إنه لن يغير فاصلة"، في المقال نقد الدكتور النظام الطبقي والنصوص الدينية التي تحرض على الطبقية بالإضافة إلى النصوص التي تحرض على الكراهية والعنف، وقد نشر الدكتور أمبيدكار مقاله عام 1936م، ونشر المقال مرة أخرى عام 1937م باسم (إبادة الطائفة مع الرد على المهاتما غاندي)[150].

وقد نشر الشاعر (كاتشا أيليا) كتابه الذي يتحدث فيه عن الداليت بعنوان: (لماذا أنا لست هندوسيًا[151])، نقد في كتابه هيمنة الهندوتوا وممارساتها العنيفة في المجتمع الهندوسي الأمر

---

[150] Ambedkar, B.R., The Annihilation of Caste- A Vindication Of Caste By Mahatma Gandhi.

[151] Ilaiah, Kancha, Why I am not a Hindu, 16 Southern Avenue, Calcutta, 1996.

الذي حول الداليت إلى ضحايا عنف اجتماعي، ويروي أن سبب تأليفه لهذا الكتاب كان بعد تعامله مع الداليت لفترة طويلة جعله يفهم توجهاتهم المختلفة مع الهندوس وخاصة البراهمة.

ويشرح في بداية كتابه كيفية تجزئة الداليت عن المجتمع الهندوسي من الأزل، ويرى أن الداليت والشودر يلتزمون بثقافة وفلسفة تختلف عن الفلسفات الهندوسية، ولذلك لا يلزم دمجها مع الهندوسية واستيعابها في أفكار (الهندوتوا)، ويقترح أنه حان الوقت للمجتمع الهندوسي أن يسمع إلى ما نقوله ونطلبه. ويشرح (إيلايا) في كتابه كيف أن الداليت يعيشون حياتهم وعلاقتهم بمهنتهم، من حيث إنها التواصل القائم على الإنتاج فقط، وأنهم لا علاقة لهم بالآلهة والأساطير البراهمية، ويرى أن النظام التعليمي هو عبد لساسة الهندوتوا، ويرى أن أخلاق الكتب المدرسية تختلف عن الأخلاق التي يعيشونها حقيقة في المجتمع، ويسلط الضوء على الإقصاء الذي عانى منه الداليت ولم يشعروا أبدًا أنهم وحدة من نسيج الوطن. ثم يحلل (إيلايا) الجوانب المختلفة لحياة الداليت من زواج وأسرة وأن وظيفتهم تكمن في الإنتاج والإنجاب، ويرى أن الهندوسية التي تربط جميع جوانب وأنشطة الحياة بالإله هي هراء. ثم يجادل وينقد الحقيقة الهندوسية، وأنه يجب على الإنسان العمل دون انتظار والنظر إلى الثمار، موضحًا أن ثمار الأعمال نجدها دائمًا في يد البراهمة، في حين أن ما يحصل عليه الداليت هو الكدح والعمل الشاق والعنف والتمييز والعنصرية، ثم يناقش كيف أن فكرة النظام الطبقي ذاتها تخلق الانقسام في عقول الناس، وكيف أنها تحمل بطبيعتها طابع الصراع الداخلي على السلطة. ثم يقدم (إيلايا) نظرة عامة عن التغيرات التي حدثت أثناء وبعد الاستعمار في علاقة الداليت بالطبقات

الأخرى، وأن الهندوسية ما زالت وخاصة في ظل الهندوتوا تنظر إلى الداليت على أنهم الآخر في المجتمع، ثم قسم الأحزاب السياسية في الهند إلى أحزاب ليبرالية وأحزاب شيوعية وشرح أن كلاهما خذل الداليت وخدعوهم. ثم ينتقل إلى شرح علاقة الآلهة الهندوسية بمجتمع الداليت، وأشار إلى أن العديد من المؤسسات الهندوسية ساعدت في الحفاظ على هيمنة القوى البرهمية إما عن طريق إنشاء نظام طبقي، أو عن طريق اللجوء إلى العنف، ويجادل بأن العنف كان الآلية الرئيسية للسيطرة على الهندوسية، وهو ما يثبته من خلال حقيقة أن العديد من الآلهة الهندوسية كانوا يحملون أسلحة، على عكس آلهة الأديان الأخرى، ثم يعرض دراسة مقارنة للموت في كل من المجتمعات الهندوسية والداليت.

في الفصل الأخير من الكتاب، يطرح (إيلايا) أجندته المبتكرة المتمثلة في الداليت، وليس الهندوسية، وعنى بذلك أن المجتمع الهندي يجب أن يتعلم من الداليت كيفية عيش حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والدينية، حيث يشير إلى أن الداليت تجمعهم روح الوحدة والملكية الجماعية التي تمنعهم من التدهور ومن التأثر بالرأسمالية .

فالكتاب هو محاولة لتذكير الهندوس بممارسات الطبقات العليا التي تمارسها لتهميش الطبقات الدنيا وخاصة الداليت، فالهندوسية بالنسبة للمؤلف هو مصطلح يشير إلى الممارسات اللأخلاقية واللإنسانية لطبقة مؤثرة تسعى إلى الإمساك وتحكيم قبضتها على زمام الأمور في المجتمع.

الفصل الثاني: الآخر في الفكر الهندوسي.

المبحث الأول: الآخر في النصوص الهندوسية المقدسة:

تعدُّ النصوص المقدسة الهندوسية أساس الفكر والفلسفة الهندوسية، وهي قديمة جدًا تشمل المرحلة الأولى والثانية من التاريخ البشري ما قبل وما بعد الميلاد، إلا أنها ظلت محافظة على معرفتها عن طريق الاندماج بين القديم والحديث.

ولأن الهندوس لا يتقيدون بعقيدة موحدة، ولذلك يؤمنون بعدد لا يحصى من الآلهة ومن قوى الطبيعة، وكنتيجة لذلك وجد لديهم الكثير من المصادر الدينية الأساسية، حيث تم تأليف كتب مختلفة عن آلهة مختلفة، وينبع تقديس هذا العدد من الآلهة من الاتجاه الروحاني للفكر الهندوسي، الذي يقوم بتأليه أي كائن حي أو غير حي، وتقديس أي كتاب دون البحث عن أسباب لذلك.

المطلب الأول: وحدة الإنسانية وتكريم الآخر.

1- وحدة الإنسانية: بدأت الإنسانية أمة واحدة، هذا ما تقرره النصوص الهندوسية المقدسة، في أساطيرها عن خلق الكون والإنسان، ففي رواية **بهيشم لنكول** حول قصة خلق المخلوقات، يقول: ثم أنجب الجد الإلهي بقوة إرادته بعض الأبناء، الذين يمتلكون قوة وطاقة كبيرة هم الحكماء

المهاريشي... وهؤلاء الحكماء أخذوا لهم نساء أنجبوا جميع مخلوقات الكون من ديفتا (آلهة)، وبيتر Pitri (أسلاف البشر)،... [152].

قصة أخرى من قصص خلق الكون تُبين وحدة الخلق تختلف عن القصة التي تحكي عن أن الناس خلقوا بعد أن ضحى الإله **بوروش** بنفسه، وهي أقرب إلى الواقع من أنها تضع جميع المخلوقات في مستوى واحد مع الإله، فهي أقرب إلى الفلسفات التي تقول بوحدة الوجود، حتى الفلسفات التي تؤمن بالنظام الطبقي ترى أن الخلق متساوون، وأنهم شيء واحد مع براهما.

ونضيف تأكيدًا على ذلك نصًا آخرًا مضمونه: هذا هو الإله الأعلى خالق جميع الكائنات، روح جميع المخلوقات، قبل كل شيء من جميع اليوغيين من الجسم الضخم والقوة العظيمة، إنه رب جميع الكائنات، سيد اليوغا، الزاهد العظيم، روح جميع الكائنات الحية، كونوا ساكنين جميعًا، إنه كريشنا، مدمر جميع العقبات والعوائق، هذا الإله الأسمى ذو الروعة التي لا تقاس، ذلك الملجأ العظيم لجميع البركات، بعد أن حقق أصعب إنجاز لا يستطيع الآخرون تحقيقه، عاد إلى طبيعته غير المختلطة، هو الذي انبثقت منه سرة اللوتس البدائي، هو خالق جميع الكائنات ليست هناك حاجة للحزن إنه الرسام، إنه مبدأ الخلق، إنه المدمر، إنه الذي يدعم كل العالم، الهدير الذي

---

[152] The Mahabharata of Krishna, Dwaipayana Vyasa, Translation: Krishan Mohan Ganguli, 2003, V 3, Book 12, Section CLXVI. (بتصرف).

أزعجك ينطق به ذلك الشخص ذو الروح العالية، إنه موضوع العبادة العالمية، أبدي وأزلي غير قابل للانتهاء، هذا الشخص ذو عينين اللوتس هو أصل جميع الكائنات وربها[153].

ولكن إذا كان أسلاف البشر المذكور هنا هو (بوروش) الذي ضحى بنفسه من أجل أن يخلق البشر، كما ذكر في ريج ويدا: عندما أحرقوا **بوروش** كم عدد الأجزاء التي قسموه إليها؟ ماذا كان يسمى فمه، ما هي ذراعاه، ما هي فخذاه، ماذا كانت تسمى قدماه؟، أصبح فمه (براهمان)، وأصبحت ذراعاه (كشتريا)، وأصبحت فخذيه (فايشي)، وولد (شودرا) من قدميه، لقد ولد القمر من عقله وولدت الشمس من عينه، وولد إندرا وأغني من فمه وفايو من أنفاسه، ومن سرته جاء الثبات، من رأسه أنتجت السماء، والأرض من قدميه، أرباع الفضاء من أذنه لذلك شكلوا العالم[154].

النص السابق يبين تكون النظام الطبقي في المجتمع الهندوسي، بينما ينظر إليه أيضًا على أنه النص الذي يعكس الوحدة الكامنة وراء الحقائق البشرية والكونية والإلهية، لأن الجميع ينظر إليهم على أنهم ناشئون عن نفس الواقع الأصلي (بوروش)، يعتقد العديد من المفكرين والمفسرين أن هذه الفقرة تمت إضافتها في وقت لاحق من القرون الوسطى إلى نص الريج ويدا، يعدّ Kamesvara Aiyar أن: فقرة بوروش قد تمت إضافتها في وقت لاحق في النص الويداي، بشكل عام ربما كأسطورة ميثاق[155]، وتؤكد تسفاني جاميسون وجويل بريتون أستاذ السنسكريتية

---

[153] Ibid– CCIX

[154] Rig Veda 10: 19. 11:14.

[155] Aiyar, B.V. Kamesvara, The Purusha Sukta, G.A. Natesan, Madras, 1898, P8.

والدينية على ذلك بقوله: "لا يوجد دليل في ريج ويدا على وجود نظام طبقي متقن ومنقسم إلى حد كبير وشامل"، "ويبدو أن نظام فارن في ريج ويدا أضيف لاحقًا، وذلك أيضًا يبدو وكأنه يكون نموذجًا اجتماعيا، وليس واقعًا اجتماعيا"[156]. حيث إن جميع المفاهيم الرئيسية ذكرت في الويدات الأربعة متضمنة المفاهيم المتعلقة بالإنسان الكوني بوروش عدا نظام فارن فلم يذكر في أي مكان آخر من الويدات الأربعة[157].

النظام الطبقي في حد ذاته في الهندوسية موضوع شاسع جدًا، يستطيع الإنسان أن يؤلف فيه كتبًا وليس رسائل فقط، وليس هو موضوع البحث، ولكن رأى الباحثة أنه من الضروري توضيح بعض النقاط بما أن الشودرا والداليت يحتلون مكانة الآخر في المجتمع الهندي جنبًا إلى جنب مع المسلمين والمسيحيين، وهنا نوضح نقطة أخرى اعتمادا على نص من شيفا بوران[158]، بشأن بوروش الروح الأسمى الذي خلق منه الكون.

النص الذي يبين أن بوروش هو الإله المنقذ وهو ملجأ الجميع دون استثناء، وهو هدف العبادة، كما أنه إله يخلق الوحدة في جميع المخلوقات والبشر بحيث لا يكون بينهم أي تمييز، الإله الذي

---

[156] Stephanie W. Jamison, and Joel P. Brereton, The Rigveda: The Earliest Religious Poetry of India, Oxford University Press, Oxford New York, 2014, Vol 1, P57.

[157] Raghwa, G.N.S, Discovering the Rigveda a Bracing text for our Times, Kalpaz Publications, Delhi, 2009, P77-88.

[158] Shastri, J. L, The Shiva Purana, Translation: Board of Scholars, Motilal Banarsidass, Delhi, Patna, 1950, Vol 2, 2:15

يحقق العدالة والوحدة، إذن، إذا كان الإله الذي خلق العالم يتصف بالعدالة والوحدة، كيف يمكن أن يكون هناك تمييز وعنصرية ضد المخلوقات الذين خُلقوا منه، ولم يخلقهم هكذا من العدم وإنما ضحى بنفسه من أجل أن يخلقهم، ولأنهم خلقوا منه ألن يكون الخلق كله طاهر؛ لأنهم خُلقوا من أطهر وأعظم وأسمى روح، وإذا كان التمييز بسبب أنهم خلقوا من أقدامه وكعب أرجله، أليست هي ذات الأرجل التي ينحني لها ليس البشر فقط وإنما حتى الآلهة في السماء؟

والأغلب أن الجد الإلهي المذكور في نص المهابهارتا هو ذاته الإله الأسمى المذكور في ريج ويدا ومنو سمريتي فهو إله يحمل العديد من الأسماء، وأسلاف البشر المقصود هنا يقصد به الإله الإنسان الأول مما يدل على أن أصل البشر هو واحد.

وإذا افترضنا أنه تم تقسيم البشر إلى الطبقات الأربعة كما ذكرها بهيشم نتيجة لأعمالهم[159]، وهو ما ورد أيضًا في قول كريشنا في الغيتا: يتم توزيع واجبات البراهمة والكشتاريا والفايشي والشودرا وفقا لصفاتهم، وفقا لغون (gunas)[160]، والتي تعني: "الشخصية والطبيعة الفطرية والصفات

[159] The Mahabharata, V 3, Book- 12, CLXXXVIII.

[160] Bhagavad Gita, yogaVidya.com, 1\1\2007, 18: 41

النفسية للفرد"[161]، كما تعني الجودة أو المزايا والجدارة، وهي ليست محسوسة ولكن يمكن استنتاجها[162].

مرة أخرى يتم التأكيد على أنهم في الأصل متساوون، وأنهم انقسموا نتيجة لأعمالهم التي ارتكبوها في طبقات مختلفة، ولم ينقسموا بسبب أنهم خلقوا من أجزاء جسد بوروش، وبتلك الطبقات الدنيا من شودرا وداليت وشاندل سيكونون في المراتب الدنيا بسبب أعمالهم، والذين كانوا في الأصل براهمة خلقوا متساوين، ثم إذا استمر هؤلاء في التحلي بالأخلاق والفضائل والتزموا بالواجب سيرتقون في المراتب، ولكن لماذا يتم معاملتهم بتمييز وعنصرية؟ فليس هناك ما يدل على أنهم أنجاس.

– يقول كريشنا: في البداية خلق الإله الإنسان مع **يغي أو يغيا**، وقال الخالق: فلتزدهر رغباتكم ولتكتمل[163]، وأيضًا في قوله: إذا لم أقم بأداء عملي، فإن العوالم ستنهار، وبذلك سأكون المتسبب في دمار البشرية[164]، لم يقل في هذه النص البراهمة والكشتري بل حتى لم يذكر الهندوس، وإنما قال الإنسان وقال البشر، وتحت هذا المفهوم يأتي جميع الناس الذين يحملون الصفات الإنسانية من مسلمين ومسيحيين وداليت وغيرهم.

---

[161] Sudheer Deshpande, H R Nagendra, and Raghuram Nagarathna, “A randomized control trial of the effect of yoga on Gunas (personality) and Self esteem in normal healthy volunteers”, International Journal of Yoga, JanK Jun 2009, Vol 2, P13- 14.

[162] Wisdom Library, Guna, Guṇa, Gūna: 54 definitions, Viewed: 9\10\2022, https://2u.pw/Cl0TNs

[163] Bhagavad Gita 3: 10.

[164] Ibid 3: 24.

2- الحفاظ على حياة الآخر: في **الرامايانا** عندما نجح راما في حرق الشياطين أخبره **فيشواميتر**: يا راما أنت الوحيد الذي تمكنت من مساعدتي في هذه المهمة، لقد تمت هذه المحرقة، ليس لتحقيق رغبتي الخاصة ولكن لفائدة الإنسانية[165]. فلم تكن المحرقة من أجل حماية وإنقاذ فئة معينة من الناس وإنما كانت لحماية الإنسانية أجمعها.

- نصح بهيشم **يوديهيشتير** قائلًا: إن حماية الرعايا والشعب هو أساس واجبات الملك، الآلهة لا تشيد بأي واجب آخر بقدر ما تشيد بواجب حماية الرعايا[166].

وبناء عليه فإن توفير الأمن والأمان للآخرين هو من أهم واجبات الإنسان التي يجب عليه الالتزام بها، ولا يقتصر النص على ملك أو رئيس دولة، فكل إنسان ذو منصب تقع على عاتقه مسؤولية توفير الأمن للآخرين وحمايتهم، بل يجب عليه التعامل معهم برحمة وعطف وعدل ومساواة، لذا فإن المصيبة تكون أعظم إذا تحول الحامي إلى الجلاد.

وتوجد نصوص كثيرة تدل على أن الإنسان يجب عليه أن يعيش من أجل الآخرين، يساعدهم ويخفف معاناتهم، حتى إن الأموال والسلطة التي يريد أن يكتسبها يجب أن تكون من أجل الآخرين، وليس لأنه يطمع أن يكون له مكانة وسلطة على الآخرين ليحقق أهدافه، وأن على الإنسان الدفاع عن العدالة والحق حتى وإن اضطر إلى استخدام القوة، ولكن إذا كان يستطيع تحقيق الخير والعدل

---

[165] Narayanan, R K, The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, Penguin Books, 2006, "Rama's Initation".

[166] The Mahabharata V 3, Book 12, Section, LVIII.

للمجتمع دون أن يحكم على الآخرين بالمعاناة والألم فيجب عليه ذلك أولًا، فاستخدام العنف والقوة هو آخر حل.

لكن الواقع عكس ذلك تماما، حيث لا يتوارى الهندوس المتطرفون عن استخدام العنف والتطرف بأشكال مختلفة، ليس كحل أخير، وإنما كحل أول وأخير حيث يتم التحريض على العنف من على المنابر بشكل علني، دون محاولة الجلوس للتحاور والنقاش والبحث عن حل وسيط يرضي جميع الأطراف، فالحل الذي وصل إليه الهندوس هو حل يحل ويحكم فيه على المجتمع المسيحي والإسلامي والداليت ليعيشوا في المعاناة والبؤس بجميع أشكاله.

– في تفسير الفقرة: يقود هذا التخالط إلى الجحيم، لكل من العائلة ومدمريها، وكذلك يسقط أسلافهم،... [167]. يقول **المهاريشي ماهيش يوغي:** إن دمار المجتمع والنظام الاجتماعي يعد أكبر خسارة قد يعاني منها المجتمع، حيث يرى أرجون أن قتله لكل هؤلاء الناس سيؤدي إلى دمار المجتمع، وهو ينظر إلى أن ذلك سيؤثر على الأجيال القادمة، وذلك أمر ينبع من حكمته وحبه للبشرية والمجتمع[168]. يشير التفسير إلى أهمية النظام الاجتماعي وأهمية تماسكه، وأن تفكك المجتمع يؤدي إلى دماره وخسارته، المجتمع الهندي قبل الاستعمار كان مجتمعًا متماسكًا والتاريخ يشهد على ذلك ولفترة طويلة جدًا، إلا أنه ومع نجاح الاستعمار في بث سم الطائفية في المجتمع

---

[167] Bhagavad Gita 1: 42.

[168] Maharishi Mahesh Yogi, Bhagavad Gita Chapters 1–6, Penguin Books, 2nd ad, 1967, P66– 67.

الهندي، أدى إلى دمار المجتمع وتفكيكه إلى دول تعاني من آثار ذلك حتى اليوم، وقد عانت الأجيال اللاحقة معاناة لا تقل عن معاناة الأجيال السابقة، لأنهم حملوا في قلوبهم مشاعر الكراهية والعنف في قلوبهم ضد بعضهم، وتناقلوها من جيل إلى جيل، والمفارقة المضحكة أن مشاعر العداوة هذه ليست ضد دولة باكستان، أو ضد دولة الهند، وإنما هي مشاعر ضد المسلمين وضد الهندوس، وإن كان هؤلاء المسلمون مواطنين هنودًا في أصلهم يعيشون في بلاد الهند، أو كانوا هندوسًا يعيشون في باكستان، تعدّ الهندوسية ثاني أكبر دين في باكستان ويبلغ عدد الهندوس فيها أكثر من 8 ملايين هندوسي، وبحلول عام 2050م ستكون باكستان ثالث أكبر دولة من حيث عدد الهندوس فيها[169]، وكأن الهندوس يعيشون بأمان في باكستان، فهم معرضون للعنف والاضطهاد من بعض المسلمين المتطرفين بطرق مختلفة[170].

– في تفسير قول كريشنا: البشر الذين يمتلئون بالإيمان، ولا يقعون في الأخطاء، ويطبقون تعاليمي سيتحررون من العمل أيضًا[171]، يقول المهاريشي: البشر الذين يمتلئون بالإيمان يتحررون من الشك، ويتوقفون عن ارتكاب الأخطاء وإيجاد العيوب، فعدم ارتكاب الأخطاء وعدم التحدث بالسوء عن الآخرين يعد شرطًا أساسيًا لإدراك المطلق ونيل الحرية، لأنه عندما يتحدث الإنسان بسوء عن

---

[169] Pew Research Center, The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-2050, "Change in Countries with Largest Hindu Populations", 2\4\2015, P95.

[170] The New Humanitarian, Hindu minority lives in mounting fear, Viewed: 8\9\2022. https://2u.pw/C9LOPi

[171] Bhagavad Gita 3: 31.

الآخر فإن ذلك يجلب الأثر السيئ على نفسه، الأمر الذي يؤدي به إلى الوقوع في النجاسة، فالمقصود من يكرسون أنفسهم لي لا يجدون في أنفسهم أي عيب ويتحررون من العبودية[172]. يبين التفسير أن المؤمن الحقيقي يترفع عن البحث عن أخطاء الآخرين، ولا يتحدث عنهم بسوء، فلم يقل إنه لا يقتل الآخرين أو يذلهم ويزدريهم ويقتل نساءهم وأطفالهم، وإنما ذكر أدنى الدرجات فناهيك عن إيذاء الآخرين بأي فعل بل حتى لا يتحدث عن الآخرين بسوء، وهو ذلك الشخص الذي يكون إيمانه مكتملًا ومخلصًا لله تعالى، فالإيمان هو الذي يحمي الإنسان من الوقوع في الخطأ.

– قول كريشنا: الذين يظلون على حالهم في الشرف والعار والذين يعاملون كلا من الصديق والعدو على حدٍ سواء، والذي يهجر رغباته النفسية، سيرتقي فوق الدرجات العليا[173]، فسرها المفسرون: الإنسان الذي يساوي بين عدوه وصديقه، وبين عزته وذله، بحيث لا يهتم لثنائيات العالم، وينال رؤية متساوية لكل شيء، سينال درجات عليا والسعادة الأبدية[174]. لم تقتصر تعاليم الهندوسية على عدم إيذاء الآخرين، وعدم كراهيتهم أو الحقد عليهم، وإنما أوجبت على الهندوسي الذي يريد نيل السعادة والخلاص أن ينظر لعدوه كما ينظر إلى صديقه، لا يعني ذلك أن يمتنع

---

[172] Bhagavad Gita Chapters 1-6 P227.

[173] Bhagavad Gita 14: 25.

[174] أنند، سوامى اڑگڑ، شرى مد بهگود گيتا: يتارتھ گيتا، شرى پرم ہنس آشرم شيكتس گڑھ مقام وبوست، اتر پرديش، ص305.

عن إيذائه، وإنما يجب عليه معاملته معاملة الصديق، بحيث يتمنى له الخير ويعاونه إذا احتاج المساعدة.

– أجاب بهيشم يوديهيشتير عندما سأله عن: ما هو البِر والواجب قائلًا: البر هو الذي يمنع إيذاء المخلوقات، البِر (دَرَهْم أو الدهارما) يسمى بهذا الاسم؛ لأنه يدعم الآخرين ويدعم المخلوقات، يتم دعم جميع المخلوقات من خلال البِر أو دَرَهْم... [175].

– يقول منو: معاقبة الأبرياء يقضي على التمايز بين الناس، ويرفع الحواجز، بحيث لا يعتدي فريق على آخر، ويعيش الشعب باطمئنان وأمان، عندما يكون العقاب متبخترًا بردائه الأسود، وعينيه الحمراوين، مبيدًا المجرمين[176]. يدل النص السابق أنه للحفاظ على الأمن والأمان وللحفاظ على حياة الآخرين لا بد من معاقبة المجرمين، وأن معاقبة الأبرياء بدلًا من المجرمين، يمهد الطريق للمعتدين والمجرمين ليتمادوا في أفعالهم، بحيث يسبب الأذى لمن حوله ولا يبالي لأنه متيقن أن لا أحد سيعاقبه، في مقابل ذلك معاقبة الأبرياء بدلًا من المذنبين يؤدي إلى انتشار الظلم بين الناس، كما يشير النص أنه لا بد من معاقبة من يسبب الأذى للآخرين، لأن العقاب هو الرادع عن ارتكاب أفعال تضر الآخرين نفسيًا وجسديًا واقتصاديًا.

---

[175] The Mahabharata V 3, Book,12, Section CIX.

[176] منو سمريتي، 7: 24– 25.

النصوص السابقة تبين أن النصوص المقدسة الهندوسية تدعو إلى الحفاظ على الحياة والبشرية والعالم بأكمله، من خلال تحقيق العدالة عندما يرتكب الإنسان الذنب بسبب العجز البشري سواء كان ضعفًا أو قوة، وهذا العقاب سيحل بالجميع سواء كانت المخلوقات سماوية أو أرضية.

3- الاحترام والحفاظ على كرامة الآخر: أخبر **فالي** راما حين أطلق عليه السهم واتهمه أنه حاول قتل أخاه **سوغريف** وتزوج من زوجته: أنني حاولت مساعدة زوجة أخي، لأنني لم أستطع أن أتركها لقدرها، ونحن مجتمع قردة، لا تنطبق علينا قوانين العالم البشري ومبادئه الأخلاقية، فأجابه راما: واجبي يحثني على أن أساعد الضعيف، وأدمر الشر حيثما أشعر به، وأنا أساعد الذين يحتاجون عوني ومساعدتي دون النظر إلى جنسهم،... [177]. يدل حوار راما هنا على أن الإنسان الذين يمتلك القدرة على التفريق بين الصواب والخطأ وبين الشر والخير يجب عليه الجلوس ومناقشة أي قضية تواجهه بطريقة سلمية، ومحاولة الوصول إلى حل لها، وأن الإنسان الذي يفقد قدرته على التفريق بين الشر والخير ويتصرف بغضب وعنف وحقد هو في منزلة الحيوانات، كما يدل أنه يجب مساعدة الإنسان الآخر الضعيف دون النظر إلى جنسه وطائفته وانتمائه.

-اقتنع فالي بما قاله راما وشكره وهو يقول ويطلب منه العفو والسماح: "أرجو منك أن تعفو عن أفعالي وأقوالي الفظة، لأنك لم تعاملني كمجرد قرد كما كنت أرى نفسي، وبدلًا من ذلك رفعت من

---

[177] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic “Vali, Dundubi’s Story”.

قدري واحترمتني، ووهبتني وأنا على وشك الموت أعلى الدرجات وأعظم البركات... "[178]. يدل حوار فالي أن راما لم يهتم بحقيقة ونوع وجنس فالي، وإنما فقط أراد أن يساعده ويخلصه من ذنبه، ويوجهه إلى الطريق الصحيح، وهذا دليل على أنه كان يتقبل الآخر دون النظر إلى أصله ودينه وجنسه.

– تزوج **بهيم** من هيديمبي التي كانت في الأصل من الراكشس[179]، فلم تكن في حقيقتها من البشر أساسًا، إلا أن بهيم تقبلها زوجة له، وتقبلها إخوته كذلك كزوجة لأخيهم، وتقبلتها كونتي كزوجة ابنها، وتقبلوا ابنهم غاتوتكشا كذلك، فهي لم تكن إنسانةً في الحقيقة، وولدت له طفلًا قويًا غريب الشكل، وسماه والده غاتوتكاشا إلا أن بهيشم لم يتقبله كفرد من سلالة غورو، على الرغم من أنه اعترف به كحفيده، وذلك من أجل ألا يطالب هو وسلالته في المستقبل حقهم في ملك هستنابور.

– حينما ذهب (الباندو) مع والدتهم للتخفي والسكن في إيكاتشكر كما نصحهم جدهم **فياس**، بعد أن حاول **دريودهن** قتلهم، عاشوا هناك بين عامة الناس وقاموا بحمايتهم على الرغم من أنهم تنكروا كبراهمة، حتى إنهم حاربوا وقتلوا العفريت **باكا سور** لحماية عامة الشعب، وعندما وصلوا إلى بانتشال سكنوا في بيت صانع فخار فقير من الطبقة الدنيا[180].

---

[178] Ibid.

[179] ويد وياس، مهابهارات سمپورن اثهارهِ پرو، گرگ اينڈ كو تهوک كتبخانه: دلهى، ص36.

[180] المرجع نفسه، ص37–38.

– أجاب كريشنا **جراسند** الذي طلب منهم أن يصارحهم بحقيقتهم عندما ذهبوا إلى قتله وهم متنكرون في ثياب الزهاد، وشك في أنهم ليسوا براهمة وإنما كشتاريا، قائلًا: ما العجب في تشابه البراهمة، والكشتاريا المحاربين، والفايشي الباعة والتجار، والعبيد، وإن اختلفت عباداتهم وتعاليمهم... [181]. يبين النص أنه لا فرق بين الإنسان وأنهم جميعهم متساوون، سواءً كانوا ينتمون إلى طبقة البراهمة أو طبقة الكشتاريا أو طبقة الفايشي أو العبيد، يدل ذلك على أن جميع الناس سواسية.

– عندما سأل يوديهيشتير بهيشم ما إذا كان يحق لأصحاب الطبقات الأخرى حمل السلاح، إذا كانت طبقة الكشتاريا بدت غير مؤهلة لحمل السلاح، أجابه بهيشم: سواء كان شودرا أو عضوًا من طائفة أخرى، الذي يصبح المنقذ ووسيلة العبور فهو بالتأكيد يستحق الاحترام بكل الطرق، والذي يعتمد عليه العاجزون والمضطهدون والبائسون ليعيشوا في سعادة، فهو شخص يستحق محبة واحترام الجميع... [182]. يوضح النص ضرورة المعيشة في بيئة يسودها الأمن والأمان والسلام، وبيئة يتم فيها معاونة الفقراء والضعفاء، والإنسان الذي يوفر هذه البيئة هو شخص يستحق الاحترام والتقدير مهما كانت الطائفة التي ينتمي إليها، ومهما كان الدين الذي يدين به.

---

[181] Narasimhan, Chakravarthi V, The Mahabharata, First India Edition, Delhi, 1999, P38.

[182] The Mahabharata V 3, Book, 12, Section, LXXVIII.

مهابهارات سمپورن اثهارهه پرو، ص366.

– في تفسير الفقرة: كيف لا نستطيع تحاشي الخطيئة، ونحن نراها بوضوح تهدد العائلة، يا جاناردن[183]، يقول المهاريشي: إن كل شيء في الكون مرتبط ببعضه البعض، وكل شيء في الكون يتأثر بالأشياء الأخرى، فأمواج البحر في مكان تتأثر بموجة البحر في مكان آخر، على الرغم من أنها تتميز بتدفقها الخاص إلا أنها تتأثر بها بشكل أو بآخر [184].

يؤكد لنا هذا التفسير أن كل إنسان يمتلك إرادة حرة، فهو يمتلك الحرية الكاملة في اختيار دينه وطائفته وعمله، ولكن يجب على الإنسان تحمل نتائج حريته الممنوحة له، لأنها ستؤثر على الآخرين، الهندوس المتطرفون لا يؤمنون بهذا المبدأ ولا يعرفون أن كل إنسان لديه الحرية الكاملة في أن يعتنق الدين الذي يريده، كما أن لديه الحرية الكاملة في ممارسة دينه، وإذا كانوا هم يمتلكون الحرية في ممارسة دينهم وأفكارهم، ألا يحق للآخر أن يمارس هو دينه أيضًا؟ وإذا كان لديهم الحرية في فعل ما يريدون وارتكاب أعمال العنف، أليس للآخر الحرية في الرد على ذلك والدفاع عن أنفسهم؟ ولكن السلطة الهندوسية ترى أنه لا يحق للمسلمين والمسيحيين الدفاع عن أنفسهم، كما حدث في ولاية ماديا براديش عندما رشق الهندوس المسلمون بالحجارة، وفي محاولة الدفاع عن أنفسهم قام المسلمون أيضًا بالرد عليهم بالمثل، إلا أن عقاب ذلك كان أنهم وجدوا منازلهم تتحول إلى حجارة.

---

[183] Bhagavad Gita 1: 39.

[184] Bhagavad Gita Chapters 1-6, p62-63.

– في تفسير قول كريشنا: من الطبيعي أن يموت من يولد، ويولد من يموت، ولهذا أمام هذا الأمر الحتمي لا يجب أن تحزن[185]، يقول المهاريشي: إن كل إنسان له حرية الاختيار في فعل ما يريد، فله حرية الاختيار في اختيار السبيل الذي يريد أن يسلكه، سواء كان ذلك سبيل الحق أو سبيل الباطل، والذي من خلاله يريد أن يقضي حياته، إن الأمر متروك له وهو في يده... إلخ[186]. هذا التفسير يشرح أن الإنسان الآخر حر في أن يختار الدين والطائفة والعمل الذي يريده، وله الحرية في ممارسة ما يريد بالطريقة التي يريدها، يدل ذلك أن المسلمين والمسيحيين في الهند أيضًا لهم الحرية في أن يسلكوا الدين والمعتقد الذي يريدونه، وأن يمارسوا شعائرهم ومعتقداتهم بحرية.

– قول كريشنا: الإنسان هو الذي يرفع ذاته، وعلى الإنسان ألا يحتقر ذاته، فهو الوحيد صديق ذاته، وهو الوحيد عدو لذاته[187]. النص السابق يبين أن الإنسان هو يرفع نفسه ويمجدها، والإنسان يملك في نفسه كل ما يحتاجه ليرتفع ويتحرر من جميع أنواع العبودية، وهو لا يحتاج إلى سلوك أي سبيل أو أفكار أو وسائل ليتحرر ويرتفع بنفسه، ومفهوم الإنسان هنا يتضمن جميع البشر، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو داليت، فكل إنسان بمقدرته أن يرفع من نفسه أو أن يذلها، ولهذا لا يجب على أحد التحكم في حياة الآخرين وفرض ما يريده من أفكار وعقائد عليهم.

---

[185] Bhagavad Gita 2: 27.

[186] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P104.

[187] Bhagavad Gita 6: 5.

يقول منو: أعضاء الإنسان التي فوق السرة هي طاهرة، وخاصة الوجه، الإله براهما قال ذلك[188].

الإله براهما الذي خلق الإنسان قال إن أعضاء الإنسان التي فوق السرة هي طاهرة، إذًا أعضاء الشودرا والداليت التي فوق السرة هي طاهرة أيضًا، إن اعتبرنا أن بقية الأعضاء غير طاهرة، إذًا لماذا يُعدّ أصحابُ الطبقات الدنيا أنجاسًا حتى رؤوسهم وأيديهم تعدّ نجسة، أليس ذلك مخالفة لكلام الإله الأسمى، فهو لم يقل البراهمة أو الكشتاريا وإنما قال "الإنسان".

– يقول منو: يمكن لأبناء القرية أو المدينة الواحدة أن يتصادقوا بعضهم مع بعض، وإن كان فارق العمر بينهم عشر سنوات، ويتصادق أصحاب الحرف والمهن... [189]. القصد من هذا النص أن أبناء المدينة والبلد الواحد يمكنهم أن يلقوا السلام على بعضهم وأن يتحدثوا معًا ويكونوا كالأصدقاء ويتقبلوا ويحترموا بعضهم، "أبناء القرية والمدينة الواحدة" قصد فيهم كل من يسكن في هذه المدينة، لأنه فصل بقية الطوائف فيما بعد، وهذا يدل على تقبل الآخر الذي يسكن معك في الجغرافيا ذاتها، لأن إلقاء السلام والتحدث معًا لا يكون بين الأعداء.

المطلب الثاني: قيم التعايش من خلال النصوص الهندوسية المقدسة

1– الدعوة إلى الوحدة والتعايش:

---

[188] منو سمريتي 1: 93.

[189] منو سمريتي 2: 134.

– أيها البشر! أوصيكم أن يكون لكم التوافق في قلوبكم، والإجماع في عقولكم، والتحرر من الكراهية، يجب على كل منكم أن يحب بعضهم بعضا بكل الطرق تماما كما تحب البقرة العجل المولود للتو[190].

– أيها البشر، اتبعوا هذه الدهارما بصفة العدالة والبر المحايد كما وصفت وتمسكوا بها دائمًا، ومن أجل تحقيق ذلك اتركوا جميع أنواع الصفات وانضموا إلى بعضكم البعض، بحيث يكون هناك دائما درجة عالية من السلام بينكم ودعوا كل المعاناة تموت[191].

– يا بشرية! الذين يحترمون الشيوخ الذين يمتلكون قلوبًا نبيلة، ويتصفون بالود، في تعهداتكم بالحصول على الثروة والسير في الطريق نفسه حاملين النور والخير المشترك معًا لا ينفصلوا أبدًا عن بعضهم، تعال، أجعلكم واحدًا عازمًا وواحدًا يفكر، وكل واحد منكم يتحدث بلطف إلى الآخر[192].

– في تفسير قول أرجون: ممتلئًا بأقصى درجات الحنان، وأقاربي، في الفقرة: ممتلئًا بأقصى درجات الحنان، تحدث بحزن طاغي: يا كريشنا رؤية أقاربي وقد اجتمعوا متشوقين للقتال[193]. يفسرها مهاريشي ماهيش يوغي: في أنها تشير إلى الحزن الذي يشعر به الفرد من علاقته بالآخرين، ولا

---

[190] Atharva Veda, Sri Aurobindo Kapali Shasrty Institute of Vedic Culture, Banglore, 3: 30: 1.

[191] Yajur Veda, Sri Aurobindo Kapali Shasrty Institute of Vedic Culture, Banglore, 19:77.

[192] Atharva Veda 3: 30: 5.

[193] Bhagavad Gita 1: 28.

تعبر فقط عن حالة أرجون أو عن علاقة الفرد بأقاربه، وإنما تشير إلى معاناة الفرد في علاقته مع المجتمع البشري بأكمله[194].

يدل هذا التفسير على أن الإنسان يجب عليه حتى يعيش حياة كاملة متقنة، وليعيش ويطبق الأخلاق والصفات الحسنة أن ينسق بين قلبه وعقله؛ لأن ذلك ما يزيد وعي الإنسان ويساعده على الترقية في حياته بصفاته وأخلاقه. وفي هذا درس للهندوس أن الأفكار التي يستندون عليها ويحكمون بها على الآخرين أنهم أجانب، أو مجموعة تهدد وجودهم، يجب عليهم أن يزينوا هذه الأفكار والمعتقدات في ميزان العقل والقلب أولًا، ثم إذا قارنوها بنصوصهم المقدسة سيجدون أن كل تلك الأفكار باطلة، وأن أفعالهم ستجلب لهم العقاب في الدنيا والآخرة، أما إذا قاموا بتنسيق الأخلاق والقيم بين القلب والعقل سيشعر بالرضا عن نفسه، كما أنه سيعيش حياة منسجمة مع الآخرين، ويكوّن معهم علاقات منسجمة تقوم على المشاركة والتعاون والتعايش، فعندما يكون القلب والعقل منفصلين بحيث لا تكون هناك صلة بينهما، ويكتفي كل واحد منهما بنفسه دون النظر إلى الآخر سيؤدي بالإنسان إلى اتخاذ قرارات غير صحيحة، فالإنسان الذي يمتلئ قلبه بالكراهية مثل بعض الهندوس اليوم، ويتخذ قرارته بناءً على مشاعر الكراهية التي في قلبه سيغفل عن قرارات العقل، وكذا هو حال الهندوسي الذي يطبق بعقله فقط ما يسمعه من الآخرين دون أن

---

[194] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P49-50.

يراجع قرارات أفعاله في قلبه، وما إذا كانت تخالف الفطرة والقيم الإنسانية، سيفشل ويتحول إلى إنسان عنيف يلحق الضرر بنفسه وبالآخرين.

على الرغم من أن هناك فرقًا شاسعًا بين هدف أرجون الذي كان يقاتل من أجل الحق والعدالة، وبين الهندوس الذين يسعون إلى إقامة أمة هندوسية بالعنف والظلم والطغيان، إلا أننا نجد وجه التشابه في أن قوة الحب التي شعر بها أرجون، والتي بسببها انزلق القوس من يديه، هي مثلها قوة الأفكار التي يشعر بها بعض الهندوس اليوم وخاصة الهندوتوا، ولكن ما ينزلق من أيدي هؤلاء ليس القوس وإنما العدل والمحبة وأخلاقهم وقيمهم الدينية بل وحتى الأخلاق والقيم الإنسانية.

بسبب شعور الحب اتجاه عائلته لم يستطع أرجون التفكير بعقله، وهؤلاء الهندوس بسبب حبهم لقوميتهم وأفكارهم المتطرفة لا يستطيعون التفكير بعقولهم بل حتى لا يشعرون بالعواطف الإنسانية في قلوبهم، فقوة الحب هذه حملتهم على الانحراف عن طريق الاستقامة والتي ستصبح سببًا للدمار والمعاناة والحزن، كان من حسن حظ أرجون أنه تدارك نفسه، لأنه كان يعلم أن واجبه يفرض عليه القتال من أجل الحق والعدالة، ولكن متى سيدرك الهندوس المتطرفون أنفسهم ويتوقفون عن تعنيف وظلم الآخرين؟

– في تفسير الفقرة: فوق ذلك سيتذكرك الناس بهذا العار إلى الأبد، والسمعة السيئة هي أسوأ من الموت بالنسبة للرجل الشريف[195]، يقول المهاريشي: الرجل الشريف والمحترم بالإضافة إلى نفسه

[195] Bhagavad Gita 2: 34.

يعيش من أجل الآخرين، ولا يعيش من أجلهم فقط بل ويموت من أجلهم أيضًا، فمدى أهمية حياة الإنسان تتبين بمدى تقدير الآخرين له[196]. الإنسان الخير عندما يفعل الخير ويحسن إلى الآخرين، بل ويعيش من أجلهم، فكل فعل خير يقوم به ينوي به الخير للآخرين، يخلق في قلوب من حوله الحب والدفء لنفسه، وعلى عكس ذلك الإنسان الذي يؤذي الآخرين سينفر منه الناس تلقائيًا لما يتصف به من أخلاق سيئة.

وعلى ذلك الهندوس المتطرفون الذي يرتكبون أعمال العنف هم مصدر تنفير العالم من الهندوسية والفكر الهندوسي، حيث يعتقد الآخرون أن هذا هو الوجه الحقيقي للهندوسية، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى نمو الكراهية والحقد اتجاههم، الهندوس الذين يعيشون في مختلف البلاد يعانون أو قد يعانون مستقبلا من أعمال عنف بسبب عنف الهندوسية في الهند، وإن لم يكن من أجل شيء آخر سيكون أنهم يقتلون إخواننا في الدين في الهند سواءً كانوا مسلمين أو مسيحيين لذلك يجب أن نفعل نحن ذلك أيضًا. يوجد الكثير من المسلمين الذين يعيشون في باكستان والهند وبنغلاديش وكشمير... وغيرها، يحملون في قلوبهم أحقادًا وكراهية ضد الهندوس لا لشيء آخر، وإنما فقط لأنهم سمعوا أو شاهدوا أعمال العنف التي يرتكبها الهندوس ضد المسلمين، والأدهى أنه يتم تعميم ذلك الحكم على جميع الهندوس، وكذا هو الحال بالنسبة للهندوس والمسيحيين.

---

[196] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P111.

وبرهان ذلك أيضًا ظهور حركات مناهضة للهندوسية ترفض المعتقدات والأفكار الهندوسية كالجاينية والبوذية، وأيضًا تحول عدد كبير من الداليت إلى أديان أخرى كالمسيحية أو البوذية أو الإسلام، فمع الدكتور أمبيدكار تحول ما يقارب نصف مليون هندوسي من الداليت إلى البوذية.

2- المساواة والعدالة مع الآخر: كل الكائنات تنظر إليَّ بعين صديق، هل لي أن أعتبر جميع الكائنات أصدقاء وأنظر إليهم بعين الصديق، مع عين الصديق نحن ننظر إلى بعضنا البعض[197].

- دع مكانك في مياه الشرب يكون مشتركًا وطعامك معًا وأنا أرعاك وأوجهك إلى نور مشترك... [198].

- أتمنى أن أحب الجميع سواء كانوا نبلاء أو حقيرين[199].

- وصف **داشرت** راما عندما قرر توليه الملك أنه يتصف بالعدل والعطف والشجاعة، ولا يميز بين البشر سواء كانوا فلاحين أو أمراء، ويراعي مشاعر الجميع، وأنه لا يوجد من يعادله في العدل والشجاعة... [200]. كانت نصيحة الملك العادل لابنه أن ينظر إلى الجميع بنظرة واحدة، وألا ينحاز إلى مجموعة دون أخرى بسبب مكانتهم أو طائفتهم.

---

[197] Yajur Veda, 36: 18.

[198] Atharva Veda, 3: 30: 6.

[199] Atharva Veda 19: 26: 4.

[200] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, "Two Promises revived".

– علّم الحكيم **فاشيشت** راما وإخوته الأخلاق والقيم والفضائل، وأن المرء يجب عليه احترام والديه ومعلميه، ويجب على الإنسان التزام الصدق في كل أمور حياته؛ لأنها أولى الواجبات التي يجب على الإنسان الالتزام بها، والحب والرحمة تميز الإنسان وتجعل من الإنسان أرقى المخلوقات،... [201]. مرة أخرى كانت النصيحة بالتحلي بالأخلاق الحسنة والصدق واحترام الآخر، ومعاملة الآخرين معاملة متساوية دون التفرقة بينهم، ومساعدة الضعفاء.

– بعد أن قتل باندو الغزال في الغابة والذي كان في الحقيقة زوجة براهماني قرر باندو أن يسلك طريق الزهد واليوغا، ومضى يقول: وسأتمالك نفسي من الغضب والحقد، ولن أستهزئ بأي إنسان بعد اليوم، وقد أنذرت بشقاء عمري مبتسمًا رحيمًا ممتلئًا بالحب، قد أعرضت عن التمييز منذ اليوم، فأنا أرى في جميع مخلوقات الأرض وحتى الحشرات والديدان أبنائي... [202]. النص يدل على التخلي عن التمييز والعنصرية ضد الآخر، ومساعدة الضعفاء والفقراء، على الرغم من أن باندو كان معروفًا عنه أنه ملك عادل لا يظلم رعيته، إلا أنه بعد أن قرر التقشف أراد التأكيد على ممارسته الرحمة والعطف على جميع المخلوقات.

ينصح **فيدور دريتراشتهر** بعد انتهاء الحرب قائلًا: عندما يكون الجميع متساوين في الموت لماذا يجب على البشر، الذين يتم خداع فهمهم دائمًا من خلال أشياء هذا العالم أن يطمعوا في رتبة

---

[201] أفق لكهنوى، منشى دواريكا پرساد، والميكى رامائن، لالہ راما دتہ مل اينڈ سنز تاجران كتب، لاہور، ص100– 101. الرامايانا الهندية: ملحمة الإله راما، ترجمة: دائرة المعارف الهندية، مراجعة: محمد سعيد الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، 2007م، ص53– 56.

[202] Narasimhan, Chakravarthi V، The Mahabharata، p21.

ومكانة بعضهم[203]. يتساءل فيدور عن سبب الجشع والطغيان والكبرياء الذي يصيب بعض الناس، والذي بسببه يغرقون في وحل السيئات والخطيئة، الأمر الذي يتسبب في دمارهم ودمار الآخرين، على الرغم من أن لا شيء يبقى للإنسان في النهاية؛ لأن مصير الجميع هو الموت دون استثناء.

– في المجلس الذي قتل فيه **شيشوبال** بعد انتهاء المراسم التفت يوديهيشتير إلى إخوانه قائلًا: أقسم لكم هنا، وسيكون عهدًا علي أن لا أغلظ في كلامي، وأن لا أفرق بين من هم من صلبي وبين أبناء الآخرين،... [204]. بسبب المنظر الذي شاهده يوديهيشتير أمامه والذي حدث بسبب إهانة واحتقار الآخرين، وبسبب عدم الوفاء بالواجب والأخلاق، أخذ عهدًا على نفسه أنه لن يؤذي الآخرين، وسوف يلتزم بواجبه ويلتزم بالأخلاق والفضيلة اتجاه الآخرين.

– وجه يوديهيشتير الحديث إلى أخيه أرجون بعد الحرب، بعد أن عزم على أن يتنسك ويترك كل شيء بسبب إحساسه بالذنب لما ارتكبه في الحرب قائلًا: سأتصرف على قدم المساواة اتجاه جميع المخلوقات سواءً كانت تضع في اعتبارها واجباتها أو تتبع رغباتها الخاصة، لن أسخر من أي شخص، ولن أعبس في وجه أحد، سأقيد حواسي، وسأكون مبتهج الوجه"[205]. نص آخر يوضح ضرورة الالتزام بالأخلاق والقيم في التعامل مع الآخرين، وعدم التمييز والتفريق بينهم، كما يوضح عدم إيذاء الآخرين حتى وإن قام الآخرون بإيذائك. بالإضافة إلى أنه يوضح نقطة أخرى أن المكانة

---

[203] The Mahabharata2003, V 3, Book 11, Section III.

[204] The Mahabharata, V 1, Book 2, Section XLIV.

[205] The Mahabharata V 3, Book 11– 12, Section 1– XXVI.

والثروة لا تحقق السعادة ولا يستطيع الإنسان بسببها الفوز في الدنيا والآخرة، لأن ما يحقق الفوز في الدنيا والآخرة وما يحقق السعادة والطمأنينة للناس هي الأخلاق والقيم والتعامل بالحسنى مع الآخر.

– طلبت الآلهة والحكماء من **ابن فينا** أن: انظر إلى جميع المخلوقات بعين متساوية، تخلص من الشهوة والغضب والطمع والكبر، وراقب دائما أعمال البر، وعاقب كل شخص ينحرف عن طريق الواجب والدين وهذا الملك العادل كان يُرضي جميع الناس[206]. النص يبين أن جميع المخلوقات متساوية ولا فرق بين شخص وآخر، على الرغم من أن النص لاحقًا، يتضارب مع نفسه بأن يوصي بأن لا تتم معاقبة البراهمة، وألا يتم الخلط بين الطبقات، ولكنه مع ذلك ينظر إلى الآخرين الذين لا ينتمون إلى المجتمع الهندوسي نظرة متساوية.

– الصفات التي يجب على البراهمة الاتصاف بها بحسب ما عدها بهيشم: يجب أن يكونوا ودودين اتجاه بعضهم، وأن ينظروا إلى الجميع بالمساواة، يجب ألا يتصفوا بالقسوة،... [207]. وإن كانت طبقة البراهمة أعلى طبقة وتعامل الطبقات الدنيا على أنهم أنجاس لا يجوز لمسهم، إلا أنهم يجب عليهم فعل ذلك من منطلق ديني، أي أنه لا يجب عليهم حمل مشاعر غرور وتكبر في أنفسهم ضدهم، وليس فقط الهندوس، وإنما جميع البشر يجب عليهم أن يروهم بعين متساوية، كما يجب عليهم الالتزام بالصدق والأمانة والمحبة مع الآخرين.

---

[206] Ibid, LIX.

[207] Ibid, LXXIX

– في قول كريشنا: ينظر المتنور إلى البرهماني الذي يقضي حياته في المعرفة والتواضع، وإلى البقرة والفيل والكلب وحتى المنبوذ الذي فقد دوره في الحياة، بنظرة المساواة[208]، يقول المهاريشي: المتنور الذي يدرك حقيقة الحياة ينظر إلى جميع المخلوقات نظرة مساواة، فالإنسان الحكيم يرى أن الاختلافات بين المخلوقات هي اختلافات مؤقتة [209].

المتنور في الفكر والفلسفة الهندوسية هو الشخص الذي يتحرر من شهوات ورغبات الحياة، وهو طريق يسعى كل هندوسي إلى بلوغه ليتحرر من دورات الحياة (تناسخ الأرواح)، والإنسان الذي يبلغ هذه المنزلة يعامل جميع المخلوقات بالمساواة ولا ينظر إليها بعنصرية؛ لأنه يرى أن الاختلافات التي في الخليقة هي اختلافات مؤقتة، وأن نهاية الخليقة جميعها ستؤول إلى نهاية واحدة مشتركة، ومن هذه الحقيقة ينمو التواضع في قلب الإنسان؛ لأنه ينظر إلى جميع الكائنات نظرة وحدانية. إذًا بما أن هدف الهندوسي في حياته هو التحرر من التناسخ، ألا ينبغي أن يلتزم بالتعاليم التي ستحقق له هذا الهدف، بأن لا يسيء إلى أحد حتى لا يعاقب على أفعاله ويعاد إحياؤه، وأيضًا ليبلغ تلك المنزلة ألا يجب عليه أن ينظر إلى جميع المخلوقات نظرة مساواة؟ ألا يجب أن يتصف الهندوسي بالتواضع وبأنه متساوٍ مع جميع المخلوقات ولا يعلو عليهم؟ حتى إنَّ النص يذكر أنه ينظر بهذه النظرة المتساوية إلى المنبوذ الذي يعدّ أدنى منزلة من الحيوانات في الفكر الهندوسي.

---

[208] Bhagavad Gita5:18.

[209] Bhagavad Gita Chapters 1-6, p358- 360.

وعلى الرغم من أن النص يظهر التناقض بأنه يحث الإنسان على أن ينظر إلى جميع الكائنات نظرة متساوية، إلا أنه في الوقت ذاته يشير إلى التمييز والعنصرية في النظام الطبقي في الهندوسية، بالإضافة إلى أن درجة الإنسان المتنور لا يمكن أن ينالها كل هندوسي؛ لأنها تخص فئة معينة أيضًا، ولكن من خلال هذا النص يمكن النظر إلى أصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى نظرة مساواة، لأنهم لا ينتمون إلى النظام الهرمي للهندوسية.

قول كريشنا: جميع الكائنات الحية لدي هم متساوون، وأنا لا أفرق بين البشر، ولا أنحاز لأحد دون الآخر،... [210]، فسرت على: أن المخلوقات والبشر جميعها متساوية عند الإله، لأنه عادل لا يفرق بين مخلوقاته أبدًا، إلا أن الذي يعبدونه ينالون الفضل العظيم، فالإله يعيش في داخلهم، وهم يعيشون فيه[211] والمتفكر في الفقرة قد يظن أن الإله غير عادل، لأنه ينحاز نحو محبيه ونحو من يعبدونه بإخلاص، ولكن الإله يجيب على ذلك بأنه ليس منحازًا، لأنه يمنح عباده نعمه بالطريقة التي يستسلمون بها له،... [212]. التفسير السابق يوضح أن العقيدة الهندوسية تنظر إلى البشر بنظرة عادلة ومتساوية، ولكنه يفرق بينهم فيما ينعم به عليهم وفق عبادتهم وخضوعهم له.

---

[210] Ibid, 9: 29, 30.

[211] شرى مد بهگود گيتا، يتارتھ گيتا، ص241.

[212] Bhagavad Gita, 9: 29, 30.

سنركز هنا على نقطتين، الأولى: أن الهندوسية تؤمن بوحدة الأديان، فهي تؤمن أن الإنسان حر فيما يعبد، سواء كان يعبد إلها واحدا، أو ثلاثة آلهة، أو عدة آلهة، لأنه في الأخير يعبد الإله الوحيد الأعظم، وهذا برهان على مساواة الجميع.

النقطة الثانية: الهندوسية تؤمن أن الإله عادل لا يفرق بين مخلوقاته، وهو ينعم عليهم بحسب عبادتهم له، ولم يذكر أنه يعاقبهم على عدم عبادتهم له، كما أن الإله هو الوحيد الذي يحق له ويستطيع تحديد عباده المخلصين من عباده غير المخلصين.

ثم على ماذا يعاقب المسلمون والمسيحيون والداليت في الهند؟ إذا كانت الآلهة التي يعبدونها ينظر إليها الهندوس أنها في النهاية تؤدي إلى إلههم العظيم، وإذا كان إلههم ينظر إليهم بنظرة عادلة ومتساوية ولا يفرق بينهم، إلا بحسب عبادتهم، فلماذا يفرق العباد بين بعضهم، وخاصة أنه يوجد بينهم من يكونون مخلصون لآلهتهم أكثر بكثير من الهندوس الآخرين.

النصوص السابقة تبين أن الهندوسية تنظر إلى الآخر نظرة مساواة ولا تفرق بين البشر بحسب اللون أو الطائفة أو الدين، حتى إنها تنظر إلى أصحاب الطبقات الدنيا نظرةً متساوية مع الآخرين، ومن منطلق أن الإله ينظر إلى جميع خلقه نظرة متساوية يتم تحديد مكانة الآخر، فإذا كان الخالق لا يفرق بين عباده إذًا لا ينبغي لعباده التمييز بين الآخرين.

3- شمول الأخلاق والخير للآخر: في ملحمة الرامايان وصف **فالميكي** أبناء داشرات قائلًا: إنهم أبطال على معرفة بالتقاليد الهندوسية المقدسة، وأنهم يحملون حبًا عظيمًا للبشرية جمعاء، مع

حكمة عادلة بوركوا بها... [213]. فقد تم تأليف الرامايان لمصلحة البشرية بأكملها، وأن شخصياتها كانت تحمل الحب العظيم للبشرية جميعها، دون أن تنظر إلى طائفة أو دين أحد.

– في الراماين أيضًا خاطب فيشوا ميترا راما قائلًا: لقد ولدت في هذا العالم لتعيد الصلاح والفضيلة للبشرية، ولكي تتخلص من الشر[214]. فقد كانت ولادة راما لإعادة الخير والفضيلة للبشرية جمعاء، وليرسخ فيهم الأخلاق الحسنة والقيم الفاضلة.

– عندما لجأ **فيبيهيشان** إلى راما، اتفق جميع قادة جيشه ومن معه أنه لا يجب عليهم أن يقبلوه لأنه الأخ الأصغر لرافان، فقد يكون جاسوسًا وخائنًا، إلا أن **هانومان** أخبر راما أنه يمتلك روحًا طيبة وصافية وقلبًا نقيًا، وأنه حضر لحبه الشديد لراما وللخير الذي في قلبه،... [215]. يصور راما في هذا النص صورة الإنسان الذي يعيش ويفعل الخير من أجل الآخرين، الذي يمتد ويشمل حتى الآخر العدو، كما يمدنا بدرس رائع عن إيواء المضطهدين والمظلومين، ومساعدة الفقراء والضعفاء، وإن وكانوا يصنفون كأعداء بسبب بعض الظروف، لأن الآخر قد يكون صادقًا في مشاعره، وعدم مساعدته يعدّ ذنبًا وخطيئة.

---

[213] Griffith, Ralph T.H, Ramayan of Valmiki, E.J. Lazarus, Benares, Luzac and Co. London, 1895, Book 1, Canto 19: The birth og the Princes, p33.

[214] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “Rama’s Initation, Ahalya’s story”.

[215] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic “Acros the Ocean”. .146 -145ص ,الرامايانا الهندية: ملحمة الإله راما

فعلى الرغم من أن راما وجيشه لم يثقوا ثقة تامة في فيبيهيشان إلا أنهم رأوا أنه يجب عليهم تقبله؛ لأنه قد لا يكون خائنًا، أي أنهم استندوا إلى احتمال بسيط بعدم الخيانة، ولكنَّ المسلمين والمسيحيين يتم معاملتهم بتمييز وعنصرية على الرغم من أنهم ينتمون إلى الهند، ولا يفكرون في خيانة وطنهم، إلا أن الهندوس المتطرفين يستغلون نقطة أن هؤلاء خونة يساعدون باكستان؛ لتسيطر على الهند لمعاملة الآخرين المسلمين بتمييز وعنصرية، واستغلال ذلك في ممارسة العنف ضدهم.

– قال كريشنا: اليوغا الخالدة كشفت لفيفاسوان (أديتيا إله الشمس)، ثم علمها فيفاسوان لمنو، ومنو علمها لإيكشفا ابن منو[216]، يدل ذلك على خلود اليوغا وتعاليمها التي ذكرها كريشنا في الفصلين الثاني والثالث من الغيتا، وتناقلها من فيفاسوان في بداية الخلق إلى منو الذي وضع قوانين المجتمع، يدل على أن القوانين والنظام الاجتماعي الذي يحكم إليه الهندوسية هو قديم وأزلي.

– يقول كريشنا: الذين امتلأوا بالإيمان، وأصبحوا لا يرتكبون الأخطاء، ويطبقون تعاليمي، سيتحررون من العمل أيضًا، أما أولئك الذين يقعون في الأخطاء، ولا يتقيدون بتعاليمي، يكونون ضائعين عن طريق المعرفة، وهم تافهون وهالكون[217]. فكما قال كريشنا أن من لا يتبع تعاليمه هم أناس لا قيمة لهم في الحياة، لأنهم أناس أساؤوا فهم الحياة، وفهم التعاليم والقيم الإنسانية والأخلاق الصحيحة، ففقدوا طريق الإخلاص والفلاح في الحياة.

---

[216] Bhagavad Gita 4: 1.

[217] Ibid, 3: 31, 32.

يشرح المفسر كيف أن العلاقات المختلفة التي نعيشها في حياتنا اليومية تتطور، وتحسن علاقتنا بجميع ما نتعامل معه في الحياة، سواء كانت العائلة أو الأشخاص الآخرين دون النظر إلى معتقداتهم؛ لأن المجتمع الواحد يتكون من عقائد وطوائف وأفكار وتوجهات مختلفة، وسواء كانت العلاقة مع الوطن أو حتى الكون فإن العلاقة تكون راقية عندما ترتبط بالحب، ومن البديهي أن الحب هي المشاعر التي تحث الإنسان على العدل والمساواة والسلام والتعايش والمشاركة.

ويجب على أصحاب السلطة والقرار في الهند اليوم التمعن في مثل هذه المعاني والاقتداء بها وتطبيقها في حياتهم، لأنهم أصحاب التأثير والقرار في المجتمع الذين يؤثرون في بقية أفراد المجتمع بقراراتهم وأفعالهم، كما أنه من واجب أصحاب القرارات أن يمنعوا ويعاقبوا كل من يحاول إثارة الفتنة والشقاق ويحث على العنف والاضطهاد في المجتمع.

– في قصة الملك الذي قتل البرهمي _التي رواها بهيشم ليوديهيشتير_ وطلب الملك النصيحة من الحكيم إندروتا ابن سوناكا، نصحه سوناكا قائلًا: الإنسان الحكيم يحزن على الآخرين، وتكون نفسه نقية للغاية بحيث لا يمكن أن تصبح سببًا لحزن الآخرين،... استخدم نفسك في خير جميع المخلوقات... "[218].

[218] The Mahabharata, V 3, Book, 12, Section CLI and CLII.

المبحث الثاني: الآخر في الفكر الديني الهندوسي الحديث والمعاصر.

عرف تاريخ الهند العديد من الفلاسفة الذين رسخوا التعايش من العصر الويداي إلى اليوم، مثل شنكر أشاريا فيلسوف الويدانتا (788- 820م)، ورامنوج (1016- 1137)، وكبير (1440- 1518)، وسوامي راماننند؛ ولأن تاريخ الفكر الديني الهندوسي طويل ويصعب استقصاؤه، فإننا سنكتفي بعرض ثلاثة نماذج لقادة ومصلحين، نظرًا لما لهم من تأثير وما يتمتعون به من مكانة ليس فقط في الهند، وإنما في العالم بأجمعه، وهؤلاء هم: سوامي راما كريشنا، سوامي فيفكأنند، والمهاتما غاندي.

المطلب الأول: الآخر في فكر راما كريشنا (1836- 1886م).

كان راما كريشنا زاهدًا هنديًا مشهورًا في القرن التاسع عشر، وأدى مذهبه الفكري الهندوسي إلى تشكيل بعثة راما كريشنا، على يد تلميذه سوامي فيفيكأنند، وكان كلاهما شخصيتين مؤثرتين في النهضة البنغالية فضلًا عن إحياء النهضة الهندوسية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

وعلى الرغم من أنه كان يقدس الطقوس والشعائر وعبادة الصور والتجسيدات، ويؤمن أنها تطور علاقة الإنسان مع الإله، إلا أنه كان يعدّ أن التفاني والإخلاص للإله والتفاني والتعاطف مع معاناة البشرية، ومعاملة الجميع بعدالة ومساواة يحقق خلاص وتحرر الإنسان، ولذلك كرس نفسه للتأمل وخدمة الآلهة كالي Kali في بداية حياته، ومارس التأمل غير المزدوج والبهكتي، ووفقًا له فقد خاض تجربة (نيرف كالب سامادهي nirvikalpa samadhi) كما جرب الديانات الأخرى وخاصة الإسلام والمسيحية، وخلص إلى نتيجة مفادها أن جميع الأديان تؤدي إلى إله واحد.

ومن أهم ما قدمه في موضوع الآخر:

1- فكرة محبة الجميع: "الفرق بين المحبة (دايا) ومحبة الذات (مايا)؟ أن المحبة تعني حب كل ما هو موجود، بحيث لا يقتصر الحب على الذات والعائلة، وعلى الأبناء وعلى من يشتركون معك في عرقهم ودينهم وطبقتهم أو وطنهم،... "[219].

يرى راما كريشنا أن سمو الإنسان وقيمته تتحدد من خلال نظرته ومشاعر محبته إلى الآخرين، فمن يقتصر حبه على أقاربه وأصحاب طبقته ومذهبه ووطنه يعدّ أقل قيمة من الإنسان الآخر الذي يكن الحب لجميع البشر، وإن لم يكونوا ينتمون إلى دينه وطائفته ووطنه.

- ألقى راما كريشنا على تلاميذه موعظة وهم على وشك الخروج لنشر تعاليمه في العالم، فقال: يجب أن تمتلئ قلوبكم بالمحبة لكل شخص، ويجب عليكم الاختلاط بهم بحرية حتى تصبحوا جزءًا منهم، ولا تحتقروا الآخرين بقولكم[220].

ويقول أيضًا: عندما تختلط بأشخاص آخرين، يجب أن تكون حنونًا معهم جميعًا، وأن تكون واحدًا معهم، ولا تحمل ضغينة ضد أي شخص، سواءً كان الشخص يؤمن بالإله بالشكل أو بالإله عديم الشكل[221].

يبين النص أن البشر جميعهم متساوون دون النظر إلى الإله الذي يعبدونه، ودون النظر إلى جنسهم وطائفتهم، وأن النظر إلى البشر بمساواة تمنح الإنسان السلام والطمأنينة، وأن على الإنسان النظر إلى

---

[219] الزين، مصطفى، الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2002م، ص115.

[220] الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، ص73- 74.

[221] Mahendra Nath Gupta, Sri Ramakrishna Kathamrita, 2007, V 1, Section 10 – Chapter 7, P300, P235- 236.

كل البشر بمحبة وشفقة؛ لأن ذلك يدل على الرحمة ومحبة الإله، أما الاقتصار على محبة المعارف فيدل على الأنانية، وذلك الحب هو حب وهم فقط.

– ولم يكتفِ فقط بنبذ العنصرية والطائفية، والإساءة إلى الآخرين فعلًا، وإنما رفض أن تتم الإساءة إلى الآخرين بالألفاظ أيضًا، حيث يقول: "يجب على المرء أن يكون حريصًا على عدم الإساءة إلى الآخرين من خلال الانغماس في المحادثات التي لا يمكنهم فهمها"[222].

فالمقصود أنه لا يجب على الإنسان النطق بكلام يسيء فيه إلى الآخرين، خاصة إذا كان الطرف الآخر لا يفهم المعنى المقصود من هذا الكلام.

2– نبذ التعصب والكراهية: يقول راما كريشنا: "الإله لا يتجلى في النفس البشرية التي تمتلئ بالكراهية والخجل والخوف، فهذه المشاعر الثلاثة إضافة إلى التعصب العرقي والطائفي والديني والطبقي، هي سلاسل حقيقية تربط روح الإنسان وتمنعه من الانطلاق في ملكوت الإله الفسيح"[223].

يشرح النص كيف أن التعصب بجميع أنواعه الطائفي والديني والطبقي يعمل على ربط روح الإنسان وعقله من التفكير الصحيح، فالمتعصب يعتقد أنه يمثل الحقيقة، بحيث يصبح الرأي الآخر ملغيًا، حيث يعتقد أنه هو الوحيد على الصواب، ما يمنعه من التفكير الحر، ويحتكر الحقيقة لنفسه وينفيها عن الآخرين، وبسبب ذلك يشعر أنه أعلى مكانة من الآخرين، والتعصب الفكري والذي يغلب على القومية الهندوسية يعدّ من أخطر أنواع التعصب، لأنه يؤدي إلى الأنواع الأخرى من التعصب، مثل:

---

[222] Ramakrishna, Tales and Parables of Sri Ramakrishna, 1st ed, 2nd ed, 1943, 1947– P345.

[223] الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، ص55.

التعصب السياسي والديني والعرقي والاقتصادي، كونه يعطل ملكة التفكير المنطقي الحر، ويلغي الحرية، ويمنع التواصل مع الآخرين، والآخر المسيحي والمسلم والداليت اليوم يتعرضون للأنواع الأخرى من التعصب السياسي والاقتصادي والديني والعرقي، بسبب غلبة التعصب الفكري على القومية الهندوسية.

وفي السياق ذاته يقول راما كريشنا: "عندما يخلص الإنسان إخلاصًا صادقًا للإله، يمكنه أن يدرك الرب بأي دين يدين به"[224]. يشير النص إلى أن الناس جميعهم سواسية مهما كان ما يعتنقون من دين وطائفة، لأن جميع السبل تؤدي في النهاية إلى الهدف الأسمى، ولا يجب على الإنسان التعصب لدينه وطائفته التي ينتمي إليها، ولا يجب عليهم الحكم على الآخرين في أنهم مخطئون، وأنه هو الوحيد الذي على الصواب.

3- نبذ الطائفية: لم يقتصر الأمر عند راما كريشنا على عدم التمييز وممارسة العنصرية مع أصحاب الديانات الأخرى، وإنما أيضًا رفض ممارسة التمييز ضد أصحاب الطبقات الدنيا، ورد في (كاتاميتا): أن أدهار كان صائغ ذهب حسب مكانته الطبقية، وهذا هو السبب في أن بعض محبي البراهمة والبراهمة كانوا يترددون في البداية في تناول الطعام في منزله، ولكن عندما رأوا أن راما كريشنا بنفسه كان يأكل الطعام في منزله، تخلوا عن التردد الذي كانوا يشعرون به، وبدأوا في تناول الطعام هناك[225].

---

[224] Sri Ramakrishna Kathamrita, V 2, Section 2 – Chapter 5, P32.

[225] Ibid, V 4, Section 17 – Chapter 2 – P249.

– يقول راما كريشنا: "هناك طريقة لإطفاء الاختلاف الطبقي، وهذه الطريقة هي بهكتي أو محبة الإله، المحب لا يعرف الطبقة، محبة الإله تطهر الجسد والعقل والروح، نشر **غورنيتاي** اسم **هاري** واحتضنا الجميع بما في ذلك المنبوذين، البراهمة ليسوا براهمة بدون محبة الإله، والمنبوذ لم يعد منبوذًا عندما يكون لديه محبة للإله، المنبوذ يصبح طاهرًا ومقدسا بمحبة الإله"[226]. يرى راما كريشنا أن البشر ليس بينهم فرق أمام الإله، ومقياس البشر لديه هو محبة الإله، فالإنسان المحب للإله هو شخص مقدس وطاهر وإن كان صاحب طبقة دنيا، وأكد كلامَه من خلال الاستدلال على الآلهة التي جاءت لترشد الناس، من خلال تأكيد أن تعاليمهم وشرائعهم وضعت لجميع الناس، ولم تختص بها طبقة دون أخرى، وقد قام بتطبيق هذه التعاليم في حياته الشخصية من خلال مشاركة المنبوذين في نشاطاتهم اليومية.

ولكن لا يعني ذلك أنه من خلال انتقاده للرهبان الذي يستغلون الفقراء أراد أن إلغاء الطبقية أو المجتمعات الرهبانية، لكونه رجلًا زاهدًا عاش حياة التقشف، فإنه كان يرى دائمًا أن تخلي الإنسان عن حياته من أجل الإله هو السلوك المثالي لكل إنسان. إلا أنه كان يأخذ عليهم نظرتهم غير العادلة للآخرين، يقول سوامي سردانندا: كان سوامي راما كريشنا يشعر بالألم بسبب افتقار الزهاد والنساك إلى الاختلاط بشكل موحد مع جميع المجتمعات بمحبة متساوية، وقد لاحظ أن النساك والزهاد الذين يسلكون السبل المختلفة لنيل الخلاص وبلوغ الحقيقية، ينظرون بكراهية موحدة للناس الذين يسيرون في المسارات المختلفة عنهم، وعلى أنهم أقل شأنًا في اللياقة الروحية، أو في أحسن الأحوال ينظرون

---

[226] Sri Ramakrishna Kathamrita, V 5, Section 2 – Chapter 2 – P25.

إليهم بدونية، وكان يشعر بالحزن لرؤية هذا النوع من الكراهية بين الناس، في حين أنهم يتجهون إلى هدف موحد، وقد استنتج أن سبب ذلك هو الافتقار إلى الروحانية الحقيقية[227].

يتضح من ذلك أن راما كريشنا على الرغم من أنه أراد الحفاظ على المجتمعات البرهمانية إلا أنه أرد من الجميع معاملة بعضهم بعدالة، وطلب أن ينظر الجميع إلى بعضهم بنظرة متساوية؛ لأنه مهما كان المسار والدين والطائفة الذي يتبعونه إلا أنهم في الأخير سيصلون إلى هدف وحقيقة واحدة.

4- وحدة الأديان ووحدة الوجود عند راما كريشنا: يقول راما كريشنا: ليس من الصواب الاعتقاد بأن ديني فقط هو الصحيح وأن جميع الآخرين على خطأ، لا يوجد سوى إله واحد، إله واحد بدون شريك يناديه الناس بأسماء مختلفة، الله،... [228].

كما يقول: لو سألني أحد عن الدين الذي يجب عليه اعتناقه، لأجبت: اعتنق الدين الذي تحبه، فالأديان في النهاية هي ذاتها، والجاهل هو الذي يتعصب لدين ما منها"[229].

يوضح راما كريشنا أن الأديان مهما كان المسارُ الذي تسلكه إلا أنها في النهاية تؤدي إلى حقيقة وهدف واحد، وما يتوجب على الإنسان فعله هو الإيمان الخالص، وعدم التعصب لدين وطائفة معينة، وإذا فعل الإنسان ذلك سيدرك طريق الخلاص ويصل إلى الكائن الأسمى سواءً سلك في ذلك العقيدة الإسلامية، أو العقيدة المسيحية، أو العقيدة الهندوسية. إلا أنه لم يوفق في ضرب الأمثلة، فإطلاق

---

[227] Swami Saradananda, Sri Ramakrishna The Great Master, Tr: Swami Jagadananda, Sri Ramakrishna Math, Madras, 1952, p 600- 601.

[228] Sri Ramakrishna Kathamrita, V 3, Section 4 – Chapter 4, P71. (بتصرف)

[229] الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، ص69- 70.

أسماء مختلفة على شيء معين يكون نتيجة لاختلاف اللغة وليس لاختلاف الدين، فالمسلمون العرب والأوروبيون وحتى المسلمون في الهند إذا كانوا ينتمون إلى ولاية تتحدث لغة مختلفة عن اللغة الأوردية لن يطلقوا اسم باني على الماء، وكذا المسيحيون العرب والهندوس لن يطلقوا اسم ووتر على الماء، كما أن المحيطات إذا اعتبرناها محيطًا واحدًا كبيرًا لأنها متصلة مع بعضها في النهاية، مع ذلك، تكون مياهها مختلفة عن بعضها بفعل ظاهرة (حزام نقل المحيطات) وبسبب ذلك تختلف في الكثافة والكتلة واللون ونسبة الملوحة ونسبة المعادن، فحتى الماء في المحيط الواحد يختلف عن بعضه البعض، وكذا هو حال الطين الذي يصنع منه الطوب والأواني التي تصنع منها تختلف في تركيبها من مكان إلى آخر، حيث إن الطين له أنواع مختلفة، ناهيك عن بقية الأنواع حتى طين الفخار يوجد منه ثلاثة أنواع: الفخاري والحجري والبورسلين، إذًا ليس هناك سبل مختلفة للأديان تؤدي إلى هدف واحد.

– وكان راما كريشنا يؤمن إيمانًا قويًا أن جميع الكائنات الحية الحيوانات أو البشر من أي طائفة أو دين جميعهم هم الإله ذاته، حتى إنه كان يعدّ نفسه خادمًا لجميع الكائنات لأنه بذلك يخدم الإله، وكان يرفض وينزعج إذا خاطبه أحد بالمعلم أو بالأب، حيث كان يقول: "الإله هو المعلم الروحي الوحيد والأب والبطريرك، أنا المتواضع والخادم، لا أساوي شعرة صغيرة على جسمك"[230].

خلاصة ونقد.

بشكل عام تعدّ فلسفة راما كريشنا فلسفة توفيقية حاول فيها التوفيق بين ثقافات وحضارات مختلفة، حيث قام بنفسه بتجربة معظم التجارب الروحية لأديان مختلفة، ووصل إلى نتيجة أن جميع الأديان

---

[230] Sri Ramakrishna The Great Master, P350– 351.

تؤدي إلى حقيقة واحدة، كما وصل إلى نتيجة أنه لا يمكن للدين أن يكون سببًا في تدهور البلدان، فالدين هو الذي جلب الأخلاق والقيم والرخاء إلى الهند، وهذا الدين لا يزال موجودًا، وأنه يمكننا تحقيق ذلك النجاح مرة أخرى بأن نقود سفينتنا إلى بر الأمان، إذا بنينا جهودنا على الدين ذاته، فقد أظهر راما كريشنا للهندوس أن الدين يمكنه أن يوسع مدارك وفكر الإنسان، وأنه يمكن إزالة جميع الخلافات والصراعات بين الأديان عندما يتمكن كل شخص من ممارسة دينه بحرية، وعندما يعيش الجميع في سلام دون أن يبحثوا عن أخطاء الآخرين، ودون أن ينظروا إلى الآخر على أنه أدنى منه.

والنقاط الأساسية الأربعة لتعاليم راما كريشنا: هي وحدة الوجود، ولاهوت الإنسان، ووحدة الإله، وانسجام الأديان. فالكون في اعتقاده واحد كمادة وفكرة وروح أيضًا فهو غير قابل للتجزئة بأي شكل من الأشكال، والأسماء المختلفة والأشكال هي من خلق جهلنا وفكرنا، وهذا الجهل يختفي بعد إدراك الحقيقة والوصول إليها، فلا يوجد مجال للشعور بالتعددية، فالقيم والأخلاق ضد الآخر لا تفسر إلا من وجهة نظر هذه الوحدة الكلية التي تفهم كل شيء حي وغير حي.

مما لا شك فيه أن راما كريشنا كان له تأثير كبير ليس في الهند فقط وإنما في جميع أنحاء العالم، فقد انتشرت تعاليمه بسرعة كبيرة وخاصة من خلال تلميذه فيفيكأنند والتي تحث على السلام ونبذ الكراهية والعنف والطائفية والعنصرية، وقد أحدثت أفكاره ثورة في عالم الأفكار، وأثرت في العديد من الناس والمجتمعات المختلفة في جميع أنحاء العالم.

وعلى الرغم من ذلك فإن موقفه من الأديان الذي يعدّ إيجابيًا إلى حدٍ ما، إلا أن فلسفته تضم عددًا من الأشياء التي قد تؤخذ عليه، مثل أنه يحث على التزهد والتنسك والابتعاد عن العمل الدنيوي بشكل

كامل، والابتعاد عن جميع أنواع العلوم عدا العلم الديني، بل كان يدعو أحيانًا إلى عدم تعلم الكتب المقدسة أيضًا، فما يحتاجه الإنسان حقًا هو التأمل للوصول إلى الإله وإدراك جوهره الحقيقي، إلى الحد الذي قال فيه إن الإنسان ما دام يتخلى عن الحياة الدنيوية ويرتبط بالإله، فسوف يحقق الخلاص ويصل إلى الإله حتى وإن كان يتناول لحم الخنزير، أما إذا ارتبط بالأفكار الدنيوية فلن يصل إلى الإله ولن يحقق الخلاص.

وإيمانه أن تعاليم الويدا هي الأساس التي يجب أن يقوم عليه الدين العالمي الذي دعا إليه، مع الأخذ من بقية الكتب المقدسة سواءً كانت كتبا هندوسية أو كتبا أجنبية، طالما أنها لا تتعارض مع تعاليم الويدا، وأن المجتمع الهندي انقسم إلى عدة طوائف وأشعلوا الكراهية والطائفية فيما بينهم عندما ابتعدوا عن تعاليم الويدا، حصيلة ذلك أنه أراد العودة إلى تعاليم وأفكار الماضي، والابتعاد عن الأفكار المتطرفة التي لا تتوافق مع الويدا مما لا شك فيه أن الويدا يحتوي على تعاليم وأخلاق وقيم إنسانية، تستحق الإنسانية أن تتبعها وتعمل بها، ولكن لا يمكن أن يكون الويدا هو الأساس، لأنه إذا وجدت فيه تعاليم تعارض تعاليم كتاب مقدس آخر، ذلك يعني العودة إلى النقاش والحوار والكراهية مرة أخرى، الأخلاق والقيم الإنسانية هي ذاتها في جميع الأديان، فلا يوجد دين يحبذ ويحث على سرقة وقتل ونهب الآخر أو يحث على الكذب وظلم الآخر _عدا اليهودية_ فالصحيح أن يمارس كل شخص دينه وتعاليم كتابه بحرية طالما هو لا يؤذي الآخرين من دون وجه حق.

وطلب العودة إلى تعاليم الويدا والتقاليد القديمة من قبل راما كريشنا كان في الأساس؛ لأنه رأى انتشار الماديات وابتعاد المجتمع الهندوسي عن التعاليم والحياة الروحية، يقول سوامي ساردانندا: كان راما

كريشنا على اقتناع أن المثل الغربية قد دخلت الهند، وأنه بسببها أصبح البراهمة وغيرهم من المجتمعات المتعلمة مجرد ألعاب في أيديهم، فكيف يمكن أن ينزعج من هذا الضعف في نفوسهم، لذلك لم يتردد في أن يخبرهم بالحقائق الروحية كاملة[231].

ثم كيف مارس جميع الأديان ورأى أنها جميعها تحقق طريق الخلاص، ولكنه توصل إلى أن أساس ذلك يجب أن تكون الويدا؟ ألا يعني ذلك أننا سنعود إلى نقطة البداية من ضرورة فرض اتباع تعاليم معينة وردت في الويدا، إذًا أين حرية ممارسة السبيل الذي يريده الإنسان؟

ومع أنه يعتبر جميع الأديان مسارات مختلفة لهدف واحد إلا أنه سخر أحيانًا من بعض الأديان أو فعل الناس ذلك في مجلسه ولم يمنعهم عن فعل ذلك، وهو أمر غير مرغوب فيه، فحتى وإن كنت تعتقد أن الهدف النهائي هو ذاته، إلا أن أحدًا لن يرغب في أن تسخر من مساره ودينه وطائفته وإيمانه، في النهاية سيؤدي ذلك إلى الشقاق مرة أخرى. وعلى ذلك أيضًا وصفه الآلهة بصفات وأفعال غير لائقة، وذلك من منطلق أن روح الآلهة تسكن جميع الكائنات الحية في الكون، سواءً كان هذا المخلوق رفيعا أو دنيئا.

بالإضافة إلى موقفه السلبي جدًا من النساء، فلقد حطّ من قدر المرأة جدًا، حيث اعتبرها مصدر الشرور، وأنها تمنع الرجال من بلوغ الحقيقة والوصول إلى الإله، ولذلك لم يكن عنده مانع من أن المرأة تنتحر وتقتل نفسها إذا هددت زوجها بفعل ذلك إذا كان زوجها يهملها بسبب تأمله وعبادته، فما يهم أن لا يترك الرجل تأمله ويترك عبادته وممارسة اليوغا ولا بأس إذا ترك زوجته تموت، فإمضاء

---

[231] Sri Ramakrishna The Great Master, P708- 709.

الوقت مع الزوجة بالنسبة له تفاهة، على الرغم من أنه كان يتبع ويعبد الآلهة الأم كالي ويردد اسمها دائمًا، حتى وصل به الحال إلى عبادة زوجته التي اعتقد أن الآلهة الأم حلت وتجسدت فيها، فيا له من تناقض أن تعبد وتبجل آلهة أنثى، وتقول إن جميع النساء جزء من سيتا _زوجة راما_ ومن ثم تعتبرها مصدر الشرور ومايا (وهم).

كما أن تأكيده على التقشف والتزهد مرارًا وتكرارًا والحث عليه بشكل كبير أمر سلبي في فكر راما كريشنا، لا يعني ذلك أن الإنسان يجب عليه ترك العبادة ولكن لكل ذي حق حقه، فلا يجب على الإنسان أن يهمل حقوق أسرته كما لا يجب عليه أن يهمل حقوق الله تعالى. ومما لا شك فيه أن الإنسان إذا كان يسعى إلى نشر العدالة وإصلاح المجتمع، فلا بد أن يفي بحقوق الجميع بشكل كامل، والأسرة هي نواة المجتمع الأولى وبإصلاحها يصلح المجتمع، وبإفسادها يفسد المجتمع أيضًا.

المطلب الثاني: الآخر في فكر سوامي فيفيكأنند (1863- 1902):

يجسد سوامي فيفيكأنند المساواة والتعايش والاحترام لجميع البشر ليس فقط في الهند وإنما في العالم بأجمعه، فالمعلم له إنجازات عظيمة في أمريكا وبريطانيا والهند، وقد وصل صيته إلى جميع أنحاء العالم، وهو رجل بحث عن الحقيقة والعدالة والمساواة ولم يهتم أين وكيف وجدها، فعندما رأى المساواة ونبذ الطوائف والتمييز والعنصرية في الإسلام لم يتردد في الاعتراف بذلك، وجعل تعاليم الإسلام جزءًا كبيرًا من تعاليمه. هناك العديد من الأمور في شخصية ورحلة السوامي تتطلب البحث والشرح الطويل،

ولكن سنكتفي هنا بذكر ما يهمنا فقط، وبشكل عام يعدّ فكر سوامي فيفيكأنند أكثر عقلانية ومنطقية من معلمه راما كريشنا.

ومن أهم المعاني والقيم التي يمكن رصدها في فكر فيفيكأنند:

1- الكرامة الإنسانية: كان فيفيكأنند يؤمن أن ما يرفع الإنسان في الحقيقة وما يحتاجه حقًا هي الكرامة البشرية، ولذلك يقول: الأمة الحقيقية التي كانت تعيش في الكوخ قد نسيت رجولتها وفرديتها، تحت أقدام الهندوس أو المسلمين أو المسيحيين، وأصبحوا يعتقدون أنهم ولدوا ليتم الدوس بهم تحت أقدام كل شخص لديه المال في جيبه، ولهذا يجب إعادتهم إلى شخصيتهم وكراماتهم المفقودة[232]. يوضح النص أن الأشخاص الذين كانوا يعيشون أساسًا في الأكواخ فقراء، إلا أنهم كانوا يتمتعون بكرامة وعزة نفس، ولكنهم مع مرور الزمن فقدوا كرامتهم تحت حكم الطوائف والأديان المختلفة، حتى أصبحوا يعتقدون ويؤمنون أنهم يستحقون أن يتم الدوس عليهم من قبل أصحاب السلطة والمال، ولذلك هم بحاجة إلى أن يتم إعادة كرامتهم وشخصيتهم المفقودة.

- كما كان يحث الناس على التفاؤل ومعرفة قوتهم الحقيقية، ولذلك يقول: القوة هي الحياة، والضعف هو الموت، القوة هي السعادة والحياة الأبدية، الضعف هو الإجهاد المستمر والمعاناة، الضعف هو الموت، دع الأفكار الإيجابية والقوية والمفيدة تدخل عقلك منذ الطفولة[233]. القوة النفسية والتفكير

---

[232] Vivek Ananda, Complete Works of Swami Vivekananda, London, 1896, V 8- E- Fourth Series, Chicago, 20\6\1894, XX.

[233] ویبر- سوامی وویکانند کے تعلیمی فلسفے کے بنیادی اصولوں پر آپ کا مضمون- 7\9\2022- شوهد في 21\9\2022. https://2u.pw/AjV3lK.

الإيجابي يساعد المرء على التعامل مع المواقف المزعجة بطريقة إيجابية ومنتجة، ويبدأ ذلك من خلال تدفق الأفكار في العقل، ويجب أن تكون هذه الأفكار إيجابية وإلا فإن نظرة الإنسان للحياة ستكون متشائمة، وتعامله مع الآخر سيكون بكراهية وعداوة، إما إذا كانت نظرته إلى الحياة إيجابية فسيكون تعامله مع الآخر بمحبة واحترام، فقد ثبت علميًا أن التفكير الإيجابي اتجاه الآخرين مثل مساعدتهم والعفو عنهم وحب الخير لهم، ينشط النظام المناعي ويقي الإنسان من الأمراض[234]. كما أن قوة النفس والتفكير الإيجابي يكسب الإنسان ثقة كبيرة بالنفس، الأمر الذي يحفزه على إيجاد الحلول المناسبة والتوقف عن لوم الآخرين، بالإضافة إلى أنها تكسب الإنسان عزة نفس وكرامة بحيث لا يسمح للآخر أن يقوم بإذلاله أو أذيته.

– ويذكر فيفيكأنند المجتمع الهندي خاصة والعالم بشكل عام أنهم أقوياء أكثر مما يعتقدون، ويتطلب الأمر منهم إظهار هذه الشجاعة والاجتماع على كلمة واحدة، ثم مواجهة الطغيان والظلم، للدفاع عن حقوقهم وكرامتهم، لأنهم ليسوا ضعفاء وليسوا عبيدًا لأحد، يقول فيفكأنند: كن واعيًا لكرامتك[235]، كما يقول أيضًا: قف، كن جريئًا، كن قويًا، تحمل المسؤولية كاملة على عاتقك، واعلم أنك صانع قدرك[236].

---

[234] طارق فتحي، قوة التفكير الإيجابي، الأرض بين العلم والقرآن، الليل لباس للبشر، 11\5\2017، شوهد في 2\10\2022. https://2u.pw/PZhke

[235] Complete Works of Swami Vivekananda, London, 1896, V 7, Conversations and Dialogues, I – XXIX.

[236] Complete Works of Swami Vivekananda, Madras, 1893, V 2, Jnana-Yoga, New York, 19\1\1896, The Cosmos: The Macrocosm.

2- حرية الآخر: من أجل تحقيق الحرية أكد فيفكأنند على أنه يجب "صنع الإنسان"، وأعرب عن اعتقاده أن الحرية ستكون بلا معنى إذا لم يستطع الهنود تقديرها أو لم يكونوا مستعدين لها، وأعلن أنه ينبغي على الشعب الهندي أن يكون مستعدًا للحرية، وستكون هذه الحرية من صنع الإنسان، وكان فيفيكأنند يعني بذلك نشر قيم معينة من خلال التعليم لتشكيل الطلاب والأطفال، وينبغي أن تشكل هذه القيم الأساس لشخصية قوية للمواطن وأن تجعل الفرد إنسانًا صالحًا، ويجب على هذا الإنسان المناضلة من أجل الحرية، ونظر فيفيكأنند إلى التعليم كأداة لتعزيز الاعتماد على الذات والأخوة العالمية، حيث أكد أن هذا النوع من التعليم سيساعد البشر على إدراك الألوهية في النفس بنفسه، وهكذا كان هذا شرطًا أساسيًا لتحقيق الحرية لدى فيفكأنند[237]. كما ورد في كتابه: الحب والسلام لا يولد ولا ينتشر حتى يحصل الإنسان على الحرية، الحرية تنجب الحب والسلام، الحب في قلوب العبيد لا يمكن أن يكون حبًا حقيقًا، ومن البديهي عندما يعمل الإنسان، ويكون عبدًا للمادية والمال أو للأفكار المتطرفة لن يكون أي من أعماله يتصف بالبركة ولن يشعرنا بالراحة، وإن كنا نقوم بذلك من أجل شخص عزيز علينا[238].

إذًا أساس كل شيء آخر في الحياة من سلام وتعايش ومحبة وحوار ومشاركة وتقدم ونمو وتطور وتحضر هو الحرية، لأن الحرية يمنح الإنسان فضاءً واسعًا يعمل على تعزيز أركان المجتمع، من خلال منح البشر ملكة التفكير والإبداع والعمل والاختراع، والذي يعمل على تنمية الاقتصاد، ويقضي

---

[237] G.G. Parikh & Neeraj Jain, and Neha Dabhade, Remembering Swami Vivekananda on His Death Anniversary: Two Articles, 5\7\2020, Viewed: 21\8\2022. https://2u.pw/5VGGju

[238] سوامى وويكانند، نعرة حق، راماكرشن مشن، نئي دلهي، ط1، 1963م، ج1، ص71 -72.

على اللامبالاة والكسل والعنف في المجتمع، بل تمنح الإنسان شعورًا بضرورة أن يكون معطاءً يفيد مجتمعه بل والإنسانية، ومن خلال تحقيق طموحاته يستطيع الإنسان أن يكون معطاءً يساهم في تطوير وتقدم المجتمع، بالإضافة إلى أن الحرية تشخص حالة المجتمع وما تواجهه من مشكلات وتحديات أخلاقية وفكرية وثقافية، وتوجهه إلى تقديم حلول مناسبة تساهم في حل هذه التحديات، جميع الأمور السابقة تساهم في خلق مجتمع يتسم بالسلام والأمن والأمان. وانتقد فيفكأنند فرض القيم الاجتماعية والدينية لدين ومجتمع آخر على مجتمع آخر، حيث حضر إليه ذات مرة رجل يشتكي إليه أن المسلمين يقتلون الحيوانات، فقال لهم: "أنت قلق بشأن إنقاذ الحيوانات وأنا قلق بشأن إنقاذ البشر، أنت قم بعملك ودعني أقوم بعملي"[239].

وقال أيضًا: نحن نترك للجميع حرية اختيار واتباع ومعرفة ما يريده، وبالتالي على سبيل المثال، قد يساعد تناول اللحوم أحدًا ما، وتناول الفاكهة كذلك، كل شخص مرحب به باتباع خصوصيته الخاصة، ولكن ليس له الحق في انتقاد سلوك الآخرين، ناهيك عن الإصرار على أن الآخرين يجب أن يتبعوا طريقه، كان الخطأ الفظيع للدين هو التدخل في الأمور الاجتماعية، ما نريده هو أن الدين لا ينبغي أن يكون مصلحًا اجتماعيًا، ما عمل الكهنة ليتدخلوا في كل مسألة اجتماعية ليكونوا السبب في بؤس ملايين البشر؟[240].

---

[239] عبد العزيز، سوامی ویویکا نند: انسانیت اور روحانیت کے علمبردار، 29\11\2018، شوهد في: 20\8\2022. https://2u.pw/b8Fp6l

[240] Complete Works of Swami Vivekananda, Chicago, 1894, V 4, Writings: Prose, Chicago, 3\3\1894, What we Believe in.

صحيح أن للجميع حرية في أن يعقدوا ما يريدون، وأن يمارسوا ما يريدون، وأن يتبعوا ما يريدون، فلكل شخص خصوصيته وحريته، ولا يحق لأحد أن يمنع الآخر من ممارسة حريته، طالما أنه لا يؤذي الآخرين، بل ويتجرأ على أن يفرض على الآخرين عقيدة ودينًا وفكرًا معينًا يعتقد هو بصحته، كما يحصل مع الهندوسية القومية (الهندوتوا) اليوم في الهند، حيث تسعى إلى فرض أيديولوجيتها على المسلمين والمسيحيين، وتمنع الطبقات الهندوسية الأخرى من أن تعتنق دينًا آخر بحريتها وإرادتها.

ولكن لا يمكن اعتبار الدين منفصلًا عن المجتمع، لأن الدين هو أساس ومصلح المجتمع، وليس كما يقول فيفكأنند أنه ليس "مصلحًا اجتماعيًا"، فالعلاقة بين الدين والمجتمع علاقة تبادلية توافقية، بحيث إن كلًا منهما يؤثر في الآخر ويكونان كيانًا مجتمعيًا متماسكًا ومتحضرًا، كيف يمكن فصل الدين عن المجتمع؟ والدين فطرة وغريزة إنسانية، والدين هو مرجع تفسير السلوك الاجتماعي، وهو الذي يحدد السلوك الإيجابي من السلوك السلبي، ويقرر دعائم المجتمع ونظمه، ليس فقط في الدين الإسلامي وإنما في جميع الأديان، فحتى في الدول العلمانية التي لا تعترف الدولة فيها بالدين، إلا أن المجتمع يسير بحسب المعتقدات والشرائع الدينية، حيث إن مثل هذه الدول تضمن لشعوبها حرية التدين ومسايرة مجتمعهم بما يريدون طالما أنهم لا يضرون بأحد، نعم، قيمة الدين في المجتمع تتحدد بمدى التزام المجتمع بالدين والدور الذي يلعبه في تشكيل معتقداتهم، وخاصة عملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ منذ الولادة وحتى الموت، فالدين هو الذي يرسم سبيل سير الأفراد في مجتمع ما.

وحتى في الهندوسية يعدّ الدين الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الهندوسي ويسير عليه في جميع أمور حياته، وينظم أخلاقه وقيمه وطريقة تعامله مع الآخر، المعضلة ليست في أن الهندوسية تتدخل

في الحياة الاجتماعية للمجتمع الهندوسي أو المجتمعات الأخرى وتفرض تعاليمها عليهم، المعضلة هو الغلو في الدين وتحريف النصوص المقدسة، وتفسيرها بما يناسب الأهواء، فالنظام الطبقي الهندوسي (فارن) ليس إلا "شيئا" دخيلا على المجتمع الهندوسي، وحتى في بداية ظهوره لم يكن بهذه القسوة والعنصرية، إلا أنه مع مرور الزمن تحول ليصبح نظامًا مجحفًا في حق الطبقات الأخرى، لأن البراهمة أصبحوا يتصرفون بكبرياء وعلو وينظرون إلى الطبقات الأخرى نظرة احتقار، مع أن التعاليم تنص على أنهم يجب عليهم أن ينظروا إلى الآخرين نظرة مساواة، ويجب أن لا يسببوا الأذى لأي كائن حي، _كما تم ذكره في الفصل السابق، وسيأتي ذكره كذلك في الفصل التالي_، لا يمكن للدين أن يكون سببًا في بؤس أحد، ولكن يمكن للكهنة ورجال الدين أن يكونوا كذلك عندما يستغلون الدين لتحقيق مصالحهم الخاصة.

3- التسامح مع الآخر: يقول فيفكأنند: إن العالم بحاجة إلى ناقوس الموت لكل تعصب، ولكل الاضطهادات بالسيف أو بالقلم، وقال إنه يجب أن يكتب على راية كل دين الوئام والسلام وليس الشقاق، بدلًا من الموقف غير المتسامح لبعض الأديان الذي يضع أي دين في مواجهة أو تنافس مع الأديان الأخرى[241]. شدد فيفيكأنند على ضرورة التسامح مع الأديان الأخرى، وأن كل متعصب بأي وسيلة كان يمارس تعصبه بها سواءً كان القلم أو السيف، فإنه يستحق أن يعاقب إلى درجة وصول العقاب إلى الموت، كما أكد أن كل دين يجب عليه رفع شعار التعايش والمشاركة والسلام، بدلًا من

[241] Bharat Dogra, Swami Vivekananda's birth anniversary on Sunday: his message remains relevant, 11\1\2020, Viewed: 20\8\2022. https://2u.pw/sYdoMl

التعصب والتنافس مع الآخرين، ومحاولة إثبات أن الحق معهم، فخدمة البشر الآخرين وأشكال الحياة الأخرى أساس لجميع الأديان عند فيفكأنند. ولذلك يؤكد على أنه: يجب أن تكون لديك محبة اتجاه جميع الكائنات، أشفق على أولئك الذين هم في محنة، أحب جميع المخلوقات، لا تغار من أي شخص، ولا تنظر إلى أخطاء الآخرين[242].

– وأثناء خطابه في البرلمان في شيكاغو قال: نحن لا نتسامح فحسب مع الآخرين، بل نحن الهندوس نقبل كل دين، نصلي في مسجد المحمديين، ونعبد نار **الزرادشتيين**، ونركع أمام صليب المسيحيين، مع العلم أن جميع الأديان، من أدنى صنمية إلى أعلى مطلقة، تعني الكثير من محاولات النفس البشرية لفهم وإدراك اللانهائي، كل منها تحددها ظروف ولادتها وارتباطها، وكل واحد منها يمثل مرحلة من مراحل التقدم، نحن نجمع كل هذه الزهور ونربطها بخيوط الحب، ونصنع باقة رائعة من العبادة[243]. يؤكد فيفكأنند على حقيقة أن الهندوسية مجتمع يتقبل الذوبان في جميع الأديان والطوائف، بحيث يتأثر ويأثر فيه ويتشارك ويتعايش معه بما يتناسب مع طبيعته، لأنها تؤمن أن جميع الأديان في أصلها هي وحدة واحدة تؤدي في الأخير إلى مطلق واحد.

4–الرحمة والمساواة مع الآخر: لقد كان فيفيكأنند ينظر إلى جميع الأديان نظرة واحدة، ويؤمن أن جميعها في النهاية تؤدي إلى إله واحد، لأن ذلك هو هدف جميع الأديان، ولذلك قال في خاطب له في برلمان الأديان: المسيحي لا يجب أن يصبح هندوسيًا أو بوذيًا، ولا الهندوسي أو البوذي يجب أن

---

[242] Complete Works of Swami Vivekananda, V 5, Sayings and Utterances.

[243] Complete Works of Swami Vivekananda, Chicago, 1893, V 1, Lectures and Discourses, The Hindu Religion.

يصبح مسيحيًا، ولكن يجب على كل واحد أن يستوعب روح الآخرين، ومع ذلك يحافظ على فرديته وينمو وفقًا لقانون النمو الخاص به، إذا كان هناك شخص يحلم بإبقاء دينه وتدمير أديان الآخرين، فأنا أشفق عليه من أعماق قلبي، وأخبره أن على راية كل دين سيكتب قريبًا، على الرغم من المقاومة: "ساعدوا ولا تتقاتلوا"، "الاستيعاب والتعايش وليس الدمار"، "الوئام والسلام وليس الشقاق"[244]. يوضح فيفيكأنند أنه لا يجب ولا يحق لدين ما فرض آرائه وتعاليمه على أي مجموعة أخرى، وليس المطلوب أن يتحول الإنسان من دينه إلى دين الآخر، وإنما يجب عليه تقبل الآخر مع ما يؤمن به ويعتقده، وأن يسمح له بممارسة دينه بحرية، كما يمارس هو دينه بحرية ويقوم بما يقع على عاتقه ما يساهم في تطوير المجتمع وتقدمه، أما إذا كان هناك شخص يريد فرض دينه وآرائه على الآخرين فهو شخص يستحق الشفقة، بسبب تعصبه الذي يقيد ملكة تفكيره الصحيح.

– يقول فيفكأنند: أما بالنسبة للتسامح مع المعتقدات المختلفة، فإن الهندوسية ليس بها كلمة تطابق المصطلح الإنجليزي (التعصب)، فالهندوسية بها كلمة للدين، ومصطلح للطائفة، وقد تمكنت من احتضان أديان وطوائف مختلفة[245]. يفتخر فيفكأنند أن الهندوسية ليس بها حتى مصطلح "التعصب"، وهذا دليل على سماحتها ومساواتها وتعايشها مع الآخر، وبسبب نظرتها هذه تمكنت من احتضان عدد كبير من الطوائف والأديان.

---

[244] Swami Nikhilananda, The Parliament of Religions, Vivekananda A Biography, Viewed: 16\8\2022 https://2u.pw/nUJWYt

[245] Complete Works of Swami Vivekananda, Calcutta, 1897, V 9, Newspaper Reports, American Newspaper Reports, Daily Iowa Capitol, 28\11\1893, All Religions are True Such id the Message Brought from India.

– يتساءل بعض الناس كيف يمكن لجميع البشر أن يكونوا متساوين وهم مختلفون أساسًا في طريقة تفكيرهم، وقوتهم، وألوانهم، وأجسادهم، يشرح فيفيكأنند هذا التفاوت قائلًا: نحن جميعًا بشر، لكن بعضنا من الرجال، وبعضنا من النساء، هنا رجل أسود، وهناك رجل أبيض، لكن جميعهم بشر، كلهم ينتمون إلى إنسانية واحدة، مختلفة هي وجوهنا لا أرى اثنين على حد سواء، لكننا جميعًا بشر، أين هذه الإنسانية الواحدة؟ من بين كل هذه الوجوه أعرف أن هناك إنسانية مجردة مشتركة بين الجميع، قد لا أجدها عندما أحاول فهمها والشعور بها وتحقيقها، لكنني أعرف على وجه اليقين أنها موجودة، إذا كنت متأكدًا من أي شيء، فهو من هذه الإنسانية المشتركة بيننا جميعًا من خلال هذا الكيان المعمم أراك رجلا أو امرأة، هكذا هو الحال مع هذا الدين العالمي، الذي يمر عبر جميع الأديان المختلفة في العالم في شكل الإله، كما يجب أن تكون موجودة بالفعل إلى الأبد، "أنا الخيط الذي يمر عبر كل هذه اللآلئ"، وكل لؤلؤة هي دين أو حتى طائفة منها، هذه هي اللآلئ المختلفة، والإله هو الخيط الذي يمر عبرها جميعًا، فقط غالبية البشر غير واعين تمامًا بها[246]. بعد أن بين فيفكأنند المساواة البشرية بين البشر انطلق من خلال ذلك إلى بيان أن نتيجة ذلك مثلما البشر يختلفون في جنسهم وألوانهم إلا أنهم في الأخير متساوون في الإنسانية، الأديان المختلفة والمتدينين المختلفين يشبهون ذلك، فمع اختلاف عقائدهم وأفكارهم إلا أنهم متساوون في البشرية ومتساوون في إيمانهم بالدين العالمي الذي يصل في النهاية إلى الإله الواحد.

---

[246] Complete Works of Swami Vivekananda, V 2, Practical Vedanta and other lectures, The Ideal of a Universal Religion.

5- نبذ الطبقية: نفى فيفيكأنند العنصرية والطائفية التي انتشرت في الهندوسية، وأكد أن الهندوسية دين السلام والحب، حيث أورد في محاضرة له عام 189م أن: هناك فرق بين الحب الذي تعلمه المسيحية والحب الذي تعلمه الهندوسية: المسيحية تعلمنا أن نحب جيراننا كما يجب أن نتمنى لهم أن يحبوننا، بينما تطلب منا الهندوسية أن نحب الآخرين كما نحب أنفسنا، في الواقع يجب أن نرى أنفسنا فيهم وأورد أيضًا: كلما كبرت في السن، كلما رأيت وراء فكرة الهندوس أن الإنسان هو أعظم الكائنات[247]. ولذلك كان فيفيكأنند يدعو الناس إلى عدم الإيمان الأعمى بأي شيء، ولذلك يقول: نحن لا نعترف بشيء مثل المعجزات، هناك عجائب تتجاوز حواسنا الخمس، لكنها تدار بموجب قانون ما، ديننا لا علاقة له بهذه الأشياء، معظم الأشياء الغريبة التي تتم في الهند ويتم الإبلاغ عنها في الصحف الأجنبية هي حيل خفة اليد أو أوهام تنويم مغناطيسي، إنها ليست عروض الحكماء... [248]، وقال أيضًا: "إنني أعتبر المعجزات أكبر عثرة في طريق الحقيقة"[249].

كما أنه كان ينفر من علم التنجيم وينفر مِن مَن يؤمنون بذلك إيمانًا أعمى، وكان يعدّ من ينشر مثل هذه الأشياء ويتعامل معها بأنهم أشخاص ماكرون، يخدعون الناس ليكسبوا رزقهم فقط، ولذلك قال: أولئك الذين يجنون لقمة العيش عن طريق حساب النجوم، بمثل هذا الفن والحيل الكاذبة الأخرى يجب

---

[247] VivekaVani, Swami Vivekananda Quotes on Hinduism And Hindus, 24\10\2019, Viewed: 20\8\2022. https://2u.pw/8hxO0g

[248] Complete Works of Swami Vivekananda, San Francisco, 1900, V 3, Reports in American Newspapers, 17\2\1894 Miracles.

[249] Complete Works of Swami Vivekananda, V 1, Lectures and Discourses, Soul, God and Religion.

تجنبهم"[250]، وكان يقول: علينا التخلص من مئات الخرافات التي كنا نحتضنها في صدورنا لعدة قرون، فالترويج للغموض والخرافات هي دائمًا علامات الضعف، إنها علامات على الانحطاط والموت، عار على البشرية أن يقضي الرجال الأقوياء وقتهم في الخرافات، ويقضون أوقاتهم في اختراع الاستعارات لشرح أكثر الخرافات فسادًا[251].

وقد ألقى فيفيكأنند باللوم على البراهمة في نشر الخرافات بين الناس لأجل مصلحتهم الخاص[252]، فقد رأى أن حال بلاده الرديئة ليست بسبب الدين، وإنما السبب الرئيسي في ذلك هو تمتع الكهنة بالسلطة لفترة طويلة وهو أمر أفسدهم، والذين حرموا العوام من التعرف إلى الدين الحقيقي، حيث تم نسيان الويدا مصدر الديانة الهندوسية، علاوة على ذلك فإن النظام الطبقي يستنزف حقوق وحرية العوام[253]، ولهذا كتب في إحدى رسائله: "اطردوا الكهنة الذين هم دائمًا ضد التقدم، لأنهم لن يصلحوا أبدًا، ولن تصبح قلوبهم كبيرة أبدًا، إنهم نسل قرون من الخرافات والطغيان"[254]، وقال في استغلال الفقراء والضعفاء من قبل البراهمة الذين شبههم بمصاصي الدماء: " بلد يعيش فيه الملايين من الناس على

---

[250] Complete Works of Swami Vivekananda V 8, Notes of Class Talks and Lectures, Man the Maker of His Destiny.

[251] Complete Works of Swami Vivekananda V 3, Lectures from Colombo to Almora, The Work before us.

[252] Complete Works of Swami Vivekananda V 8, E– Fourth Series, Bombay, 22\2\1892, IX Diwanji Saheb.

[253] Swami Nikhilananda, As a Wandering Monk, Vivekananda A Biography, Viewed: 16\8\2022 https://2u.pw/ISKdsi

[254] Complete Works of Swami Vivekananda V 5, E, First Series, Yokohama, 10\7\1893, III Alasinga.

زهور نبات (موهو)، ومليون أو مليونان من السادوس ومائة مليون أو نحو ذلك من البراهمة يمتصون الدم من هؤلاء الفقراء، دون حتى أقل جهد لتحسين حياتهم، هل هذا بلد أم جحيم؟ هل هذا دين أم رقصة الشيطان؟"[255]، وقال ينتقد الهندوسية: "أنا لا أؤمن بملة أو دين لا يمسح دموع الأرملة، ولا يجلب كسرة خبز إلى فم اليتيم"[256]. ومما لا شك فيه أن البراهمة في الهند لهم دور كبير في انتشار الفساد والخرافات التي لا أصل لها بين الجماهير، وذلك من أجل استغلال الطبقات الدنيا من أجل مصالحهم الخاصة.

ولقد انتقد نظام الطبقات، واتخذ ضد الاستغلال والتعامل البربري موقفًا حازمًا، وقد علق على ذلك قائلًا: قد تم إقرار هلاك الهند، في اليوم الذي تم فيه اختراع كلمة (ميلشيه **Mlechcha**)، وتوقفوا عن التواصل مع الآخرين[257]، وكتب في رسالة له: إذا ولد أي شخص في الطبقة الدنيا في بلدنا، يعني هذا أنه انتهى إلى الأبد، ولا يوجد أمل له، لماذا؟ يا له من استبداد! كم من الناس يبكون حقا على أحزان ومعاناة ملايين الفقراء في الهند، ونحن لا نلمسهم ونتجنبهم، هل نحن بشر؟ هؤلاء الآلاف من

---

[255] Complete Works of Swami Vivekananda V 6, E– Second Series, Chicago, 19\3\1894, XLI Shashi.

[256] Complete Works of Swami Vivekananda V 5, E, First Series, Washington, 27\10\1894, XXI Blessed and Beloved.

[257] Swami Nikhilananda, Vedanta in America, Vivekananda A Biography, Viewed: 16\8\2022 https://2u.pw/P6Oxak

البراهمة ماذا يفعلون لأصحاب الطبقات الدنيا المنهكة في الهند؟ كل ما يفعلونه هو ترديد عبارة واحدة: لا تلمس، لا تلمس[258].

خلاصة ونقد:

قدم سوامي فيفيكأنند مساهمات عديدة في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والفلسفية والدينية، إلا أن جوهر رسالته يقوم على المحبة العالمية، والانسجام بين جميع الأديان، والخدمة المتفانية للمنكوبين، وإزالة الظلم والاستغلال، والتخلص من جميع أشكال الظلم والعنصرية والطائفية والخرافات لتمهيد الطريق للتقدم.

في الوقت الذي كانت سياسة الهند تقوم على كراهية الآخر، تسربت هندوسية فيفيكأنند بحب ووحدة الأديان، وفي الوقت الذي عارض فيه الممارسات الاجتماعية غير المرغوب فيها السائدة في المجتمع باسم الدين، دعا إلى التفكير العقلاني الذي يتعارض مع الإيمان الأعمى وطموحات واستغلال الكهنوت. وعلى الرغم من أنه في بعض مراحل حياته أظهر تفوق الهندوسية إلا أن رسالته عن التعايش وتقبل الآخر لم تتزعزع، ومن البديهي أن يميل نحو الديانة التي يتبعها ويتبع تعاليمها ويفتخر بها، ولكنه لم يكن متعصبًا لها، فدعوته وأفكاره بمنزلة بلسم للمجتمع الذي انتشر فيه آفة العنصرية والعنف والاضطهاد والكراهية ضد الآخر القائمة على الدين والطبقية، ففكره عن الهندوسية لم يكن يحث على نشر الكراهية

---

[258] Complete Works of Swami Vivekananda V 5, E, First Series, Chicago, 28\12\1893, VI Haripada.

ضد الآخر، وإنما كان دعوة للهندوس ليكونوا مثالا للإنسانية والتعايش، وذلك ينم عن عقلية رحيمة ومنطقية. إلا أن ما يؤخذ عليه أنه في العديد من أقواله لمح إلا أن المسلمين اضطهدوا الهندوس أو أنهم حملوا السيف ضدهم أو أنهم من يبدأون ما يحدث من أعمال عنف، فكأنه يشير بشكل غير مباشر إلى أن ما حدث من عنف بأي شكل من الأشكال كان بسبب المسلمين، وإن لم يقل ذلك بصريح العبارة، فالعدل أن يذكر أن ما حدث من عنف في بعض المراحل كان بسبب الطرفين، ولكن الانحياز إلى طرف دون آخر غير عادل.

وهكذا، رأى القيم والأخلاق ذاتها في جميع الأديان، وشدد على أن الأديان يمكن أن تنمو بشكل جماعي إذا تعلمت من بعضها البعض، فجميع الأديان أنتجت بشرًا صالحين تحولت إلى شخصيات سامية أثرت على جميع الأديان، وهذه رسالة مهمة وذات صلة بمجتمعنا الذي يتم تفريقه وتمزيقه باسم الأديان، ولذلك أكد فيفيكأنند أنه لا ينبغي استهداف أفراد مجتمع ما لأنهم يتبعون دينًا معينًا أو أن يتم النظر إليهم بازدراء، والاختلافات القائمة على أساس الطقوس والرموز مبالغ فيها، والقول بأنها غير قابلة للتوفيق يعمق الشروخات بين المجتمعات، فجوهر الأديان وأخلاقها وقيمها هي ذاتها في جميع الأديان، حتى وإن اختلفت عقائدها وطقوسها وعباداتها ورموزها. وقد أكد أن الديانة الهندوسية أكدت على الوحدة في التنوع على مر التاريخ، حيث اعترف الهندوس بالآخر وتقبلته وتعايشت معه، والأفكار التي تدعي بعدم قبول الآخر وترفضه هي أفكار متطرفة تحتاج إلى تصليح وإعادة صياغة، يقول فيفيكأنند: "أنا فخور بالانتماء إلى دين علم العالم التسامح والقبول العالمي، نحن لا نؤمن بالتسامح

العالمي فحسب، بل نقبل جميع الأديان على أنها صحيحة، أنا فخور بأن أخبركم أنني أنتمي إلى دين لا يمكن ترجمة كلمة "استعباد" إلى لغته المقدسة السنسكريتية"[259].

فلسفة فيفيكأنند تقوم على الإنسانية، حيث أراد من جميع الناس في العالم الهندوس بجميع طوائفهم والمسلمين والمسيحيين وغيرهم أن يكونوا "إنسانًا" يتصف بالمحبة والكرم واللطف والحرية والكرامة، وقد استند على الدين نفسه وخاصة الهندوسية في نشر هذه القيم، وهذا دليل على أن الهندوسية تقبل الآخر وإلا كيف يمكن أن تستند فلسفة وأفكار وصلت أصداؤها إلى أنحاء العالم على ديانة عنصرية وقومية؟ والتصفيق الحار الذي حصل عليه أثناء إلقاء خطابه في البرلمان في شيكاغو كان لأنه أكد للعالم أن الدين ليس سبب التعصب والكراهية، حيث إن أرقى وأسمى تجلي للدين يكون أثناء ممارسته الحوار مع الآخر. كما أن مهمته عن الإحساس بالفقراء والضعفاء وخدمتهم ومساعدتهم هي الأقوى، فقد كان مبشرًا هندوسيًا أقام فلسفته على التضحية والخدمة من أجل الآخرين، وهي فلسفة تضم الآخرين ككل دون تمييز بين طبقة وأخرى وبين دين وآخر، وقد حث على خدمة فقراء وضعفاء المجتمع بتواضع، وفلسفته في خدمة الآخرين عززت الروح الإنسانية، وكان يعتقد أن خدمة الآخرين ضرورية لأنها تصنع الإنسان وتبني الأمم، وفي الوقت ذاته هو مظهر من مظاهر تحقيق الكرامة الإنسانية، ويدل ذلك على الأهمية التي أولاها لحرية وكرامة الإنسان، فقد أراد أن يتحدى صفات الإنسان الداعية إلى الجشع والأنانية التي تميل إلى استغلال الآخرين، حيث لم يوافق على تبرير استغلال طبقة واحدة من المجتمع تحت ذريعة الخدمة.

---

[259] Sri Ramakrishna Kathamrita, V 5, Appendix 1, Chapter 2 – P287.

ولذلك حمل فيفيكأنند راية العقلانية ضد الخرافات والأساطير الذي أدت إلى التمييز والاضطهاد في المجتمع الديني على أساس الدين والطبقة، ونادى بالمساواة والحرية والتعايش وضرورة تقبل الآخر، ومساعدة الضعفاء والفقراء، ودحض النظام الطبقي، حيث أكد أن بناء دولة الهند لن يكون إلا بتعاون عناصر المجتمع الهندي بأكمله معًا، إلا أن دعوته في أن البشرية لا يجب أن تقودها الكتب المقدسة_ الويدا والقرآن الكريم والكتاب المقدس_ أو أننا في حاجة إلى دين وإله جديدين، مرة أخرى، هي فكرة لا يمكن التسليم والأخذ بها، فيمكن بناء دولة وحوار ديني في الهند، ويمكن العيش في مجتمع واحد دون المساس بمعتقدات وتعاليم وشعائر الدين الأساسية.

نسيج المجتمع الهندي بما فيه من أديان جميعها تنظر إلى الآخر نظرة قبول، وتؤمن بالمساواة والعدالة، وبعدم كراهية واضطهاد الآخر، والمحبة والعطف والرحمة اتجاه الآخر، إذا ما الحاجة إلى المساس بالعقائد والشرائع الأساسية؟ إذا كان المجتمع يتصف وينظر إلى الآخر نظرة قبول ويؤمن بضرورة التعايش معه، إذًا، ما الفرق إذا كان يعبد الله سبحانه وتعالى، أو يعبد راما أو كريشنا أو شيف أو فيشنو... أو يعبد المسيح، أو يعبد غورونانك، أو بوذا، أو مهافير؟ وما الفرق إذا كان يؤدي شعائره في المسجد أو في الكنيسة أو في معبد أو في (غورودوارا Gurudwara) _مكان عبادة السيخ_؟ أو كان يقرأ القرآن أو الويدا أو الكتاب المقدس أو غورو غرانت صاحب Guru Granth Sahib أو المهايانا؟ بالطبع، لا نقصد القول بوحدة الأديان، أو أن جميع الآلهة والسبل تؤدي إلى حقيقة واحدة وإلى إله واحد، وأنه لا يوجد فرق سواء عبدت كريشنا أو راما أو المسيح أو الله سبحانه وتعالى؛ لأنها جميعها في النهاية تشير إلى الكائن الأبدي والأزلي، ولكن ما نقصده أنه ينبغي أن تكون هناك حرية

دينية، بحيث يمارس كل إنسان معتقده بحرية دون أن يتم إجباره على ممارسة عقيدة أخرى، أو يتم منعه عن ممارسة عقيدته.

بالإضافة إلى أن قول فيفكأنند بالدين العالمي أمر آخر غير مرغوب به في الإسلام، وتطبيقه أمر غير ممكن، العالم يمتلئ بعدد كبير من الأديان السماوية والوضعية والتي لا يمكن جمعها في دين عالمي واحد، ثم، ومرة أخرى، لماذا يجب التنازل عن العقائد والتعاليم الأساسية للأديان لتقبل الآخر وتحقيق التعايش والتشارك؟ آمن فيفيكأنند بالتنوع والاختلاف الموجود بين البشر واعتبر ذلك أمرًا فطريًا، وعلى الرغم من ذلك دعا إلى خلق دين عالمي، هل تقبل الآخر بدينه ومعتقداته وتعاليمه كما هو، وتضمين حريته في ممارسة ما يعتقد من شعائر، دون أن يُطلَب منه التنازل عن بعض معتقداته؟ أمر في غاية الصعوبة، أما بالنسبة للدعوة إلى الله تعالى، فهي مهمة وتكليف المسلم الأول والأخير، والذي يجب عليه أداؤه في كل حين، ليس فقط من خلال دعوة الآخرين إلى الإسلام، وإنما أيضًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك تمييز لأمة الرسول ﷺ، قال تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"[260]، والدعوة أيضًا يجب أن تكون بالإحسان والرحمة، وأخلاق الإسلام وقيمه هي في ذاتها دعوة إلى الله تعالى.

[260] سورة آل عمران: 110.

المطلب الثالث: الآخر في فكر المهاتما غاندي (1869- 1948).

يعدّ المهاتما غاندي أبرز شخصية كان لها مواقف مشهودة في التاريخ مع الآخر، وهو الشخص الذي نادى بسياسة اللاعنف أو المقاومة السلبية (ساتيا جراه)، وهي الشخصية التي زلزلت بمغزلها الإمبراطورية البريطانية، وعلى الرغم من أن له مواقف سلبية عديدة ولكن بشكل عام يعدّ شخصية سعت إلى السلام وتقبل الآخر ونادى بالتعايش والسلام والابتعاد عن العنف، ودفع حياته ثمنًا لذلك.

وأبرز ما ميز فكر (المهاتما غاندي) عن الآخر:

1- الوحدة مع الآخر: في رسالته إلى **حكيم أجمل خان** يقول غاندي: ونحن جميعا ندرك الآن كما لم ندرك من قبل أنه بدون تلك الوحدة، لا يمكننا أن نحقق حريتنا، وأجرؤ على القول إنه بدون تلك الوحدة، لا يمكن لمسلمي الهند أن يقدموا للدولة كل المساعدات التي يرغبون فيها[261]. ينظر غاندي إلى مختلف الأديان والطوائف التي تسكن الهند كوحدة واحدة لا يمكن أن تنفصل، لأن وحدة هذه الأديان والطوائف تعني الحرية الحقيقية للهند، وأن انقسام الهندوس عن المسلمين لن يحقق الحرية التي يسعون إليها، وأن الوحدة التي ينبغي على المسلمين والهندوس التمسك بها ليست سياسة يمكنهم الاستغناء عنها متى ما أرادوا ذلك، وأكد أن هذه الوحدة ستبقى إلى الأبد، ولذلك يجب عليهم اعتبار هذه الوحدة كعقيدة وليست سياسة فقط، كما أن وحدة الهندوس والمسلمين يجب ألا تكون تهديدًا للأقليات الأخرى التي تعيش في الهند.

---

[261] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 26, 24\1\1922, 31\12\1923, P355.

2- المساواة مع الآخر: يصف المهاتما غاندي الموقف الصحيح اتجاه الدين بأنه "سارفا دارما سامبهاف"، الاحترام المتساوي لجميع الأديان، حيث تعامل جميع الأديان باحترام متساوٍ، وبالتالي، يمكن القول إن المفهوم الهندي للعلمانية أكثر إيجابية، وهي مناسبة بشكل خاص للهند حيث كان أتباع الديانات المختلفة يعيشون في الهند منذ زمن سحيق، يجب ألّا نتجاهل حقيقة أن المجتمع الهندي موجه بشكل أساسي نحو الدهارما ولديه إيمان بها[262]. يوضح غاندي أن الاتجاه الأساسي للأديان هو الاحترام والمساواة، حيث يجب على الجميع معاملة بعضهم بحب واحترام ومساواة، ويؤكد مرة أخرى أن الهندوسية تنظر إلى الآخرين نظرة مساواة وتقبل جميع الأديان الأخرى، لأن الهندوسية تقوم على ضرورة أداء الواجب.

- يقول غاندي: إن جميع البشر متساوون، يولد الجميع أحرارًا ومتساوين، ولكن يختلفون في قوتهم الجسدية والعقلية، لذا توجد عدم مساواة سطحية، ولكن الأساس أن الجميع متساوون... [263]. يوضح غاندي أن البشر جميعهم متساوون، ولا اختلاف بينهم مع وجود الاختلافات الظاهرية والجسدية، إلا أن الأصل أن الجميع متساوون في البشرية، وكما أن البشر متساوون كذلك الأديان متساوية، كما يدعو إلى تعظيم المشترك بين الأديان بدلًا من البحث عن نقاط التفرقة، كما يدعو غاندي إلى تفعيل ذلك المشترك وتطبيقه، كما يبين أن الإنسان عليه أن يتعلم ويستفسر عن الدين عن صاحبه لا أن

---

[262] Berkley Center for Religion, Peace & World Affairs, Atal Bihari Vajpayee on the Indian Concept of Secularism, 1\1\1992, Viewed: 23\8\2022. https://2u.pw/ikQgg4

[263] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 71, 25\2\1937, 5\7\ 1937, p23.

يسمع من الآخرين حديثًا عشوائيًا ويصدق ما يسمع فقط، لأن صاحب الدين هو الذي يعرف دينه بشكل جيد وهو الذي يستطيع التحاور مع الآخر ليبين عقائد وتعاليم دينه بشكل كامل وصحيح.

ونستطيع أن نتبين أيضًا ضرورة سؤال أصحاب العلم فقط عند مواجهة صعوبة فهم أمر ما، حتى نفهم حقيقة الأمر من خلال عيون أصحاب العلم في ذلك الدين، فلا يجب الاكتفاء بالفهم الخارجي والنظرة الخارجية، كما يجب أن لا نلجأ إلى المتطرفين والغوغائيين، حتى لا نقاد إلى سبيل خاطئ من خلال الفهم الخاطئ لشيء ما، كما يدعو غاندي إلى ضرورة نقد النفس قبل نقد الآخر، ويعد هذا المبدأ من أسس الحوار التي يجب الالتزام بها إذا أراد الإنسان تحقيق أهداف الحوار؛ لأن تمجيد الذات، واحتقار الآخر، يعزز الأنانية والتي تتحول إلى عنف لفظي ثم إلى عنف جسدي وفتن وحروب وصراعات بين المجتمع الواحد أو عدة مجتمعات، فلسفة اللاعنف هي مبدأ ونقطة انطلاق الحوار، والحوار هو نزع السلاح، وذلك هو ما تحث عليها الفلسفة الغاندية، فما أحوج الهند اليوم لهذه الفلسفة التي خلقها الرجل الذي يعدّ والدهم وأبوهم.

3- اللاعنف والتسامح وعدم التعصب: عندما سئل غاندي أن الإسلام يقول إنه يجب استخدام السيف في بعض الظروف، أجاب قائلًا: معظم المسلمين سيوافقون على ذلك، لكنني أقرأ الدين بطريقة مختلفة، **خان صاحب عبد الغفار خان** يستمد إيمانه باللاعنف من القرآن الكريم، وأسقف لندن يستمد إيمانه بالعنف من الكتاب المقدس، أنا استمد إيماني باللاعنف من الغيتا، ولكن إذا الأسوأ جاء من الأسوأ وإذا توصلت أن القرآن يدعو إلى العنف، ما زلت سأرفض العنف، لكنني لن أقول أن الكتاب المقدس

أعلى من القرآن، أو أن محمد أدنى من يسوع، فليس من حقي أن أحكم على محمد أو يسوع... [264].

كان غاندي يؤمن أن الإسلام دين لا يدعو إلى العنف، من خلال دراسته للدين الإسلامي ومن خلال تجاربه وصداقاته مع المسلمين، وأكد أنه يجب قراءة الدين بطريقة صحيحة، بالإضافة إلى تأكيده على أنه لن يؤذي الآخر، حتى وإن قام الآخر بإيذائه، أي أنه إذا وجد دينًا ما يدعو إلى العنف فإنه ما زال سيتعامل معهم بسياسة اللاعنف، وعلى الرغم من ذلك لن ينظر إلى الآخرين نظرة ازدراء أو أن يعدّ أن دينًا أفضل وأرفع من دين آخر.

– ويذكر في موضع آخر: "لسنا في حاجة إلى دين واحد في الوقت الراهن، ما نحتاجه هو الاحترام المتبادل والتسامح بين المصلين من مختلف الأديان، نحن لا نريد أن نصل إلى المستوى الميت، بل إلى الوحدة في التنوع"[265].

يؤمن غاندي بالتنوع والاختلاف، ويدعو إلى ضرورة احترام هذا الاختلاف والتعايش معه، فلم يدعو إلى خلق دين جديد أساسه الويدا، ويضم جميع الأديان كما فعل كل من راما كريشنا وفيفيكأنند، وهنا نرى الفرق بينهم على الرغم من أنهم كانوا يدعون إلى التسامح والتعايش مع الآخر، إلا أن غاندي لم يسع إلى تغيير عقائد الأديان الأخرى أو طلب منها التنازل عن بعض تعاليمها وأفكارها لتكوين دين يضم جميع الأديان، على الرغم من أن فيفكأنند هو الآخر لم يدعُ إلى التنازل عن بعض التعاليم

---

[264] Ibid.

[265] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, Publications Division Government of India, Publications Division Government of India, New Delhi, 1999, V 29, 16\8\1924, 26\12\1924, P189- 190.

بصريحة العبارة، ولكن الدعوة إلى خلق دين يقوم على أسس الويدا يعني أن كل دين سيتخلى في مرحلة ما عن بعض من عقائده التي لا تتوافق مع الويدا.

بالإضافة إلى أن غاندي في هذا النص يبين أن إجبار الآخرين على اعتناق عقيدة ودين معين، يعني اقتلاعهم من جذورهم وعقائدهم وثقافتهم، بل ويدعو إلى تدنيس المقدسات وهو أمر لا بد أن يتكلل بالفشل.

– يقول غاندي: "التعصب هو نوع من العنف وبالتالي ضد عقيدتنا، اللاعنف اللاتعاوني هو درس موضوعي في الديمقراطية"[266]. ويضيف بأن "المقارنة بين الأديان غير ضرورية، يجب على المرء أن يكتسب فهمًا ناضجًا لدينه، ثم يدرس الآخرين لأغراض المقارنة بطريقة عامة، ومعيار ذلك يكون التعاطف كقاعدة للحياة، فكلما زاد التعاطف اتجاه الآخر زاد الدين، والأخلاق هي جذور الرحمة، وهذا هو المبدأ الأول الذي يتم به تدريس الجميع"[267]. يعدّ غاندي الاختلاف والتنوع بين البشر أمرًا لا بد منه؛ لأنه ينبع من اختلاف عقائدهم وتفكيرهم، إلا أن من ينظر إلى الآخرين كما ينظر إلى نفسه سيرى أن جميع الأديان صحيحة، وأنها جميعها تؤدي إلى وحدة واحدة، ولذلك يجب على الإنسان ألا يقارن بين الأديان إلا للضرورة، ويجب أن يكون ذلك بعد أن يكتسب فهمًا وفكرًا ناضجًا، على أن تكون المقارنة من أجل فهم الآخر ومن أجل التعاطف معه مع الالتزام بالأخلاق لدراسة الآخر، أي أن المقارنة ودراسة الآخر لا يجب أن تسبب الأذى للآخر. ويؤكد غاندي على أن الهندوسية تضمن

---

[266] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 22, 15\11\1920, 5\4\1921, P216

[267] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 13, 12\3\1913, 25\12\1913, P192– 193.

لجميع الطوائف والأديان حرية ممارسة عقائدها وتعاليمها، حتى إن الهندوسية ليست ديانة تبشيرية تدعو الآخرين إلى اعتناقها؛ لأنها ديانة تقبل جميع الأديان والعقائد وتؤمن بها.

4- نبذ الطبقية والتمييز الطبقي: في رده على الدكتور أمبيدكار يقول غاندي: "الطبقة ليس لها علاقة بالدين، إنها عادة لا أعرف أصلها ولا أحتاج إلى معرفتها لإرضاء جوعي الروحي، ولكنني أعرف أنه يضر بالنمو الروحي والوطني على حد سواء، فارن هي مؤسسة ليس لها علاقة بالطبقات، قانون فارن يحدد واجباتنا وليس حقوقنا، فهو يشير بالضرورة إلى الدعوات التي تفضي إلى رفاهية البشرية وليس إلى غيرها، ويترتب على ذلك أيضًا أنه لا توجد طبقة منخفضة جدًا وأخرى مرتفعة جدًا، جميعهم جيدون ومتساوون تمامًا في المكانة، إن دعوات المعلم الروحي البراهماني والآخرين وأداءهم الواجب يحمل الجدارة نفسها أمام الإله، وفي وقت ما يبدو أنه حمل مكافأة مماثلة أمام الإنسان"[268].

يؤمن غاندي ويؤكد أن قانون الهندوسية هو الإيمان بإله واحد، وأن مختلف المسارات تؤدي إلى إله واحد، كما أنها ديانة تؤمن باللاعنف، ولذلك شيء مثل التمييز والعنصرية والنبذ ليس له مكان فيها، ولذلك يقول: "النبذ هو خطيئة مدمرة للروح، الطبقة الاجتماعية هي شر اجتماعي"[269]، كما يؤكد أن النظام الطبقي هو نظام اجتماعي وُضع لينظم حياة المجتمع، وأنه نظام ليس له علاقة بالدين، فالنظام وضع ليحقق رفاهية المجتمع، ولذلك لا يوجد تفاوت بين البشر في هذا النظام الجميع متساوون فيه،

---

[268] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 69, 16\5\1936, 19\10\1936, P226.

[269] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, Publications Division Government of India, Publications Division Government of India, New Delhi, 1999, V 57, 5\9\1932, 15\11\1932, P202.

حيث يقول إن البراهمة الحقيقيين ما زالوا موجودين والذين يعيشون على الصدقات، ويعاملون الآخرين برحمة وعاطفة، ولذلك رأى أنه من الخطأ الحكم على نظام اجتماعي بأنه نظام ظالم من خلال ممارسات البعض، لأن القانون الطبقي لا يوجد فيه ما يبرر النبذ.

العديد من النظريات والأقوال تثبت أن النظام الطبقي نظام "دخيل" على العقيدة الآرية والهندوسية، فلا يوجد ذكر لهذا النظام في النصوص الهندوسية المقدسة القديمة كما قال غاندي، ولكن النظام يعدّ جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الهندوسية ويرتبط بها ارتباطًا وثيقًا، حتى إنه يحدد ويتعامل مع العقائد الأخرى كالتناسخ (سمسار) وقانون الجزاء (كارما) الخلاص (موكش)، كما أنه يعدّ جزءًا لا ينفصل عن الكتب المقدسة الأساسية، مثل: كتاب المهابهارتا، منو سمريتي، وبهغفت غيتا، والقول أنه ليس جزءًا من الدين، والدعوة إلى معاملة الجميع بالمساواة لن يحل قضية النبذ والعنصرية في المجتمع، لأن الأمر يحتاج إلى إصلاح وتحطيم النظام الطبقي كما رأى فيفكأنند والدكتور أمبيدكار، إذا لم يكن النظام جزءًا من الدين فإن الاستغناء عنه سيكون من أيسر ما يكون، والتحجج بقول إنه لا بد من بقاء النظام لأنه يحدد واجبات المجتمع وينظمها حديث عقيم؛ لأن ذلك قد يكون صحيحًا في المراحل الأولى من وضع النظام، لأنه مع مرور الزمن تحول النظام إلى كائن وحشي ينهش كرامة وحياة وجهد ورفاهية أصحاب الطبقات الدنيا، وأصبح بدلًا من أن ينظم حياة المجتمع يعمل على تآكله وضعفه وأصبح سببًا من أسباب سقوطه وتراجعه، إذًا ما الفائدة من الحفاظ على نظام كهذا، إذا لم يكن يستطيع تحقيق الرفاهية التي ذكرها غاندي؟ ناهيك عن الرفاهية أصبح المجتمع لا يحصل على حقوقه الأساسية التي هي حق أساسي لكل إنسان، وما الضرر في التخلص منه خاصة وأنه ليس عقيدة وفكرًا دينيًا يصعب التخلص

منه؟ في الحقيقة لا يفهم الإنسان سبب تمسك غاندي بالنظام الطبقي إلى هذه الدرجة على الرغم من أنه شاهد بنفسه الحياة التي يعيشها أصحاب الطبقات الدنيا، ونادى بضرورة تقديم المعونة لهم لتصبح حياتهم أفضل، حيث يقول في أحد رسائله: "يتردد دائما أنه لا يجب أن تلمس رجلًا قذرًا ومنبوذًا، يوجد حولنا ستة كرور (بليون) من العبيد، اعتبروا منبوذون بالولادة، أين دليل ذلك من الكتب المقدسة؟ وواجبنا نحن جميعًا الهندوس والمسلمون والمسيحيون والباريسيون أن نتأكد من أنه لا أحد في أحمد آباد يعيش في ظروف وبيئة سيئة، اذهبوا إلى هناك بأنفسكم إلى الأماكن التي ذهبت إليها، يجب عليكم أن تمسكوا المناديل على أنوفكم، ستعرف مباشرة الظروف السيئة التي يعيش فيها أولئك الناس، لا أستطيع أن أفهم كيف تحملوا كل هذا الوقت، يجب التعامل مع الأمر بجدية وفورًا[270]، ومجرد إلقاء الخطابات والمناداة بالمساواة دون محاولة القيام بخطوة عملية لن يغير شيئًا.

يعدّ غاندي الطبقية ومعاملة الآخرين بتمييز وعنصرية خطيئةً، كما وصف الطريقة التي يتم التعامل بها مع الطبقات الدنيا بأنها طريقة مثيرة للاشمئزاز ، ويبرهن ذلك بأنه إذا كان الآخر المسلم والمسيحي غير منبوذ في المجتمع الهندوسي وهو لا يعد أساسًا جزءًا منه، فلماذا يُعدّ مَن هُمْ جزءٌ من المجتمع الهندوسي منبوذين؟

---

[270] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, Publications Division Government of India, Publications Division Government of India, New Delhi, 1999, V 64, 20\5\1934, 15\9\1934, P111.

على الرغم من أن غاندي نبذ العنف والطائفية والتمييز حتى ضد أصحاب الطبقات الدنيا، إلا أنه رفض أن يتم حل هذا النظام الطبقي، لأنه حسب اعتقاده أنه: "جدير بالثناء"[271]، حيث يقول فيه: "فارن الذي تم تصويره على هذا النحو ليس مؤسسة من صنع الإنسان، ولكنه قانون الحياة الذي يحكم الأسرة البشرية عالميًا، ومن شأن الوفاء بالقانون أن يجعل الحياة صالحة للعيش، وأن ينشر السلام وينهي جميع الصدمات والصراعات، ويضع حدًا للمجاعات والفقر ويحل مشكلة السكان، بل وينهي المرض والمعاناة، وفارن كقانون يمنح الإنسان واجبًا عليه الوفاء به، ولا يمنح الإنسان أي حق لينظر بعنصرية إلى الآخر، وفكرة الدونية والتفوق بغيضة حقًا في حقه، فجميع الطبقات متساوية، لأن المجتمع لا يعتمد على إنسان أكثر من الآخر، الطبقية اليوم تعني تدرجات عالية ومنخفضة، إنها مهزلة بشعة للأصل، تم وضع قانون الطبقية عبْرَ أسلافنا من خلال التقشف، ولقد سعوا إلى الارتقاء إلى مستوى القانون بكل ما في وسعهم، ولكننا قمنا بتشويهه وجعلنا من أنفسنا أضحوكة، ولا عجب أن نجد بين الهندوس طائفة تحاول تدمير هذه المؤسسة والتي تعني في رأيهم خراب المجتمع الهندوسي"[272].

المهاتما غاندي في القومية الهندوسية:

رجل كانت سياسته قائمة على اللاعنف والتسامح والتعايش والوحدة، ودعا إلى تقبل الآخر بما يؤمن به ويعتقد وبما يفكر به وبما يمارسه من شعائر، من البديهي جدًا ألا يكون مرحبًا به في مجتمع

---

[271] Gandhi Literature: Ibid, V 71, P207.

[272] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, Publications Division Government of India, Publications Division Government of India, New Delhi, 1999, V 65, 16\9\1934, 15\12\1934, P65.

عنصري كمجتمع الهندوتوا، ولذلك كان نصيب غاندي في القومية الهندوسية هو الكره والعداوة، وخاصة في السنوات الأخيرة، في مقابل ذلك ارتفعت مكانة غودسي القومي الهندوسي الذي اغتال غاندي.

لم يكن على القوميين الهندوس الانتظار ولذلك مباشرة عندما تولى **مودي** رئاسة الهند، طالبه رئيس (مهاسبها الهندوسي) تثبيت تمثال لغودسي باعتباره شهيدًا وطنيًا، وهددت أنه إذا لم توافق الحكومة على مطالب الحركة، فإنها ستقوم بتثبيت تماثيل غودسي في جميع مكاتبها في جميع أنحاء البلاد، كما طالبت ببناء معبد له والذي كان من المفترض أن يبدأ في 30\1\2015[273]، كما تم تصوير فيلم عنه بعنوان (Deshbhakt Nathuram Gods) على الرغم من أنه منع من العرض لأن المحكمة رأت أنه سيؤدي إلى اندلاع أعمال عنف، وقيل أن الفيلم سيعرض غودسي كوطني بينما سيعرض غاندي كشخصية معادية للهنودس[274]. وفي نهاية سنة 2021م جادل وزير الدفاع راجناث سينغ الموظف في حزب بهاراتيا جانتا، أن العديد من الأكاذيب تطلق حول سافاركار ومن هذه الأكاذيب التي تقول إنه: قدم التماسات رحمة متعددة أمام بريطانيا أثناء سجنه بين عامي 1911م و1920م، قائلًا إن غاندي هو الذي طلب منه تقديم هذه الالتماسات"، الأمر الذي أثار احتجاجات تقول: إن غاندي كان رجل سلام وداعية ومعارضًا ثوريًا، ولم يكن بإمكانه تقديم مشورة ودعم لإطلاق سراح سافاركار متهمين سينغ بأنه يحاول تحريف التاريخ[275].

---

[273] Deccan Chronicle, Hindu Mahasabha announces Godse temple, 24\12\2014, Viewed: 28\8\2022 https://2u.pw/ATmAPc

[274] Thehindu, Film on Godse banned, 12\6\2015, Viewed: 28\8\2022. https://2u.pw/m4yXza

[275] BBC News, Savarkar and Gandhi: Why Indians are debating a mercy plea from 1911, 15\10\2021, viewed: 28\8\2022. https://2u.pw/XTgHEA

خلاصة ونقد.

دعت الفسلفة "الغاندية" إلى المساواة بين الهنود، وإلى ضرورة تقبل الآخر ، واعتماد اللاعنف في الحياة؛ لأن العنف يقوي الدكتاتورية ويعززها، وانطلاقًا من تأثره بواقع غلب عليه الانقسام والتوتر رسخ غاندي فكرًا عالميًا يقوم على التسامح ويقبل الآخر ، وركز على أن جميع الأديان سواسية، وما يجب الاهتمام به هي المساواة البشرية والعدالة، ولقد أصبح الاعتماد على فكره اليوم في المجتمع الهندي مطلبًا مهمًا من أي وقت مضى، من خلال القيم التي دعا إليها من السلام والمشاركة واللاعنف (أهيمسا)، فقبل الاستقلال استعمل غاندي جميع أنواع المقاومة السلمية دون أن يلجأ إلى العنف في أي حركة قام بها، كما أنه لم يكن يسمح للآخرين باللجوء إلى العنف، اللاعنف هي فلسفة صعبة جدًا وليست سهلة، وخاصة إذا كانت تستعمل ضد عدو؛ لأن اللجوء إلى الرحمة مع عدو ينتهج كل أنواع العنف والسيطرة على الغضب أمام عدوًا كهذا ليس باستطاعة الجميع. وعلى الرغم من أن غاندي كانت له مساهمات في تحرير الهند من خلال النهج الذي سلكه، إلا أن فكره لا يصلح لكل مكان وزمان، لأن فلسفة اللاعنف قد تكون صالحة أثناء السلم، ولكن أثناء الحرب عندما يتعرض البشر من حولك إلى القتل والتشريد عندها لا يمكن التمسك بمبدأ اللاعنف، فالدفاع عن الدين والنفس والآخرين والوطن والمال واجب على كل إنسان، وهو واجب على المسلم بشكل خاص، لأن الإسلام يحث على ذلك، وهي الحالة التي يسمح فيها الإسلام للمسلمين بحمل السلاح، قال تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[276]، الاستناد إلى مبدأ اللاعنف بحجة عدم قتل الآخر وتحمل ذنبه، بينما يموت شعبك بالمئات! من يتحمل ذنب هؤلاء؟

وهو الأمر الذي نادى به وطبقه مولانا **أبو الكلام آزاد**، الشخصية المنسية في كفاح ونضال تحرير الهند، والشخصية التي كونت أسس التعليم في الهند بعد الاستقلال، ولهذا تم اختيار هذه الشخصية لمقارنتها مع غاندي لأنهما عاصرا بعضهما البعض، فكل من غاندي ومولانا أبو الكلام وجهان لعملة واحدة.

سار مولانا آزاد على تعاليم الدين الإسلامي في ضرورة ردع المغتصب، الأمر الذي أعلنه في المحكمة عند اعتقاله عام 1921م بتهمة التحريض على عدم التعاون مع الإنجليز، حينما كان يدعو الشعب الهندي إلى مقاطعة الإنجليز وعدم الولاء لهم، لأن الإسلام يحث على عدم التعاون، ولأن الإنجليز لم يفوا بالوعود التي قطعوها، قائلًا: "إنني أعلن على مسمع من الحكومة والمحكمة أنني ارتكبت هذه الجناية ارتكابًا واقترفتها اقترافًا، وإن كانت الحكومة لا تعلم فلتعلم الآن أني من أولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلب الأمة، وأنذروا حياتهم على سقيها وتنميتها، وأنا أفتخر أني أول مسلم دعا أمته منذ اثنتي عشرة سنة إلى هذه الجناية دعوة عامة، ولقد شرحت في خطبتي أن الشريعة توجب على المسلمين في الحاضر أن يكفوا عن التعاون مع الحكومة وأن يقاطعوها مقاطعة عامة، وهذا هو اللاتعاون الذي تولى غاندي قيادته"[277]. وتختلف نظرية آزاد عن نظرية غاندي في اللاتعاون، على

---

[276] سورة البقرة: 190.

[277] النمر، عبد المنعم، كفاح المسلمين في تحرير الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1990م، ص119.

الرغم من أن أبو الكلام آزاد دعا إلى المقاطعة أيضًا وسبق بها غاندي إلا أنه أكد على وجوب أن تكون المقاطعة مطابقة للنظرة الإسلامية، أي يجب ألا يكون هناك ولاء للعدو ويجب عدم التعاون معهم، بل ويجب استعمال السلاح عند الضرورة ومقابلة القوة بالقوة، حيث سعى من خلال حركة اللاتعاون إلى طرد الإنجليز نهائيًا من الهند، بينما يحث غاندي على تقبل القوة دون مقاومة حتى وإن قام الآخر بإيذائك، فلم يكن يسعى من خلال حركته إلا إلى رفع الظلم عن الشعب.

وفي ذلك يقول مولانا أبو الكلام آزاد: "لا أرى مثل المهاتما غاندي أن استعمال السلاح غير جائز في كل وقت، لأني مسلم أؤمن أن استعمال السلام مباح في المواقع التي أباح الإسلام استعماله فيها، ولكني مع هذا أوافق على أدلة غاندي في المسألة الحالية، وأنا أؤمن أن الهند ستفوز في قضيتها من خلال حركة اللاتعاون، وسيكون فوزها فوزًا عظيمًا للحق والباطل"[278]. وهي النظرية التي وافقه عليها جوهر لال نهرو: "أظن أن غاندي نفسه لا ينكر أن الدولة المستقلة في هذا العالم غير الكامل لا بد أن تلجأ إلى العنف أحيانًا، فمن الضروري أن تحمي نفسها من هجمات العدو الخارجي، كما لا ينكر أن الدولة الاستعمارية لا يمكن حملها على النزول عن هذه السيطرة بالإقناع فقط دون اللجوء إلى العنف أحيانًا، وكل ذلك يحملنا إلى عدم المبالغة في حركة اللاعنف نفسها وقيمتها، وإلى الاعتقاد أن اللاعنف لا يمكن الاعتماد عليه وحده في هذا العالم"[279]. ولذلك عندما أمر غاندي بوقف حركة المقاومة بعد حادثة قتل عدد من الإنجليز في مركز شرطة، كان من أكبر المعارضين لهذا القرار.

---

[278] مجلة ثقافة الهند، "آزاد مرافعة آزاد في المحكمة الإنجليزية"، مارس، يونيو 1958، ص85.

[279] نهرو، جوهر لال، جوهر لال سيرته بقلمه، مكتبة الأنجلو المصرية، 1940م، ص53.

وفي الحقيقة لماذا تم وقف الحركة عند تلك النقطة بالذات؟ النقطة التي كانت فيها الحركة في ذروتها، فلم يكن قد بقي إلا القليل لتأتي الحركة بثمارها، ما ضرر موت عدد من الجنود المعتدين المغتصبين القتلة الخونة؟ كيف يمكن لموت هؤلاء الجنود أن ينالوا تعاطف أحد ما، بينما يتم الدهس على آمال ملايين الهنود، ويتم نسيان تضحية مئات الآلاف من الهنود الذين كانوا ضحية لجشع المغتصب الإنجليزي. فالقرار الذي تم أخذه بالإجماع في اجتماع الحركة قام غاندي بإلغائه وحدَه دون الرجوع إلى القيادات التي ساندته في اتخاذ قرار المقاومة بسبب بعض المتطرفين الذين لا يُعرف سبب قيامهم بالهجوم على المركز في ذلك الوقت بالتحديد! لقد ذهبت جهود الهندوس والمسلمين مهب الريح بسبب قرار واحد، وليس وكأن ذلك ساهم في تحسين الوضع لقد بات الوضع أسوأ فأسوأ، حيث حكم على غاندي ومعه آخرون بالسجن لاتهامهم بارتكاب الهجوم على المركز من ضمنهم مولانا آزاد، الذي وجد نفسه أمام مرحلة حرجة في تاريخ الهند بعد خروجه من السجن، ولكنه لم يستسلم ولم يصبه الفتور وتحمل مسؤوليته في الحزب بعكس غاندي الذي اعتزل الحياة السياسية، بعد خروجهما من السجن.

كان غاندي يؤمن بفلسفته في اللاعنف إيمانًا مطلقًا ولم يكن يجرؤ معها على المساومة به، حتى وإن كان ذلك يعني بقاء الهند تحت رحمة المستعمر، الذي بإمكانه استعمال العنف كيفما يشاء، يقول مولانا آزاد: "وأنعم غاندي التفكير في المسألة، وتقدم للجنة باقتراح مفاداه: "أنه يجب على الهند أن تجهر بموقفها من الأزمة الدولية، حيث كان مقتنعًا بأن الهند يجب عليها عدم الاشتراك في الحرب تحت أي ظرف، وإن كان ذلك الاشتراك يعني أنها ستنال الحرية"[280]. وهو أمر لا يمكن لشخص أن يرضى به

[280] النمر، عبد المنعم، مولانا أبو الكلا آزاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص400- 401.

وخاصة المسلمين الذين يعلمون أنه لا يمكن العيش تحت رحمة عدو مغتصب، ولذلك فإن سياسة مولانا أبو الكلام آزاد كانت تختلف عن سياسة غاندي على الرغم من أن كلاهما كان يسيران جنبًا إلى جنب.

فالتيار الذي كان يمثله مولانا أبو الكلام آزاد كان على وعي أن الهند بلد بطبيعتها متنوع ومتعدد الأديان والمجتمعات، ووضعها الطبيعي يكمن في الديمقراطية والحرية والدفاع عن هذه الحرية، ولكن دخول الهند في حرب شاملة كما كان اتجاه بعض الذين كانوا يطالبون بحرية الهند لم يكن أمرًا واردًا أيضًا، ففي تلك المرحلة لم يكن باستطاعة الهند دخول حرب مع الاستعمار، ولذا سعى مولانا أبو الكلام آزاد إلى حرية الهند من خلال المقاومة السلمية، ولكن إذا لم يسمح الاستعمار بذلك كان لا بد من سلوك اتجاه آخر غير اللاعنف، والاختلاف في وجهات النظر بين غاندي وبين أبو الكلام آزاد المستندة على عقيدتين مختلفتين استمر حتى النهاية، ولكنها لم تدخل مرحلة الصراع حيث بقي الاحترام بين الطرفين قائمًا. يقول أبو الكلام آزاد: "تلخصت مهمتي بصفتي رئيس الحزب أن أقود الهند إلى المعسكر الديمقراطي شرط أن تنال حريتها، والديمقراطية أمر مهم لدى الهنود وكانوا يطمحون إلى تحقيقها، وكان غاندي هو العقبة الوحيدة في طريقنا، حيث نظر إلى القضية نظرة غير نظرتنا، فقضية غاندي كانت اللاعنف ولم تكن أبدًا حرية الهند"[281].

ومع مرور الوقت أثبتت الأحداث صحة آراء مولانا أبو الكلام آزاد، الأمر الذي أدركه غاندي أيضًا، ورجل حكيم مثله لا بد أنه عرف ذلك حق المعرفة، ولكنه لم يتخل عن فكره حتى النهاية، الأمر الذي

---

[281] راجندر براساد، عند قدمي غاندي، تر: منير البطبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1959م، ص 161.

تسبب في مقتله أيضًا، لم يملك غاندي الشجاعة للاعتراف بأن فلسفته لم تنجح كما قال غودسي[282].

استند مولانا آزاد في فكره بضرورة عدم التعاون مع الإنجليز واللجوء إلى السلاح عند الضرورة من القرآن الكريم والسنة النبوية، كما تأثر تأثرًا شديد باجتهادات مولانا شاه ولي الله الدهلوي والشيخ محمود حسن، ونظر كل من غاندي ومولانا آزاد إلى دين الآخر نظرة تسامح وعدم تعصب في المجتمع الهندي المتناقض والمتعدد، إلا أن آراء كل منهما تختلف اختلافًا جذريًا عن الآخر، فالفلسفة الغاندية فلسفة بعيدة عن المنطق والعقل بدرجة كبيرة جدًا، على الرغم من أن فلسفته لاقت قبولًا كبيرًا في تلك الفترة، ولذلك اعتبر صاحبها القائد المؤسس وصاحب القرار الأخير الذي كان يحترمه أتباعه وإن كان ذلك على مضض.

لقد مجّد التاريخ دور غاندي في تحرير الهند على الرغم من أنه لم يكن يسعى إلى تحريرها في الأساس، بينما أصبح الزعماء الآخرون الذي لعبوا دورًا أساسيًا في تحرير الهند وخاصة مولانا آزاد طي النسيان، على الرغم من أنه كان الفاعل الأساسي ورئيس حزب المؤتمر الهندي، وكان أتباع فكره أكثر بكثير من غاندي ليس المسلمون فقط، وإنما الهندوس أنفسهم.

وقد كان غاندي يؤمن إيمانًا شديدًا بكتاب الغيتا، وكان يقول إنه أحد المصادر الذي استمد منه فكرة اللاعنف! الكتاب الذي يعرض الحوار الدائر في ساحة المعركة أمام جيش العدو بين رجل يحمل القوس في يده استعدادًا للقتال وبين رجل يبين له ضرورة القتال دفاعًا عن الحق، كيف يكون دليلًا على اللاعنف بحسب فلسفة غاندي في اللاعنف؟ الغيتا كتاب لا يدعو للعنف، ولكن كريشنا أكد مرارًا

---

[282] Watch: Why I Killed Gandhi? 30\1\2022, https://www.youtube.com/watch?v=B289qzvn_nY

وتكرارً وجوب القتال للدفاع عن الدين والحق والنفس والشرف والمال والواجب، فالقتال واجب حتى ينتصر الحق على الباطل، بل واعتبره واجبًا يجب القيام به. وقد قال في ذلك: لا ينبغي لنا أن نخلط بين كريشنا التاريخي وكريشنا من غيتا الذي لم يكن يناقش مسألة العنف واللاعنف، لم يكن أرجون يكره القتل بشكل عام، لكن كان فقط يكره قتل أقاربه، لذلك اقترح كريشنا أن المرء عند قيامه بواجبه يجب عليه أن لا يعامل الآخرين بشكل مختلف عن أقاربه، وفي الواقع لم يثر أحد مسألة ما إذا كان ينبغي للمرء شن حربًا أم لا، ولم تناقش هذه المسألة إلا مؤخرًا، فجميع الهندوس في تلك الفترة كانوا يؤمنون باللاعنف (أهيمسا)، ولكن ما يرقى إلى مستوى العنف وما لا يرقى نوقش في تلك الفترة كما يحدث الآن، العديد من الأشياء التي ننظر إليها الآن على أنها غير عنيفة قد تنظر إليها الأجيال القادمة على أنها عنيفة كاستخدام الحليب أو الحبوب كغذاء، لذلك من الممكن أن تتخلى الأجيال القادمة عن استخدام الحليب والحبوب، وكما نعتبر أن استخدام الحليب والحبوب أمرًا غير عنيف، كذلك القتال في فترة الغيتا كان أمرًا شائعًا لدرجة أن لا أحد كان يعتقد أنه أمر عنيف أو يتعارض مع اللاعنف، ولذلك لا أرى خطأ في استخدام غيتا كمثال للحرب، ويمكننا فقط أن نستنتج أن كريشنا من غيتا كان تجسيدًا للاعنف، وأن حثه لأرجون على القتال لا ينتقص من عظمته، ومن ناحية أخرى إذا كان قد قدم له نصيحة أخرى لكان ذلك دلالة على عدم كفاية معرفته[283].

[283] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 55, 10\2\1932, 15\6\1932, P310-311.

النص السابق يبين أن غاندي بنفسه لم ينكر أن غيتا مثال للحرب، وهي كذلك، بالإضافة إلى صحة قوله إنه كريشنا وكتاب الغيتا يعكسان اللاعنف (أهيمسا)، لأن كريشنا أكد أنه يجب خوض الحرب ضد الباطل، إلا أن قول غاندي أن النظرة إلى اللاعنف والعنف تتغير مع مرور الزمن أمر غير صحيح، كيف يمكن اعتبار قتل إنسان أعزل بريء غير عنيف في أي وقت من الأوقات؟ وإذا كان مفهوم العنف يتغير مع مرور الزمن، ألن يتخذ الناس ذلك كحجة لتبرير مواقفهم وأفعالهم الوحشية من الآخر؟ وألن يمنحهم ذلك سلطة في تفسير الكتب المقدسة كما يشاءون بحسب أهوائهم؟ أم هل اعتقد غاندي أن الأفعال العنيفة ستقل مع مرور الوقت كما اعتبر قتل الحيوان أمرًا عنيفًا سيتم اعتبار الزراعة واستخدام الحليب عنيفًا، وبالتالي طبيعيًا لن يكون هناك إنسان يمارس العنف ضد الحيوان والإنسان؟ ألم ير العنف الذي تتم ممارسته مع المجتمع الهندي أثناء الاستعمار؟ مرة أخرى يدل ذلك على أن فلسفة غاندي غير منطقية وغير عقلانية، وأنه أراد فقط إثبات نظريته بأي ثمن.

فمما لا شك فيه أن سياسة اللاعنف لعبت دورًا كبيرًا لتحقيق الاستقلال السياسي، وساهم في ولادة دولة جديدة، إلا أنها لم تفلح في منح شعبها المساواة الاجتماعية، وحتى مع أنها تعدّ غاندي الأب الروحي لها إلا أنها لم تستطع الحفاظ على سياسته وتعاليمه، فالفقر والظلم والعداوة والكراهية في الهند تعكس أقسى شكل من أشكال العنف الذي ذهب ضحيته عددٌ لا يحصى من المجتمع الهندي.

الفصل الثالث: أثر تصور الفكر الهندوسي للآخر على الحوار بين الأديان.

المبحث الأول: تحديات حوار الأديان في الهند.

في ظل المتغيرات التي تواجه الإسلام والهندوسية واجه الحوار الديني تحديات عديدة في مواجهة الواقع الصعب الذي واجهه العالم اليوم، من خلال انتشار الأزمات السياسية والصراعات والإرهاب وغياب الحريات والديمقراطية، وازدياد معدل العنصرية والترهيب وغياب العدالة الاجتماعية، وهنا عرض لأهم التحديات التي يواجهها الحوار الديني الإسلامي الهندوسي.

المطلب الأول: التحديات المرتبطة بفهم الدين وأنماط التدين

1- التفسير التحريفي للدين: ليس المقصود الدين في حد ذاته، وإنما الفهم الخاطئ للدين، والتفسير الخاطئ للدين وللنصوص الدين المقدسة، سواء كان القرآن الكريم أو النصوص المقدسة الهندوسية، فالدين أحد مقومات الحياة والذي يكّون شخصية المجتمع الدينية والثقافية والاجتماعية والحضارية، ولكن المعضلة عندما يتم استغلال الدين لتحقيق أيديولوجيات سياسية وقومية، ما تقوم به الحركات والمنظمات القومية في الهند أكبر برهان على ذلك، الدين في حد ذاته لا يدعو أبدًا إلى العنف والكراهية ضد الآخر، بل على العكس تحث أديان المجتمع الهندي على تقبل الآخر والتعايش معه، ولكن يتم استغلال الدين بأبشع الطرق لتحقيق مقاصد وأهداف أخرى، إما لممارسة العنف ضد الآخر كما يحدث مع المسلمين من خلال اتهامهم بأنهم يمارسون أنواعًا مختلفة من الجهاد باسم الدين، أو لأن دينهم يحثهم على التضحية بالحيوانات، أو يتم ممارسة العنف ضدهم بسبب إساءتهم لآلهة هندوسية، أو

بسبب ممارستهم الدعوة الإسلامية، أو كما يحدث مع المسيحيين، حيث تتم ممارسة العنف ضدهم واتهامهم أنهم يجبرون الآخرين على اعتناق المسيحية، أو أن أديانهم واجتماعاتهم تهدد الأمن القومي.

مع أن حقيقة الأمر يكون لتبعات تاريخية معقدة واستبداد سياسي وعسكري، وإلى القمع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والتهميش والاستبعاد والتمييز، وانعدام العدل والمساواة والعزل الطبقي والتفوق العرقي، إلا أنه يغلف بالدين، الأمر الذي يؤدي إلى العنف الديني.

يأتي الفهم الخاطئ للدين والنصوص من قلة العلم، وتفسير النصوص حسب الأهواء، والغلو، والتعصب الديني، ومما لا شك فيه أن المجتمع الهندي يعاني من كل هذه الآفات التي أدت إلى الفهم الخاطئ للهندوسية ونصوصه المقدسة، المسلمون والمسيحيون ليسوا استثناءً؛ لأن الظاهرة لا تقتصر على فئة ومجتمع معين، لذا يجب على جميع الأطراف إدراك أهمية فهم وتفسير الدين ونصوص الدين بشكل صحيح وتوظيف ذلك في تطوير الحوار لتقبل الآخر، لا أن تكون عائقًا في وجه الحوار والتشارك والتعايش.

2- التطرف في الدين والعنف: يتسم العنف الذي يرتكب باسم الدين في الهند بوحشية غير طبيعية، والذي يتخذ أشكالًا متعددة من قتل أو أعمال إرهابية أو سياسات رسيمة قمعية تمييزية، وتتذرع الجماعات والحركات المتطرفة في الهند بالدين لتبرر عنفها وتطرفها ضد الآخر، سواء ارتكبت عمليات قتل جماعي، أو أعدمت الناس خارج نطاق القانون، أو مارست الاختفاء القسري، أو العنف الجسدي والجنسي، أو الطرد الجماعي، أو استولت على ممتلكات المسلمين والمسيحيين، ويحدث كل ذلك على مرأى من الحكومة الهندية، التي تدعم مثل هذه الحركات المتطرفة، وهدف ذلك المسلمين والمسيحيين

والطوائف والطبقات الدنيا التي تغير دينها، على الرغم من أن هذا العنف الديني لا يؤثر فقط على الآخر، وإنما يؤثر على الهندوس أيضًا.

الدين هو رحمة ونعمة الله تعالى ليس للبشرية فقط وإنما للكون أجمعه، فلا وجود لشيء في العالم يوازي أهميته، فهو روح الإنسان وهويته وسبيله ومرشده في الدنيا والآخرة، وعلى الرغم من أنه لا وجود لشيء صوّر الرحمة والحب في أبهى صوره أكثر من الدين، إلا أنه لا يوجد شيء صوّر الرعب في أبشع صوره أكثر من الدين، ولا شيء في العالم خلق السلام والأمان أكثر من الدين، إلا أنه لا يوجد ما خلق الكراهية والعنف والوحشية أكثر من الدين، ولا يوجد شيء عكس الأخوة البشرية أكثر من الدين، إلا أنه لا يوجد شيء عكس العداوة البشرية في أبشع صورها أكثر من الدين، لم يبنِ البشر المستشفيات والمؤسسات الخيرية بالاعتماد على شيء أكثر من الدين، إلا أنه لا يوجد شيء أغرق البشرية في الدماء أكثر من الدين.

الدين درع الإنسان وقوته وليس ضعفه، فالفلسفة والدين الذي يقود الإنسان إلى الضعف الجسدي أو العقلي أو الأخلاقي أو الروحي هي كذبة كاملة، إنها الموت وليس الحياة، وفي الأساس الدين هو مبدأ صنع السلام، ففي كلتا الحالتين سواء كان الدين مصدر النزاع أو لم يكن مصدر النزاع الدور، والحمل الأكبر يقع على عاتقه لصنع السلام.

ففي حال كان الدين هو مصدر النزاع حسب الادعاءات، والواقع يكون أكثر من ذلك، لأن الدين ينوب فقط عن عوامل أخرى عرقية واقتصادية وسياسية وتاريخية، وأفضل مثال على ذلك هي الهند بحد ذاتها، ففي هذه الحالة يتم توظيف الدين لتعبئة جماعة ضد الأخرى، حين يتم تغليف الأسباب

الأخرى بنزعات دينية ويتم بثها بين الجمهور، كما يحدث مع المسلمين والمسيحيين في المجتمع الهندي اليوم، عندها تقع مسؤولية ذلك على عاتق رجال وزعماء الدين في بيان حقيقة الديانة الهندوسية والإسلامية والمسيحية، وإثبات أن كل دين يحث على تقبل الآخر والتعايش وليس على التمييز والعنصرية.

أما في حال لم يكن الدين هو مصدر النزاع، وخير من يمثل ذلك الداليت في الهند، حيث إن نزاعهم ليس بسبب الدين وإنما هو بسبب التمييز الطبقي، في هذه الحالة يمكن للدين أن يكون مصدر للسلام، حيث ينبغي بيان أهمية العدل والمساواة في الهندوسية، وتنقيح الهندوسية من شوائب التمييز الطبقي، ولا يقتصر الأمر على الهندوسية، حيث يجب على الإسلام لعب دوره في ترسيخ مبادئ المساواة والعدالة، ونبذ العنصرية والتمييز.

الادعاء القائل إن الدين عنيف ومُدَّعٍ للعنف ادعاءٌ غير دقيق، حتى فترة قريبة كان الدين هو أساس الحياة وكان يتخلل جوانب الحياة جميعها دون استثناء، ذلك لأن الدين يمنح أفعال البشر وسلوكهم قيمة ومعنى، والاعتقاد بأن العلمانية والقومية الحديثة ستحقق السلام ادعاء آخر غير دقيق، لأنها تجلب العنف وتدعو إلى الكراهية، المعضلة ليست في الدين وإنما في القلوب البشرية وطبيعة الدولة، وكما اكتشف أشوكا لا يمكن حل جيش الدولة وإن كان الحاكم كارهًا للعدوان، ولكن يجب أن ندرك أنه لا بد من وجود درجة معينة من القوة للحفاظ على الحياة والحضارة.

والهندوس في القرن التاسع قبل الميلاد خلقوا مبدأ اللاعنف (أهيمسا)، فعلى الرغم من أن الآريين كانوا يبجلون الحروب ويؤمنون بأن القتال والصراع جزء أساسي من حياتهم إلا أنهم آمنوا أن المحارب

دائمًا يحمل معه عار قتله وأذيته للآخرين معه، وقد ضمن مبدأ اللاعنف عددًا كبيرًا من ملوك الهند، وأقاموا دولتهم على التسامح والاحترام والتعايش، ولتنمية هذا الشعور واستئصال حب الذات والغضب والاحتقار من النفس البشرية طورت الهندوسية ممارسات روحية تضبط سلوك الإنسان، وتساعد على الاتزان وتمنع الإنسان من أن يرى نفسه أفضل من الآخر، وقام النساك والزهاد بتعليم طلابهم بضرورة الحفاظ على النفس وأن كل إنسان يمتلك قوة خفية في نفسه، وأن البشر جميعهم ينتمون إلى وجود واحد، ولهذا يجب عليهم حب جميع البشر حتى وإن كانوا أعداءهم، وساعد الحكماء والعلماء المجتمع الهندي على تنمية علاقاتهم مع الآخرين، وأوجدوا ممارسات تأملية تساعدهم على تأمل الخير، وأن يتمنوا السعادة للبشرية جمعاء التي تتميز بالقداسة في كل فرد من أفرادها. من الأهمية التفرقة بين أن من يرتكب العنف هم البشر وليس الدين، وأن ما يرتكب من عنف باسم الدين يحدث فقط من أجل إضفاء الشرعية على العداء وعلى أعمال العنف، ومن المهم أيضًا الالتفات إلى أنه ليس هناك علاقة مباشرة بين العنف والدين، حيث إن مكون العلاقة مرهون بتدخل البشر الذين يؤدون دورًا فعالًا في تنشيطها.

بالإضافة إلى أنه قبل البدء في الحوار الإسلامي الهندوسي والهندوسي المسيحي يجب معرفة تحت أي ظروف يمكن لأي أيديولوجية كيفما كانت أن تنتج العنف وتشجعه؟ فالثابت أن جميع الأيديولوجيات لها قابلية ممارسة العنف، وهذا هو السبيل الذي يحب اتباعه في الحوار، بدل الانطلاق من قناعة أن العنف يلازم الدين.

3- تهميش دور الدين والقيادات الدينية: بالمقابل التقليل أو عزل الدين بشكل كامل عن التدخل في القضايا التي تحتاج إلى الحوار، والحقائق والمفاهيم التي تحتاج إلى توضيح يؤدي إلى إلغاء دوره في الحوار للإسهام في معالجة قضايا المجتمع التي تحتاج إلى حوار، وتهميش رجال الدين من المشاركة في الحوار الديني.

ففي كثير من المؤتمرات والاجتماعات التي تقام لأجل الحوار يتم فيها تهميش دور رجال الدين، على الرغم من أنهم في حال الصراعات يكونون في المقدمة لتقديم المساعدات، كما أنهم يقومون بتوعية الناس بأهمية الدين والسلام وضرورة التعايش، فلهم دور كبير في تهدئة الأوضاع والتقليل من العنف والصراع لما لهم من تأثير؛ لأنهم يستندون في خطاباتهم على الدين، كما يمكنهم التوسط لحل النزاعات وتقليل الكراهية وبيان أهمية السلام، وتوضيح المفاهيم الحقيقية للدين. فمثلًا في الهند بإمكان رجال الدين من جميع الأطراف أن يلعبوا دورًا مهمًا في توضيح حقيقة فلسفة تقبل الآخر والتعايش في الهندوسية والإسلام لتكون سدًا منيعًا في وجه الهندوتوا.

وهناك عقبة أخرى قد تواجه رجال الدين والمفكرين أيضًا، حيث إنه من الممكن عندما يحاول رجل دين هندوسي أو مسلم أو مسيحي المشاركة في الحوار الديني أن يتم وصفه بأنه "خائن"، وخاصة في مجتمع كالمجتمع الهندي الذي تنعدم فيه الثقة، رغم كل ذلك إذا تحلى رجال الدين بالتسامح والحرية، ودأبوا على ترسيخ مبادئ السلام بشكل نزيه، محاولين صنع نظرة تتسم بتفهم موقف الآخر، سيكون لهم دور كبير في ترسيخ مبادئ الحوار. من الجدير القول إن الدين بحد ذاته لا يدعو إلى العنف،

ولكن التدخلات البشرية تشتمل دوافع كثيرة لإثارة قضايا تحتاج إلى حوار ومن ضمن ذلك الدوافع الدينية، خاصة إذا كان الدين يعدّ دليلًا على قوة تماسكهم كما هو الحال في الهند مع القومية الهندوسية.

ففي كلتا الحالتين، أي إذا تم التركيز على الدين بمعزل عن الدوافع والتدخلات البشرية كدافع للعنف والكراهية، أو تم عزل الدين أو تم الاستخفاف بدوره في القضايا التي يعاني منها المجتمع الهندي سيؤدي ذلك إلى التقصير في تحقيق أهداف الحوار، بل سيجعل الحوار حوارًا عقيمًا يدور في دائرة مغلقة، لذا يجب الاستناد إلى جميع العوامل التي من شأنها أن تعزز الحوار وتؤدي إلى الفهم الشامل للإشكالات التي يعاني منها المجتمع الهندي، وهذا شرط لا يجب الاستغناء عنه في سبيل حشد قدرات جميع الأطراف ذات الصلة كي تبذل أقصى ما لديها في تطبيق أسس وسبل الحوار ليتم تحقيق أهدافه.

4- الفهم الخاطئ للحوار الديني والجهل بدوافعه: يعتقد معظم الناس أن الحوار الديني هو عمل يقتصر على رجال الدين من أجل تعزيز التعارف بين الجماعات المختلفة، أو هو كممارسة الدعوة إلى دين معين، ولا يدرك معظم الناس أن الحوار هو مبدأ لتجاوز المفاهيم السطحية للجماعات، لتخترق المفاهيم بعضها وتفهم بشكل أعمق، ولتدريس نقاط النزاع ومحاولة الوصول إلى نقطة مشتركة بين الطرفين، الحوار الديني على الرغم من أنه يمارس في السلم، إلا أن دوره الحقيقي يبرز أثناء الصراعات والحروب؛ لأن المنظمات الدينية لها دور كبير في تقليل الصراعات والقضاء عليها، من خلال معرفة مفهوم السلام في الدين واستغلاله لتقبل الآخر والتعايش معه.

كما أن عدم وضوح أهداف وغايات الحوار الديني يحول الحوار إلى حوار عقيم، فلا بد من توضيح أهداف وغايات الحوار قبل كل شيء، والحوار الديني الفعال هو الحوار الذي يحقق التفاهم والتعايش

ويعزز مفهوم المشاركة وتقبل الآخر بين أطراف الحوار، ووضوح أهداف وغايات الحوار يساهم في تحقيق أكبر عدد من الأهداف دون أن ينحرف أحد الأطراف عنها.

كتب أحد القساوسة الكاثوليك: "إن التفاهم هو الهدف من وراء الحوار بين الأديان، وليس التغلب على الآخر أو التوصل إلى اتفاق كلي أو دين شامل، والسبيل الأمثل إلى ذلك هو سد ثغرات الجهل المتبادل وسوء الفهم بين معتقدات العالم، وجعلهم يتحدثون ويصرحون بآرائهم الخاصة بلغاتهم الخاصة، وقد يرغب البعض في الوصول إلى الشراكة، ولكن لا يعني هذا أن الهدف هو الوصول إلى وحدة موحدة أو اختزال مجموعة متنوعة من البشر في دين أو نظام أو أيديولوجية موحدة"[284].

من الواضح أن مصير الحوار سيكون الفشل ما لم تتغير أسس الحوار، وتنتقل من حوار المجاملات إلى حوار يناقش بجدية القضايا التي تهم المجتمع الهندي بجميع مكوناته ويناقش القضايا من جذورها، ويسمي الأشياء بمسمياتها، يجب تغيير قاعدة الحوار ومناقشة القضايا من بدايتها وليس من نهايتها، حتى يتم التفصيل فيها، ومعرفة نقاط القوة والضعف، وحتى يتم الوصول إلى حلول مناسبة، فمن الظلم مثلًا إثارة الجدل حول الإشكالات التي نجمت عن قضايا العنف والكراهية والتمييز ضد الآخر، دون مناقشة جذور وأصل وصميم القضية؛ لأن ذلك سيجعل النقاش عقيمًا، فليس صحيحًا أن إرهاب المسلمين ودعوتهم، وتبشير المسيحيين، ومحاولة الداليت على التحول والثوران ضد التقاليد هو ما يعيق الحل، ولكن عدم معرفة أساس القضية والتملص من الحل أدى إلى تأجج العنف والكراهية وولادة منظمات وحركات إرهابية، هذه هي القاعدة التي يجب أن ينطلق منها الحوار إذا كان يهدف إلى

---

[284] Panikkar, Raimon, The Intrareligious Dialogue, Paulist press, 1999, P10.

التعاون والمساهمة، فمجرد المناقشة والحوار حول تقريب وجهات النظر للتعايش بدل إيجاد الحلول للقضايا الكبيرة والأساسية لن يحقق شيئًا من أهداف الحوار.

5- الجهل بحقيقة الدين وضعف الوعي الديني: نقص العلم الشرعي واختفاء العلماء وقلة تأثيرهم، أو تحولهم إلى أدوات تؤيد أيديولوجيات أخرى، كالذي يقف على أرض انتشر فيها الظلم ليحدثهم عن حرمة الزنا، ذلك ما أوقع المجتمع الهندي في سبات عميق غاب فيه الوعي الديني، الدين يعدّ مقوم السلام في المجتمع الهندي، لأن الأديان التي تكون النسيج الهندي تدعو إلى السلام، الأمر الذي يساعد في خلق حوار هادف يسعى إلى تقبل الآخر والتعايش معه. ولا تعدّ الحكومة الهندية والمجتمع الهندوسي المسؤولينِ الوحيدين عن ما وصل إليه حال المسلمين في الهند اليوم، فالمسلمون مسؤولون جزئيًا عن ما يعانونه اليوم، ولم يكن أي من هذه النزعات والجدالات لتحدث لو أن المسلمين تمسكوا بشريعتهم واهتدوا إليها، ولذلك فإن مسلمي الهند اليوم في حاجة إلى التوعية والتفقه في الشريعة الإسلامية.

فشرع الله الثابت هو أن يتمسك المسلمون بالأخلاق والفضائل الإسلامية، والتي تحقق الرقي والتحضر والعلو، فأساس جميع الإصلاحات هو الإصلاح الديني، ولا توجد مصيبة أكبر أصابت الإنسانية عامة والمسلمين خاصة من تقليص دور الدين في الحياة، ولتخطو الأمة الإسلامية الخطوة الأولى لا بد لها أولًا أن تتغاضى عن الفروقات بينها سواءً كانت فروقات بسيطة وصغيرة، أو فروقات كبيرة، وسواءً كانت على مستوى الفرد أو مستوى المجتمعات أو الأمة، يقول الشيخ الندوي: إن تاريخ المنشقين في الإسلام يدل على أن الأسس التي قامت عليها كثير من الشيع والطوائف تعتمد على الإخلاص والعزم،

وعلى روح الإصلاح والنزوع إلى إزالة مواطن الضعف والركود والمغالاة، وقد حث مؤسسوها الناس على العودة إلى الله والكتاب والسنة؛ لأنها المقياس الذي يقرر الصواب والخطأ، حتى يضعوا مثل الصدق أمام أعينهم، ولكن مغالاة أتباعهم في احترامهم، وفرط إعجابهم بالأشخاص حتى العبادة، أدى بهم إلى تكوين شيع وطوائف أخذت في الابتعاد تدريجيًا عن محيط الأمة وقاعدتها، والتشكيك في العلماء والمصلحين والسخط عليهم، وفقدان القدرة والرغبة في الاستفادة منهم[285].

يذكر الدكتور غازي أحمد في كتابه موقفًا حيث ذكر أن أحد أصدقائه كان يشغل منصبًا بارزًا في القوات الباكستانية وقال له: "كنت معينًا على جبهة كشمير الحرة للقيام بمسؤولياتي العسكرية وكان يتم بيني وبين ضابط القوات الهندية لقاء، فاتفق أن دعانا أحد الضباط المسيحيين إلى حفلة شاي في معسكر، فلما دخلت عليه راعني أني رأيت على مكتبه مثنوي مولانا جلال الدين الرومي، فقلت: ماذا تصنع بهذا الكتاب؟ قال إن دراسة هذا الكتاب قد قربني جدًا إلى الإسلام، قلت أي شيء من الإسلام أعجبك؟ قال: كل شيء في الإسلام أعجبني إلا المسلمين، وهناك خفضت رأسي حياءً، وتندى جبيني خجلًا"[286].

لا أظن أننا في حاجة إلى التعمق في هذا الموضوع أكثر، فالمسلمون على وعي وعلم بواقعهم وضعفهم وأسباب ذلك، كما أنهم على علم بحلول ذلك، ولكنهم يفتقرون إلى العمل والجدة والتطبيق.

---

[285] Nadwi, Abul Hasan Ali, Appreciation and Interpretation of Religion in the Modern Age, Tr. Husain, Athar, Academy of Islamic Research & Publications, Lucknow, 1982, P 107-108.

[286] أحمد، غازي، مأساة شاب هندوسي اعتنق الإسلام، (ترجمة: نور عالم خليل)، مكتبة شمس، رياض. دار الصحوة: القاهرة، ط1، 1990م، ص145-146.

6- اتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب: يشكل الإرهاب في الهند خطرًا على الديانات الأخرى، وخاصة الإسلام، فاستغلال الهندوسية القومية خصائص وحوادث معينة لتغذية نزعة العنف ضد الإسلام، ووسمه بالإرهاب بصورة مباشرة يعد عائقًا كبيرًا في وجه الحوار الديني في الهند.

يتم اتهام المسلمين بالإرهاب في الهند عند أي حادث، ويتم اتهامهم بذلك علنًا من قبل ناشطين سياسيين ورجال دين، ففي فيديو انتشر لناشطة هندوسية وصفت فيه يوم الجمعة "بيوم الإرهاب"، وأضافت أن الصلاة الهندوسية يجب أن تكون صلاة رسمية في هذا اليوم، وذلك من واقع اتهامها المسلمين بممارسة الإرهاب في هذا اليوم[287]. كما انتشر عدد من الخطابات لعدد من الناشطين ورجال السياسة والدين، وهم يدعون إلى ممارسة العنف ضد المسلمين متهمين الإسلام والمسلمين بالإرهاب.

ففي تصريحات أطلقها جيتندرا نارايان ضد المسلمين طلب من الهندوس حمل السلاح وذبح المسلمين في اجتماع ديني في هاريدوار حول موضوع "الإرهاب الإسلامي ومسؤوليتنا"، على الرغم من أن الذين شاركوا في الاجتماع وطلبوا تنفيذ المذبحة هي شخصيات معروفة بتأثيرها في المجتمع الهندوسي، إلا أنه لم تتم محاسبة أحد منهم على خطاب الكراهية الذي صرح به، والمتهم الوحيد كان هو نارين؛ لأنه كان مسلمًا ثم تحول وأصبح هندوسيًا[288].

---

[287] الجزيرة، راهبة هندوسية تصف الجمعة "بيوم الإرهاب"، ومغردون يطالبون بسجنها، 8\6\2022، شوهد في: 23\8\2022. https://2u.pw/yz5Zys

[288] شكيل رشيد (ممبئی اردو نيوز)، ہری دوار ميں مسلمنوں کے قتل عام کا نعرہ، نفرت کے بيوپاری آزاد کيوں؟، 26\12\2021، شوهد في: 25\8\2022، https://2u.pw/h3QGsJ

وفي تصريحات أخرى لبرابودهاناند غيري في (دَهَرم سنساد _اجتماع ديني_) أقيم في هاريدوار أعلن فيه أنه أقام هذا التجمع كقسم أقسم فيه على القضاء على الإرهاب الإسلامي الذي ينتشر باسم الجهاد ليس في الهند وإنما في العالم بأكمله، سعيًا منه إلى تحقيق وترسيخ الإنسانية والسلام في العالم! كما صرح أن (ساميداهم Samadhanam _السلام والنمو والازدهار_) يمنحهم حق حماية أنفسهم، وعندما سأله المذيع أن العلمانية تمنح ذلك أيضًا للجميع أجاب أن الهند ليست دولة علمانية[289]. من الواضح أن غيري لا يعرف معنى الجهاد، ولا يعرف معنى الإرهاب، الجهاد في الإسلام يكون دفاعًا عن النفس والدين والأمة وهو الأمر ذاته الذي قال عنه "ساميداهم" الذي يمنحهم حق الدفاع عن أنفسهم، أما الاعتداء على الآخرين دون وجه حق فهو جريمة في كل الأديان ومنها الإسلام، وبالتالي فالإرهاب فعل بشري مدان ليس له دين.

وقد تعرضت الهند لعدد من الهجمات الإرهابية منها خطف رحلة الخطوط الجوية الهندية 814 عام 1999م، والهجوم على البرلمان الهندي عام 2001م، وحرق قطار بجودهرا عام 2002م، وتفجيرات مومباي عام 2008م وعام 2011م، ومقتل كايا لال عام 2022م، وقد كان المتهم في هذه الحوادث المسلمين وباكستان، وهذا أمر لم يثبت، وحتى إذا سلمنا بوجود حوادث فردية نسبت لمسلمين، فإن ذلك لا يسمح بنسبة الإرهاب إلى جميع المسلمين، فالإرهاب ليس له دين ولا وطن، وإذا كان هذا تطرفًا، فماذا يطلق على حوادث العنف التي ترتكب ضد المسلمين والمسيحيين في الهند؟

[289] NDTV, Prabodhanand Giri, 23\12\2021, https://2u.pw/nCRJ52

لكن للأسف، أصبح الإسلام يتحمل تهمة الإرهاب منذ عام 2011م، وحمل جريرة كل عمل عدواني يحدث في أي مكان في العالم، ونحن لا نسعى إلى معرفة المتهم هنا والمسؤول عن هذه العمليات، فمهما كان المسؤول فهو يمثل نفسه فقط، ولا يمثل وطنه ومجتمعه وأمته ودينه، فلا يتم اتهام مجتمع وأمة كاملة بسبب عمل متطرف لأفراد أو مجموعات متطرفة تمثل نفسها ولا تمثل الدين، ولكن هدفنا أن نوضح أن الإسلام دين العدل والإنصاف والحق، وأنه يؤمن بالتشارك والتعايش ويدعو إلى الحوار، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[290].

كما أن دراسة فكر العناصر المتطرفة التي تقوم بممارسات توصف على أنها إرهابية، يخبرنا عن بعدها عن الفهم الصحيح للدين والقرآن، لأنهم لو عرفوا تعاليم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية لما فكروا مجرد تفكير في ما قاموا بفعله، وهذا ما تبرزه شهادات بعض الدراسات، مثل الباحث "ميشيل بونر" الذي بين في دراسة له أن الأشخاص المتهمين بالإرهاب كانوا يمتلكون معرفة سطحية بالقرآن، ولهذا من العبث أن نناقش تأويلهم لآيات القرآن أو أن نلوم الإسلام على ما ارتكبوه من جرائم شنيعة، وما فعلوه لم يكن إلا محاولة منهم للهرب من الشعور بالتفاهة والحنق على القومية العلمانية، والبحث

[290] سورة الحجرات: 13.

عن المجد القديم للإسلام، وأيقنوا أنهم بموتهم سيخلدون كأبطال ضحوا بأنفسهم من أجل قضيتهم[291].

إذًا فهو ليس إلا فعلًا عنيفًا وشنيعًا من بعض البشر الذين لا يمثلون الإسلام ولا ينتمون إليه، وليس فقط إلى الإسلام وإنما لا ينتمون إلى الإنسانية لأنهم يستهدفون أناسًا أبرياء لا ذنب لهم.

من الطبيعي أن نقوم بإدانة الإرهاب بشكل كامل دون النظر إلى دين وطائفة مرتكبيه، ولا يجب علينا تجاهل موت الآلاف من الشعوب البريئة في سبيل تحقيق أهداف دينية وسياسية لفئة معينة من الناس باعتبارها "أضرارًا جانبية" لا بد منها كما ذكرت مادلين أولبريت عام 1996م على برنامج 60 دقيقة حينما سئلت عن قتلى حرب العراق فأجابت: "ولكن النتيجة، حسنًا، نحن نعتقد بأن النتيجة تستحق ذلك!"[292].

وهنا ينبغي التنبيه على أهم العوامل التي تؤجج الإرهاب وتجعل الناس تقبل رسائل المتطرفين، وهو فقدان قسم من الشعب ثقته في المؤسسات العامة وفي السلطة الحاكمة، واللجوء إلى شبكات ومنظمات مختلفة ترتبط بأيديولوجيات متطرفة، التي تستقطب الأفراد الذي يشعرون أنهم يعيشون تحت ضغط

---

[291] Bonner, Michel, Aristocratic violence and Holy war: Studies in the Jihad and the Arab, Byzantine Frontier, American Oriental Society, 2013, p159, p164

[292] Hiltermann, Joost R, A Poisonous Affair: America, Iraq, and the Gassing of Halabja, Cambridge University Press, Cambridge UK, 2007, p243.

واضطهاد سياسة عدائية وعنصرية، الأمر الذي يؤدي إلى تشارك الهموم الحياتية مع منظمات وحركات تبث الرسائل الدينية المتطرفة.

وختاما نشير إلى أن الإرهاب والعنف الديني الحديث هو جزء من الحداثة، ويبدوا أننا لا ندرك أننا أصبحنا نعيش في قرية صغيرة وعالم مترابط بعضه مع بعض، وأن حادثة وخطرًا في مكان ما سيؤثر على مكان آخر في العالم، ولذلك دائمًا ما يسعى كل مجتمع إلى وضع نفسه في خانة مميزة عن البقية.

المطلب الثاني: التحديات القومية والمجتمعية

1- القومية الهندوسية: لقد سبق الحديث بإسهاب عن القومية الهندوسية، التي تمارس أنواعًا مختلفة من العنف الديني بسبب سعي الحركات المتطرفة والحكومة إلى استخدام الدين كأداة لتحديد الهوية الوطنية.

القومية الهندوسية والشعور بالعار جراء البقاء تحت الحكم الأجنبي، هي مشاعر تختلج بعض الهندوس، والشعور بالجغرافيا المقدسة له أهمية خاصة في قلوب الهندوس، فمثلًا المسجد البابري الذي أقيم على أنقاض معبد هندوسي أثار مشاعر الهندوس، كونه رمزًا ودلالة على بقائهم تحت عار حكم المسلمين لفترة طويلة، ولذلك قرر بعض النشطاء عام 1989م بناء معبد للإله راما على أنقاض المسجد.

والقومية الهندوسية في الهند اليوم هي السبب الرئيسي لما يحدث في الهند، كما تعد العائق الأكبر في الحوار الديني، وخاصة بعد معرفة كل ذلك الحقد والكراهية التي تجري في عروق بعض القوميين

الهندوس مجرى الدم، والذين يعلنون على المنابر أن الهند دولة قومية، وأنه يجب طرد الآخرين من أراضيها، ومعاملة الطبقات الدنيا طبقًا للشريعة الهندوسية.

ولذلك يجب العمل أولًا على القضاء على هذه القومية، التي تقف عائقًا في وجه ممارسة الآخر حريته الدينية، وتقف عائقًا في وجه العدالة والمساواة، وعائقًا في ممارسة الحوار الديني وتحقيق أهدافه.

2- الإعلام والسياسات الإعلامية: تلعب وسائل الإعلام دورًا كبيرًا في تكوين الرأي العام كونها مصدرًا أساسيًا من مصادر تثقيف الإنسان، بالإضافة إلى كونها مصدرًا لنقل المعلومات والأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، كما أنها تساعد في التعرف إلى الحضارات والثقافات المختلفة، وتساهم في تطوير العلاقات الإنسانية وتمسك المجتمع من خلال توعيته، إلا أنه عندما يتم استغلال وسائل الإعلام في تعزيز الكراهية والعداء ضد فئة معينة من الناس حينها يتحول الأمر إلى مأساة، نظرًا لتأثير وسائل الإعلام الشديد على تكوين الرأي العام، والمقصود جميع وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المسموعة والمطبوعة والمرئية والإلكترونية.

تعمل وسائل الإعلام في الهند على بث روح الكراهية والعنف ضد الآخر، من خلال نشر معلومات كاذبة ومنحازة ضد الإسلام والمسيحية، كما تبث رسائل كراهية تحرض على العنف ضد المسلمين والمسيحيين بشكل علني، حيث تلعب وسائل الإعلام دورًا مركزيًا في تأجيج وتحريض الشعب على ممارسة العنف ضد المسلمين والمسيحيين. والحملات العدائية ضد الآخر لها آثار كارثية على العقلية الهندوسية، حيث عمل الإعلام على تقويض الحس السليم لدى عدد كبير من المجتمع الهندوسي،

الأمر الذي أدى إلى اندلاع أعمال العنف والفوضى الجماعية ضد المسلمين والمسيحيين، وتعدّ وسائل الإعلام لغة ملهمة للهندوسية القومية لتحقيق أهدافها المتطرفة[293].

وكثيرًا ما تنعكس سياسات العنف الديني ضد المسلمين والمسيحيين في بيانات علنية تبث من خلال وسائل الإعلام تحرض على العنف والكراهية، حيث يتعرض بعض الأفراد للتشهير بزعم أنهم يشكلون خطرًا على الدولة الهندية أو الهندوس، كما تعمل وسائل الإعلام على بث الخوف في قلوب الهندوس من حدوث تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية من المسلمين باتهامهم أنهم يحاولون الحصول على الأكثرية، أو أنهم جواسيس لباكستان، إذًا فهم عامل "تهديد" لبقاء الأمة الهندوسية، أو جزء من المؤامرة الباكستانية للسيطرة على الهند.

توجت الهند القومية خطاب الكراهية ضد المسلمين والمسيحيين بوسائل إعلامية مختلفة، ففي عام 2020م قام رئيس الوزراء مودي بوضع حجر الأساس الثاني لمعبد راما على أنقاض المسجد البابري، أما وسائل الإعلام فقد ساندت الحركة الهندوسية المتطرفة، وتجلى ذلك في تغطية وسائل الإعلام الهندية وضع الحجر على أنقاض المسجد، بحيث لم تضع في اعتبارها أن رئيس دولة علمانية وضع حجر معبد هندوسي على أنقاض مسجد إسلامي، وركزت وسائل الإعلام المختلفة على استعدادات وإجراءات الهندوس الكبيرة التي سبقت وضع الحجر مع التركيز على التشديد الأمني وعلى أهمية الحدث، بينما تجاهل عدد كبير من وسائل الإعلام الحدث، بينما علقت صحيفة هندوستان قائلة: "أيوديا رمز العقيدة الهندوسية، اجعلوها رمز العلمانية والتعددية أيضًا"، كما شرحت الصحيفة انعدام

---

[293] راجع: المبحث الثالث: أنواع الآخر في الفكر الهندوسي من هذه الرسالة.

الأمن والعنف والكراهية التي يتعرض لها المسلمون في الهند، واعتبرت أن حكم المحكمة كان عملًا إجراميًا، بينما نشرت صحف ومواقع أخرى أن وضع الحجر يعدّ انتصارًا للهندوسية[294].

على الرغم من الإجحاف والطغيان الذي حدث عندما تم وضع حجر أساس المعبد، على أنقاض مشاعر المسلمين وآمالهم، إلا أن الهند لم تعلم أنها بنت المعبد على أنقاض التشارك والتعايش الذي عاش فيه المسلمون والهندوس لتاريخ طويل، وأن ما حدث يدل على هيمنة الهندوسية على الآخرين!

وفي حادثة أخرى انتشر فيديو لأحد النشطاء وهو برابودهاناند غيري يحث فيه السلطات الهندية وجيشها على إعادة ما حدث في مينمار، إشارة منه إلى أعمال العنف التي حدثت ضد مسلمي الروهينجا، كما أخبر غيري: قناة تلفزيونية أن ليس خائفًا وأنه مصرٌّ على أقواله[295].

وفي عام 2021م قام أحد أقارب عضو الكونغرس Srinivasmurthy الهندي بنشر منشورًا يسيء إلى الرسول الكريم ﷺ، الأمر الذي أدى إلى استياء مسلمي مدينة بنغالور الذين احتجوا على المنشور، والذي أدى بدوره إلى قتل 3 مسلمين وإصابة عدد من رجال الشرطة واعتقال 110 أفراد آخرين، في حين اتهم السكان الشرطة في تأخير تسجيل شكوى ضد المتهم الأمر الذي أدى إلى أن يتحول الأمر إلى أعمال عنف، ولو أن الشرطة قامت بتسجيل الشكوى في وقتها لما وقعت حوادث عنف، ولما عانى

---

[294] ظفر الإسلام، كرّس هوية هندوسية للبلاد.. هكذا تناول الإعلام الهندي بناء "معبد راما" على أنقاض مسجد بابري، الجزيرة، 5\8\2020، شوهد في 24\8\2022. https://2u.pw/lZBY3M

[295] Siasat, After Haridwar event, Prabodhanand Giri again makes provocative remarks against Muslims, 7\1\2022, Viewed: 24\8\2022. https://2u.pw/f7gs57

كثير من الناس[296]. وفي تغريدة نشرها كابيل شارما زعيم حزب بهاراتيا جانتا تستهدف المسلمين قال فيها: "إذا كنت تريد أن ينخفض التلوث، فعليك تقليل هذه المفرقعات النارية وليس تلك التي تنفجر في ديوالي، إلى جانب صورة لرجل يرتدي قبعة، ونساء يرتدين برقعا وإلى جانبهن عدد من الأطفال، بينما أكد محاميه أنه كان يحاول توعية الشعب بشأن الحد من تعداد السكان!"[297]؛ لكن، إذا كان يقصد الحد من التعداد السكاني لماذا وضع صورة رجل يرتدي قبعة وامرأة ترتدي برقعا؟.

جدير بالذكر أن كابيل ميشرا له تاريخ في التحريض على الكراهية والعنف ضد المسلمين، ففي أعمال العنف التي حدثت عام 2020م في دلهي كان ميشرا هو المتهم الرئيسي في التحريض على العنف ضد المسلمين، والذي أعلن في خطاب له أن الشرطة إذا لم تنجح في فك المظاهرات التي خرجت ضد قانون الجنسية، فإنه هو وأعوانه سيقومون بالمهمة، ولم تمض ساعات حتى بدأت أعمال العنف في دلهي[298].

وفي تصريحات أخرى لعضو **المهاسابها الهندي** بوجا شاكون باندي قالت فيها إنك إذا كنت تريد القضاء عليهم فكن مستعدًا لقتلهم، اقتلهم واذهب إلى السجن، محرضة بذلك على الإبادة الجماعية

---

[296] بهارت، بنگلور میں پُر تشدد احتجاج میں تین ہلاک، 147 گرفتار، 12\8\2020، شوهد في 24\8\2022. https://2u.pw/0Ly6lN

[297] Scroll Staff, Complaint filed against BJP leader Kapil Mishra for allegedly comparing Muslim children to pollution, 29\10\2019, Viewed: 24\8\2022. https://2u.pw/DNxs22

[298] بي بي سي نيوز، في الأوبزرفر: ما يجري في دلهي "وحشية ضد المسلمين، 1\3\2020، شوهد في: 25\8\2022. https://2u.pw/JDPjEm

للمسلمين، كما أعلنت أنها على استعداد لتحمل الخزي مثل غودسي لكنها ستحمل السلاح[299]. من الجدير بالذكر أن بوجا من أكبر معارضين غاندي حتى إنها أطلقت النار على تمثاله، تدعم بوجا حزب بهاراتيا جانتا، وصرحت أنها ضد قتل الحيوانات، وتشعر بالفخر أن الهندوسية رحيمة بالحيوانات، ولكنها في الوقت ذاته تدعو إلى قتل البشر![300]

وإحدى هذه الوسائل أيضًا نشرت تصريحات مسيئة عن الرسول الكريم ﷺ من قبل نوبور شارما الشخصية البارزة في حزب بهاراتيا جانتا، من خلال هذه التعليقات المسيئة أظهرت المشاعر الكامنة ضد المسلمين، ومن خلال إظهار الرسول الكريم ﷺ بهذه الصورة كممثل عن المسلمين وكأنها أمة لا تحترم المرأة، وتؤمن بالخرافات والأساطير، هذه التعليقات حملت رسالة ثقافية وسياسية ودينية من الهندوس إلى الإسلام تبين أن صراعنا قائمٌ على الدين وليس فقط على السياسة، حيث تحولت الأزمة إلى أزمة سياسية واقتصادية شارك فيها الشارع العربي والإسلامي، وهنا انتقل الصراع من صراع بين مسلمي الهند والهندوس، إلى صراع بين مسلمي العالم والهندوس مع بعض الدول الغربية التي ساندت الهند في تصريحاتها.

وكما تعمل وسائل الإعلام على نشر خطاب الكراهية تستطيع أن تلعب دورًا كبيرًا في أن ترسي أسس الحوار والتعايش، ويجب على وسائل الإعلام العمل بأمانة ودحض الشائعات والاتهامات التي

---

[299] ہری دوار میں مسلمنوں کے قتل عام کا نعرہ، نفرت کے بیوپاری آزاد کیوں؟

[300] هندوس الهند ومسلميها.. جدلية التعايش وثقافة الكراهية.

تبث ضد المسلمين والمسيحيين في وسائل الإعلام، أو مواجهتها بروايات مضادة تدحض الروايات التي تحث على العنف الديني.

كما ينبغي لوسائل الإعلام مساعدة المسلمين والمسيحيين والشودرا والداليت في التغلب على ثقافة الصمت في وجه العنف الذي يمارس ضدهم، حيث يمكن لوسائل الإعلام لعب دور كبير في تغلب على ثقافة الصمت من خلال نشر الأخبار والمعلومات الصحيحة عن الاعتداءات التي تمارَس ضد الآخر، ومساعدة الآخر في إيصال صوته إلى العالم، نظرًا لأن ثقافة الصمت تزامن ثقافة الإفلات من العقاب، فقد تكون هذه الخطوة الأولى لمعالجة العنف والكراهية ضد الآخر.

كما يمكن للإعمال الدرامية والسينمائية التي تبث روح العنف والكراهية ضد المسلمين التحول وإنتاج أعمال درامية وأفلام تتغلب على روح العدائية ضد المسلمين والمسيحيين، وتوعية الجمهور أن المسلمين جميعهم ليسوا إرهابيين وليسوا غرباء، بل إنهم في الواقع يملكون مشاعر وآمال تماثل الهندوس.

وكما أن وسائل الإعلام تعدّ عائقًا كبيرًا في تيسير الحوار الديني في الهند، يمكن لها أن تلعب دورًا مهمًا في تيسير الحوار الديني من خلال العمل على تغيير الصورة النمطية التي كونتها عن المسلمين والمسيحيين إلى صورة إيجابية، فوسائل الإعلام سلاح ذو حدين، تبني الأمم إذا استخدمت بشكل صحيح، وتهدم الأمم إذا استخدمت بشكل سيئ، ولكن ذلك يتطلب أولًا أن تكون المنظومة الإعلامية في أيدٍ تسعى إلى السلام والتعايش وليس إلى الفرقة والعدائية.

وسائل الإعلام مسؤولة أمام التاريخ، ولذا يجب عليها بث ونقل الحقيقة في كل وقت، ويجب ألّا تنحاز إلى جهة معينة وخاصة إذا كانت جهة تبث الكراهية وتغذيها، حتى لو كانت تربح من وراء ذلك

أموالًا طائلة، فقيم التعايش والأخلاق والسلام أهم بكثير من المنافع التي سيحصل عليها ناشر وناقل الافتراء والأكاذيب.

3- النظام الاجتماعي والمجتمع الهندي: النظام الاجتماعي في الهند اليوم هو نظام علماني بحسب الدستور، ولا يعني ذلك أنه ناجح ومنصف، فعلماء الاجتماع أشاروا إلى أن وضع الدستور والنظام الاجتماعي والترتيب الهيكلي بالاعتماد على النموذج الغربي في مجتمعات تختلف عن المجتمعات الغربية تعطي نتائج مختلفة عن النموذج الغربي[301]، واختلاف النتائج منطقي جدًا، تبعًا لاختلاف البيئة والثقافة والنظام الاجتماعي، والهند تختلف اختلافًا جذريًا عن أي نموذج غربي في العديد من الاتجاهات والأنظمة، التعددية الدينية والثقافات التي يحتضنها المجتمع الهندي لا يماثل أي تعددية دينية في أي نموذج غربي، النموذج الهندي احتضن على مر التاريخ ثقافات وأديانًا مختلفة وتعايشت معه، على الرغم من بعض الصراعات بين فترة وأخرى، إلا أنها بشكل عام عاشت في وفاق وتشارك، أقسى مرحلة عنف عرفها التاريخ الهندي بدأت بعد الاستقلال، بعد بث بذور الكراهية والطائفية في نفوس الهندوس والمسلمين.

وبسبب الإهانة المستمرة والانكسار الذي تعرض له المسلمون في الهند على مر السنين، وبسبب محاولة دمج الثقافة الإسلامية في القومية الهندوسية، أصبح المسلمون يفتقدون إلى الثقة والقدرة على العمل، بالإضافة إلى أنهم انطووا على أنفسهم وأصبحوا يعيشون كالغرباء، مع وجود فئة اندمجت مع

---

[301] Cole, Rebert E, "Functional Alternatives and Economic Development: An Empirical Example of Permanent Employment in Japan", American Sociological Review, 1973, V 38, P426.

التيار وفقدت هويتها وابتعدت عن أصول الإسلام، الأمر الذي يشكل عائقًا في وجه الحوار، فإذا كان هناك استبعاد واستسلام من قبل المسلمين في الهند فإن ذلك لن يؤدي إلى نتيجة، وسيؤدي إلى هزيمة المسلمين، إذا لم يحاول المسلمون الوقوف والتحاور للمطالبة بحقوقهم وطلب رفع الظلم والاضطهاد عنهم.

ما يحتاجه الإنسان اليوم في المجتمع الهندي هو التربية، ولا أقصد التربية بمفهومها الضيق في الجامعات والمعاهد المدرسية، وإنما التربية بمعناها الواسع في تربية القلوب والعقول، وتوجيه الفرد وشحن طاقتهم بما يحقق مطامحهم ويحقق التعايش والتحاور بين الطرفين، ولا ينبغي للمسلمين أن يكونوا في حاجة إلى معرفة أهمية التربية والعلم كونه المفتاح لمستقبل يقوم على التعايش والحوار والتفاهم والتقارب.

إن التعليم العلماني هو تحدٍ آخر للمجتمع الهندي، كون المدارس والمناهج التعليمية تركز اليوم على الحياة المادية أكثر من الحياة الدينية والأخلاقية، حيث أصبحت المدارس لا تهتم بالتعليم الديني سواءً كان الإسلامي أو الهندوسي، ناهيك عن المدارس والمناهج التي تسعى إلى زرع الإرهاب والتطرف ضد فئة أو دين معين، ولذلك إن أقصى ما يجب أن نصبو إليه هو عدم انسلاخ الأجيال عن القيم والأخلاق.

ولذلك يجب أن يكون هناك تنسيق وتكامل بين جهود المؤسسات التعليمية وبين المؤسسات الأخرى، كالأسرة والمساجد والمعابد وغيرها، فإذا كان هناك ما يعكر صفوة القيم والعقائد واختلاط الأفكار فلا بد من تصحيح مثل هذه الأمور.

4- الجهل بالذات والآخر: كل إنسان ينتمي إلى ديانة معينة في المجتمع الهندوسي يدعي أن: "دينه دين السلام"، وأنهم صانعو السلام، سواءً كان الدين الإسلامي أو الهندوسي أو المسيحي، والحقيقة أنه يجب على كل فرد إدراك معتقداته السليمة، ومعرفة الأفكار الدخيلة على دينه من الأفكار الأصلية، بالإضافة إلى ضرورة معرفة سبب التحيز ضد فئة معينة من الأشخاص، ينبغي على الإنسان الهندي تجريد دينه من الرواسب التاريخية، ومن الضروري أن يتساءل: أنا كشخص مسلم أو مسيحي لماذا لا زلت أنظر إلى الآخر الهندوسي بدونية؟ أو أنا كشخص هندوسي لماذا أنظر إلى الآخر المسلم والمسيحي بعدوانية؟ وأنا كشخص هندوسي براهمي أو شتريا لماذا أنظر إلى الآخر الشودرا أو الداليت أو الشاندال بنظرة دونية؟

ثم يجب عليه تنقية دينه من الرواسب التاريخية التي نقلت إليه عبر الأجيال والتي عززت في عقله وقلبه النظرة الدونية ضد الآخر، كما يجب عليه الحرص على ألا ينقل هذه الأفكار إلى الأجيال القادمة، وأخيرًا يجب عليه التفكير وتعلم ما تحتويه الديانة الأخرى من أفكار وتعاليم ما يمكنه من التعايش مع الآخر دون أن يؤثر ذلك على هويته الخاصة، عندها فقط سيدرك الإنسان الهندي ذاته وسيدرك الآخر أيضًا.

فالصراع التاريخي الطويل في المجتمع الهندي أدى إلى خلق أفكار ومنظمات وجماعات تحمل توجهات مختلفة، والتي بسببها تضاءلت فرص تقبل الآخر، وتم من خلال ذلك تشويه صورة الآخر، الأمر الذي جرد الجانب الهندوسي من القيم والأخلاق الإنسانية، حيث أصبحت تستند على معاناتها التاريخية، دون أن تنظر إلى معاناة الآخر المسلم والمسيحي، وترى في الآخر "العدو" الذي يتسبب

في الألم والحزن للمجتمع الهندوسي، الأمر الذي يؤدي إلى تبرير ممارسة العنف ضدهم لأنهم "العدو"، فليس هناك معاناة مشتركة، لأنهم "الآخر".

ومن شأن الحوار أن يكشف عن جوانب أخرى مشتركة بين الهندوسية والأديان الأخرى، بالإضافة إلى بيان الجوانب المختلفة، حتى يتم إدراك الآخر بشكل جيد، وبالتالي البحث عن المشترك للتعايش بشكل أفضل، من خلال فهم معاناة الآخر المسلم والمسيحي التي وقعت بسبب الجانب الهندوسي، وحتى فهم معاناة الآخر الهندوسي التي وقعت بسبب المسلم والمسيحي، ومن ثم العمل على حل القضايا بطرق سلمية بعيدًا عن العنف، بالإضافة إلى أن الحوار يسمح ببيان وجهات النظر الدينية والثقافية للآخر، ما يكسب المرء رؤية واسعة وإدراكًا لرؤية العالم من وجهة نظر الآخر.

يتحول الحوار الديني إلى حوار عقيم إذا وجد فيه أشخاصًا يجهلون المعتقدات الدينية الأساسية لدينهم أو للدين الآخر، أو إذا كانوا فئة تحمل أفكارًا متطرفة وتحاول تأجيج الصراع بدلًا من محاولة الوصول إلى حل للتفاهم والتشارك.

ومن قبيل الجهل بالذات النظر إلى الآخر على أنه منافس، من ذلك على سبيل المثال نظر الهندوس إلى المسلمين على أنهم منافسون يحاولون منافستهم على أرضهم، ويحاولون السيطرة على أرضهم حتى يحكموا قبضتهم على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليمارسوا حكمهم عليهم كما فعلوا طوال القرون السابقة.

فأحد أسباب العنف اتجاه المسلمين هو اعتقاد الهندوس القوميين أن المسلمين حكموا الهندوس فترة طويلة في أرضهم وأنهم مارسوا الاضطهاد ضدهم، وأنهم الآن يحاولون استرداد مجدهم وملكهم ليحكموهم مرة أخرى.

ففي تصريحات غيري التي أطلقها في هاريدوار أعلن فيها أن حل التخلص من المسلمين هو حمل السلاح، وطالب الهندوس بإنجاب المزيد من الأطفال، والاحتفاظ بأفضل الأسلحة، وصرح أن الهند تتحول إلى دولة إسلامية بسرعة ولذلك يجب العمل على أن تصبح "أمة سانتان ويدية" أي أن تكون راشتر هندوسية، كما وصف القتال بين المسلمين والهندوس أنها معركة من حياة سابقة، وأنها ستستمر في المستقبل[302].

5- عدم الاعتراف بمواطن النقص: إذا كان الحوار الديني في الهند يسعى إلى النجاح وإلى تحقيق الأهداف المرجوة، فلا بد له أولًا من نقد الذات، والاعتراف بأوجه القصور من كلا الطرفين، حيث إن ذلك سيعبر عن التواضع والاحترام ومشاركة المعاناة والآراء للتفاهم، بعد التعبير عن الإساءات والتقصير والاخفاقات التي حدثت من كل طرف.

ومع أن الأمر عبارة عن عدة ألفاظ يحث يجب على كل طرف القول: "أنني إنسان أفرطت في التعصب لديني، وكنت فاقدًا للإحساس، وكان يجب علي أن أكون أكثر تفهمًا، وأن أدرك أن لكل شخص دينه وحريته التي يحق له ممارستها دون خوف، وأنه يجب علي القبول أنه يمكننا العيش معًا رغم الاختلاف"، إلا أنه بقدر قلة هذه الألفاظ إلا أنها ثقيلة على كلا الأطراف في المجتمع الهندي،

---

[302] ہری دوار میں مسلمنوں کے قتل عام کا نعرہ، نفرت کے بیوپاری آزاد کیوں؟.

وخاصة الطرف الهندوسي والمسلم بسبب رواسب العداوة التاريخية، كما أن النقد الذاتي يحتاج إلى شجاعة ومبادرة، بالإضافة إلى أنه لا يمكن معرفة ما إذا كان هذا الاعتراف باسم المجموعة والطائفة كاملة أم أنه اعتراف مجموعة أو شخص فقط، وفي كل الأحوال ستكون هناك مجموعة تتحسس من هذا الموضوع ولن تقبل بالاعتراف، ومع ذلك الأمر ليس مستحيلًا بعد التوعية وفهم الدين الصحيح وتنقية الدين من العداوة التاريخية التي أدت إلى انقسام المجتمع والتي تشكل عائقًا في سبيل تحسين علاقات المجتمع الهندي.

فلا سلام دون تنازلات حتى لو كانت مريرة، فالسلام في صراعنا الطويل هذا باهظ الثمن بالنسبة للطرفين، ولكن لا بد من دفع الثمن كاملًا حتى يتحقق.

6- سياسات الاستبعاد ضد الآخر في المجتمع الهندوسي: يمارس المجتمع الهندوسي سياسات الاستبعاد من الوظائف والمؤسسات التعليمية والحرمان من الجنسية والحقوق السياسية ضد الآخر، الأمر الذي يعزز الكراهية والعنف في المجتمع الهندي، والذي يؤثر على الحوار الديني بين أتباع الأديان المختلفة في الهند، فترويج الهندوسية القومية لهويتها الوطنية على حساب الأديان الأخرى، التي تعدّ وجود الإسلام والمسيحية غير قانوني في أرض الهند يعزز من مشاعر الكراهية ضدهم، وبالتالي اتباع سياسات الاستبعاد ضدهم في مختلف المجالات، وما يزيد الوضع سوءًا هو سن القوانين التي تتعلق بالمقدسات والدعوة والتبشير والتحول الديني والتي تعرض الآخر للعقوبات، وتشجع القومية الهندوسية على ممارسة العنف باسم هذه القوانين.

7- الإفلات من العقاب وثقافة الصمت[303]: تضمن القومية الهندوسية إفلات أغلب من يمارس العنف ضد الآخر من العقاب، وبسبب ذلك ينتهج المسلمون والمسيحيون وأصحاب الطبقات الدنيا ثقافة الصمت، متحججين بأن الحكومة لا توفر لهم الحماية، أو أن السلطات بنفسها تشارك في ممارسة العنف وتقف متفرجة على الناس وهم يضربون أو يقتلون، وعلى المساجد والكنائس والبيوت وهي تهدم وتحرق وتدنس.

على الرغم من كثرة التحديات التي يواجهها الحوار الديني وتعددها إلا أن الأهم هو البحث عن كيفية التصدي لهذه التحديات، لتحقيق العدالة والتعايش في ظل تراجع تأثير المؤسسات الدينية لمصلحة الحكومات السياسية والحزبية، ولمصلحة الشركات والمصالح المالية، إن الحاجة إلى تجديد وتطوير آليات جديدة قابلة للتطبيق يعد أمرًا ضروريًا، وإلا فإن الحوار الديني سيكون دون جدوى، والأهم من كل ذلك هو ضرورة قدرة المشاركين في الحوار على مواكبة ومجاراة المتغيرات والتحديات المجتمعية والسياسية في المجتمع الهندي، وإلا فإنها ستتحول إلى نصوص وأفكار مجردة لا تسمن ولا تغني من جوع.

طرح هذا المبحث أهم التحديات التي يواجهها الحوار الديني الإسلامي الهندوسي، وهي تحديات تحول بين تحقيق الحوار لأهدافه، وهي تحديات يمكن التغلب عليها بعد وضع آليات وحلول قابلة للتطبيق من خلال توظيف الشباب والعلماء ورجال الدين وقادتها، ومن خلال توظيف النصوص

---

[303] راجع: المبحث الثالث: أنواع الآخر في الفكر الهندوسي من هذه الرسالة.

المقدسة والأدبية والاستناد عليها، والمبحث التالي من هذا الفصل سيبين أهم القيم التي يمكن الاستناد إليها لتفعيل الحوار الديني في الهند.

المبحث الثاني: نماذج من القيم الهندوسية الداعمة للحوار والتعايش.

يعدّ الحوار من المبادئ الأساسية التي أصبحت له أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، ويجب أن يكون التعامل به مع الآخر المختلف في الرأي والاعتقاد، أيا كانت درجة الاختلاف والتباين، ويعني الحوار النقاش بين طرفين أو عدة أطراف يقصد به تصحيح مفاهيم أو إظهار حجة ورد الفاسد لمعرفة الحقيقة وإيجاد حل وسطي، ويجب على المتحاورين ضبط المفاهيم ووزن الحجج والإنصاف مع الخصوم، ولتحقيق ذلك لا بد من الالتزام ببعض القيم والأسس التي من شأنها أن تحقق الهدف من الحوار الديني، والإسلام من الأديان التي أسّس أُسُسَ وقيمَ الحوار بشكل لا نجده في أي دين آخر، ولذلك في هذا المبحث سنبحث في هذه الأسس والقيم ونقارنها مع بعض القيم والأسس الهندوسية التي من شأنها أن تثري الحوار الديني.

المطلب الأول: قيم التعايش وتكريم الآخر

1- التعايش والابتعاد عن الأنانية: وجه الإسلام الخطاب للبشرية جميعها وأكد أن الناس سواسية ولا فرق بينهم، ليعلم الناس أنهم إخوة في الإنسانية، وأن الإسلام ديانة عالمية، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"[304]، ثم جعل البشر أممًا ومجتمعات وشعوبًا وقبائل رحمة بهم وليتعايشوا بعضهم مع بعض، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

[304] سورة سبأ: 28.

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[305]، وقال النبي ﷺ: "كلكم لآدم وآدم من تراب"، كما أوصى الناس في خطبة الوداع قائلًا: "أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"[306].

وكان أول عمل قام به النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة كان أن وضع صحيفة المعاهدة مع اليهود الذين سكنوا المدينة المنورة، الصحيفة التي حددت العلاقة مع الآخر لضمان التعايش والمشاركة مع الآخر، حيث ضمنت الصحيفة الحقوق والحريات، كحرية العقيدة والعبادة والدين، قال تعالى: "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[307]، ووثيقة النبي ﷺ مع اليهود يعد أول تطبيق عملي في الإسلام يعكس حسن التعايش مع الآخر، وإيمانًا منه أن الاختلاف بين الناس سنة الحياة، ولذلك قال تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ"[308].

كما أكد الإسلام على الروح السامية لخير البشرية، حيث أنكر تتبع نهج الأنا، ودعا إلى الابتعاد عن الأنانية، ودعا إلى الإيثار، قال تعالى في مدح الأنصار: " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

---

[305] سورة الحجرات: 13.

[306] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، 1995م، ج6، حديث (199).

[307] سورة البقرة: 256.

[308] سورة هود: 118.

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"[309]، وقال رسولنا ﷺ في الحديث المتفق عليه: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

والهند على الرغم من تنوع الأديان والثقافات التي تضمها إلا أنها نجحت في العيش بتوافق معها إلا من بعض الحوادث المتفرقة، فالنصوص الهندوسية تحث على التسامح والتعايش التي تكفل للآخر حرية المعتقد والدين، وتنبذ الأنا وحب النفس.

– "المشي معا في وئام، والتحدث في وئام، دعوا عقولكم تكون متفقة معًا، كآلهة قديمة كونها ذات عقل واحد قبلت حصة التضحية"[310]. يدعو النص إلى السير والعيش معًا في وئام، بل حتى يحث على التحدث بوئام، ويدعو إلى الوحدة والاتفاق، وذكر الآلهة التي قبلت حصة التضحية يدعو إلى مشاركة الممتلكات أيضًا.

وذلك لأن الفكر الهندوسي يحث الإنسان على أن جميع البشر إخوة، "لا يوجد أحد مرتفع أو منخفض بينكم، أنتم جميعا إخوة، وبالتالي، ستجتهدون جميعا معًا لتحقيق الرخاء"[311].

– "أتمنى أن تكون مشورتك مشتركة، واجتماعك موحدًا، وعقل مشترك، وأفكار هؤلاء متحدين، هناك هدف مشترك أضعه أمامك، وأعبد مع عبادتك المشتركة"[312]. يدعو النص إلى المشاركة والتوحيد في التفكير والأهداف، حتى إنه يدعو إلى ممارسة العقائد والشعائر معًا، لأنها آية أساسًا نزلت تدعو الكهنة

---

[309] سورة الحشر: 9.

[310] Rig Veda 10:191. 2.

[311] Ibid– 50: 60. 5.

[312] Ibid– 10:191. 3.

إلى الاتحاد والتعاون مع قادة وموظفي المجتمع. وفي ذلك ورد أيضًا: "فلتكن أهدافكم مشتركة، وقلوبكم من اتفاق واحد، ولتكونوا جميعًا من عقل واحد، حيث يمكنكم أن تعيشوا معًا بشكل جيد"[313].

– شارك البشر والقردة في بناء الجسر الذي خطط راما وإله البحر لبنائه حتى يعبروا البحر إلى (لانكا) المكان الذي كان يسكنه رافان[314].

– حكى بهيشم قصة القط والفأر اللذين كانا على عداوة، وعندما وقعا في الخطر قررا أن يتحدا، ليوديهيشتير وهو ينصحه بضرورة السعي إلى السلام والتعايش حتى مع الأعداء، قائلًا: عندما وقع القط والفأر في خطر تحدث الفأر قائلًا: سأتصرف اتجاهك كصديق، لا داعي للخوف، بدون مساعدتي أنت لا تستطيع الخلاص[315].

على الرغم من هذه الكلمات التي نصح بها بهيشم يوديهيشتير إلا أنه نصحه أيضًا أن يكون على حذر، وأن لا يثق ثقة عمياء في أي شخص، لأن المصالح وظروف الحياة هي التي تخلق الأعداء والأصدقاء، والإنسان مسؤول عن حماية حياته، وهذا أمر صحيح، فالإسلام يحثنا على التصرف بحذر مع الآخرين وعدم الثقة بهم ثقة عمياء، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ"[316]، فالعديد من الناس يصنعون العلاقات مع الآخرين طبقًا لمصالحهم، إذا رأى أن مصالحه تتعارض مع مصالح الآخر فإنه يتحول إلى عدو شرس، لأن المصالح الذاتية قوية جدًا، فمن يثق ثقة عمياء في الناس أو

---

[313] Ibid– 10:191. 4.

[314] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “Acros the Ocean”

[315] The Mahabharata V3, Book, 12, Section CXXXVIII.

[316] سورة البقرة: 217.

لا يثق في أحد أبدًا يتعرض للخطر دائمًا، لا يعني ذلك أنه لا يجب على الإنسان أن يثق في الآخرين، وإنما يجب عليه الحذر والحيطة، فلا يجب أن يثق ثقة عمياء في من يستحق الثقة، ولا يجب عليه الثقة فيمن لا يستحقون الثقة، والتاريخ يزخر وشاهد على قادة وعظماء لم يستطع مئات الأعداء قتلهم وجهًا لوجه، ولكنهم طعنوا في ظهورهم غدرًا وفقدوا حياتهم.

النص يبين أيضًا ضرورة الاتحاد والتشارك والتعايش وصنع السلام في وقت الخطر المشترك، يجب على الإنسان أن يتصرف بشكل مناسب للاتحاد مع الآخر ضد الآخر الذي يحاول إلحاق الضرر بهم، وفي ظل ذلك إذا اتحد المسلمون والمسيحيون والداليت ضد الإرهاب والعنف الذي يعانون منه في الهند سيشكلون قوة يواجهون بها الهندوس القوميون الذين يشكلون خطرًا عليهم.

– في تفسير الفقرة: "من خلال الخطيئة التي ارتكبها مدمرو المجتمع، تسبب ذلك في اختلاط فئات المجتمع، وستصبح الدهارما منطفئة وضائعة[317]". يشرح المهاريشي عن القوانين التي تربط وتحافظ على أجزاء المجتمع، بدءًا من الدهارما أو دارما الفرد، وهناك الدهارما العائلية وهي: الواجبات التي تربط أعضاء العائلة الواحدة بعضهم مع بعض، وإذا لم يقم كل شخص بواجبه فإن ذلك سيؤدي إلى دمار العائلة وبالتالي دمار المجتمع، أما من يحافظ على أداء واجبه سيحافظ على نفسه وعائلته وبالتالي سيحافظ على المجتمع، وأخيرًا هناك الدهارما المجتمعية التي تحافظ على توازن النظام الاجتماعي، والتي بفسادها يتحول المجتمع إلى خراب[318].

---

[317] Bhagavad Gita 1: 42.

[318] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P67-69.

من خلال هذا التفسير نرى أن الهندوسية تسعى إلى الحفاظ على المجتمع بما يحتويه من أفراد آخرين مختلفين وتدعو إلى التعايش مع الآخر وأداء حقوقه، حيث ينصح بضرورة المحافظة على الواجبات التي تم بها تكليف كل فرد وكل عائلة وكل مجتمع صغير في المجتمع الكبير، وإلا فإن عدم الحفاظ على ذلك سيؤدي إلى فوضى كبيرة، فهذا التفسير يبين ضرورة المحافظة على المجتمع لتجنب الفوضى ولضمان التعايش في سلام، فكل فرد وأسرة ومجتمع هندوسي ملزم بأداء واجبه نحو الآخر المسلم أو المسيحي ونحو مكونات المجتمع للتعايش ولضمان سلامة المجتمع.

قد يقول قائل إن دهارما هو مصطلح هندوسي يطبقه الهندوس فقط، صحيح! ولكن الإسلام والمسيحية أيضًا لديها الشيء ذاته وإن كان المسمى يختلف فقط، فالفرد والعائلة والمجتمع الإسلامي ملزم بأداء واجباته نحو الآخر ونحو جميع مكونات المجتمع حسب الشريعة الإسلامية، وكذا المجتمع المسيحي ملزم بأداء واجبه نحو الآخر ونحو مكونات المجتمع حسب شريعته لضمان التعايش معًا في سلام ووئام.

يقول راما كريشنا: "إن زيادة الأنانية هي التي تؤدي إلى زيادة الخطيئة وانخفاضها يؤدي إلى تحقيق الفضيلة"، وتابع: "الأنانية فقط هي التي تسمى في الكتب المقدسة، عقدة الروح والمادة... "[319].

[319] Sri Ramakrishna The Great Master- Ibid- P467.

يقول راما كريشنا: "إن غرور الإنسان هو المايا (الوهم) هذه الأنانية حجبت كل شيء، كل المشاكل تتوقف عندما تموت الأنا، إذا أدرك الإنسان بنعمة الله أنه ليس الفاعل، يصبح جيفان موكت (متحرر من الدنيا)، ثم لن يكون لديه ما يخشاه"[320].

2- إقرار مبدأ اللاعنف وعدم إيذاء الآخر: الإسلام هو دين انتشر بالسلام والتسامح والمحبة واحترام الآخرين، كما دعا إلى التراحم وتعزيز التعايش ونبذ العنف ونهى عن إيذاء الآخرين، ودعا إلى العفو الصفح، قال تعالى: "خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ"[321]، وقال تعالى: " إِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا"[322].

- يا رب! اجعلني موضوعًا للمحبة بين الأشخاص المستنيرين، واجعلني محبوبًا بين حكام العالم، اجعلني عزيزًا على كل من يصادف أن يراني سواءً كانوا عمالًا عاديين أو أشخاصًا نبلاء[323]. يطلب الإنسان أن يكون محبوبًا ليوثق علاقته بالناس، ولتكون علاقته قوية بالناس وحتى يستطيع التعايش معهم بحرية، والنص يبين أن الداعي يطلب أن يكون محبوبًا من جميع الناس سواءً كانوا علماء أو حكماء أو حكامًا أو حتى أشخاصًا عاديين.

---

[320] Sri Ramakrishna Kathamrita, V1, Section 4, Chapter 6, p133.

[321] سورة الأعراف: 199.

[322] سورة النساء: 90.

[323] Atharva Veda 19: 62: 1.

– يقول راما وهو يحاول تهدئة لكشمان الذي أصر على قتل أخيه بهارات لاعتقاده أنه جاء لقتلهم: ما حاجتنا لقتال بهارات ورفع السيوف والدروع، لقد أقسمت أن أفعل ما أمرني به والدي، وإن قتلت أخي الآن فما فائدة كل ما فعلت، وما فائدة الملك إذا كنت سأكون محتقرًا من البشرية جمعاء[324].

هكذا تحدث راما الذي كان هدفه التمسك والقيام بواجبه وإحقاق الحق، ومنع العنف، وحقن الدماء، وإحقاق السلام، وهو البطل القوي الذي لم يكن يجاريه أحد بالقوة، إلا أنه اختار أن يعيش في الغابة حياة النساك على أن يحارب ويقتل أخاه، لأنه لم يرَ من أخيه ما يدل على قلة احترام ومحبة أو ما يدل على أنه يطمع في الحكم. يوضح النص ضرورة الابتعاد عن العنف وحقن الدماء بكل الطرق وعدم إيذاء الآخرين، والتأني والصبر وعدم إطلاق أحكام مسبقة على أحد بأي شكل من الأشكال، كما تفعل الهندوسية القومية اليوم من خلال اضطهاد المسلمين متهيمينهم بأنهم خونة يخططون مع باكستان لخيانة الهند؛ لأنهم يسعون إلى إعادة الحكم الإسلامي في الهند، وكما يحدث مع المسيحيين من اضطهاد متهيمينهم بأنه يحولون الهندوس قسرًا إلى المسيحية.

– نصح راما سوغريف عند توليه الحكم قائلًا: حتى إذا كان الشخص الذي أمامك عدوًا لك، لا يجب عليك معاملته بقسوة وصرامة، فلا تؤذِ مشاعره، ولا تجرح مشاعره، وإن كان شخصًا بسيطًا وفقيرًا[325]. يوضح النص ضرورة التحلي بالأخلاق الإنسانية ومعاملة الآخرين معاملة حسنة، وإن كان الآخر عدوًا، فلا يجب معاملته بقسوة، وإن كان العدو شخصًا فقيرًا، وقد خص الفقير بالذكر لأن القوي وإن

---

[324] Ramayan of Valmiki, Book 2, Canto 98: Lakshman Calmed, p207-208.

[325] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “When the Rains Cease”.

كان عدوًا تكون له هيبته وعظمته التي يخشى منها الإنسان، أما الفقير الضعيف، فليس هناك ما يستند إليه ليحقق العدالة لنفسه أو يحمي نفسه بها.

– نصح بهيشم يوديهيشتير بتجنب كل من: الشخص الذي لا يشفق على الآخرين، والذي يحقد ويتألم من سعادة الآخرين، ويسعد بمعاناتهم، والذي يؤذي الآخرين، والذي يشارك في إزهاق أرواح الكائنات الحية[326]. على الرغم من أن النص بأكمله يحث نوعًا ما على الغدر والخداع، إلا أنه يحث أيضًا أن الإنسان يجب أن يتصف بالرحمة ويجب ألا يمارس الوحشية والعنف حتى مع أعدائه وأثناء الحرب، لأن النص ورد في تقديم نصائح حربية، فالأولى إذا ألا يتم ممارسة الوحشية والعنف أثناء السلم ومع الضعفاء والفقراء.

إلا أن الوحشية والعنف والتمثيل بالجثث وتعذيب النساء وأطفال المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الطبقات الضعيفة في الهند اليوم تتجاوز خيال الإنسان، حتى إن اللسان ليعجز عن وصف تلك الوحشية والعنف.

– في تفسير قول أرجون: إذا كانت المعرفة أهم من العمل، يا **جناردان**، إذًا لماذا تقحمني في هذه الحرب الفظيعة؟ يا كيشاف"[327]، يقول المهاريشي: لقد أدرك أرجون حق الإدراك ما تحدث به كريشنا حول المعرفة، ولكنه يسأل تأكيدًا على فهمه لكلامه عندما قال: "إذًا"، فتصرف الإنسان متحررًا من الشعور بالأنانية يحميه من الوقوع في الخطيئة [328].

---

[326] The Mahabharata V3, Book, 12, Section CLXVIII.

[327] Bhagavad Gita 3:1.

[328] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P178- 180.

أدرك أرجون مغزى حديث كريشنا وأدرك أنه يجب عليه القتال لأداء واجبه ولحماية الآخرين ولتحقيق العدالة، وأنه بفعله ذلك لن يرتكب أي ذنب كما كان يشعر، ولكن من شدة نفوره من القتل اعتبره عملًا فظيعًا، وإن لم يكن سيرتكب الخطيئة بسبب ذلك، ولذلك أراد معرفة ما يجنبه الوقوع في هذا العمل الفظيع في الحرب، من خلال معرفة العلاقة بين العمل وواجبه (دهارما)، حيث إن النصوص السابقة بينت أن المعيار الأفضل للحكم على عمل ما يكون من خلال معرفة واجب ودور كل فرد في الحياة، وقد فهم أرجون ذلك جيدًا، ولهذا سأل ما إذا كان يستطيع اتخاذ القرار بشأن عدم القتال؛ لأنه لم يكن يريد ارتكاب هذا العمل الفظيع الذي يدفعه إلى قتل البشر الآخرين. حتى مع شرح كريشنا الطويل أراد أرجون البحث عن سبيل يسمح له بعدم القتال؛ لأنه لم يكن يريد أن يقتل الناس، حيث أراد الابتعاد عن كل ما يقوده إلى العنف والقتال وإيذاء الآخرين.

– يقول أرجون: أرى نذير شؤم يا كيشاف، ولا أرى أي فائدة ومنفعة من قتل أقربائي في الحرب[329]"، يرى أرجون أن القتل والدمار حتى وإن كان من أجل الحق لا فائدة منه، وأنه لا يؤدي إلا إلى الدمار والبؤس متصورًا الدمار والالآم والحزن الذي ستخلفه الحرب مستقبلًا بعد انتهائها، فهو على الرغم من أنه يقاتل من أجل الحق والعدالة إلا أنه بعد القتال لن يشعر بالراحة والحرية، وكذلك الهندوس الذين يمارسون العنف ضد الآخرين، هل يشعرون بالحرية والراحة والإنجاز بعد ممارستهم لكل ذلك العنف وتخليف ذلك الدمار الهائل؟ فأي راحة وانتصار شعروا به بعد تنفيذ **مجزرة غوجرات ومجزرة نيلي** ضد

[329] Bhagavad Gita 1: 31.

المسلمين، **ومجزرة أوريسا** ضد المسيحيين، والمجازر والقتل ضد الداليت، وغيرها الكثير من تاريخ العنف الهندوسي الطويل؟

ولذلك كل عمل يجب أن يكون كما قال كريشنا: يجب فهم العمل، ويجب فهم العمل الخاطئ أيضًا، وكذلك عدم العمل[330]، يفسر المهاريشي "العمل الخاطئ" هنا يتضمن: الأعمال التي تؤذي صاحبها، الأعمال التي محكوم عليها بالفشل، الأعمال التي تعيق التطور، الأعمال التي تقيد الإنسان بدورات الحياة، الأعمال التي ينتج عنها تأثيرات ضارة على البيئة والمجتمع والآخرين، الأعمال التي هي ضد قوانين الطبيعة... إلخ، وكل ذلك ينتج عنها عدم معرفة الإنسان بالدهارما الخاصة به[331].

أعمال العنف التي ترتكب في حق المسلمين والمسيحيين والداليت من قبل الهندوس تتضمن كل هذا، من حيث الضرر بالنفس أن الهندوسي المرتكب لهذه الأعمال هو الآخر معرض للقتل والإصابات، وبالمثل عائلته وماله وعرضه معرضين للخطر، ومن حيث كونها أعمالًا محكومًا عليها بالفشل، فلا يمكن إنشاء أمة وبلد على دماء وصرخات ألم ودموع الآخرين، وإن نجح الأمر فمن المحال له أن يستمر، ومن حيث كونها أعمالًا تعيق التطور، فإن أعمال العنف بدلًا من أن تكون أمة تقود البلاد إلى التطور فإنها تقودها إلى الانحطاط والسقوط من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأمنية، أما من حيث كونها تلحق الضرر بالبيئة فلا شك أنها تدمر البيئة وتدمر البيوت والأسواق وتحرق الغابات، كما تهدم الآثار الحضارية كتدمير المسجد البابري، ثم المطالبة بإقامة الصلاة في

---

[330] Bhagavad Gita 4: 17.

[331] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P275

تاج محل لكونه معبدًا هندوسيًا، وتلحق الضرر بالآخرين من حيث قتل الآخرين وإصابتهم وتشريدهم من البيوت وتهجيرهم واغتصاب النساء، كل ذلك يؤدي إلى إلحاق أضرار جسدية ونفسية بالآخرين، ولا ينتج هذا الفعل إلا لأن الهندوسي لا يعرف حقيقة وسبب وجوده في الكون ولا يعرف هدفه في الحياة.

– يقول منو: ينال المرء الدرجات العليا في الحياة إذا امتنع عن إيذاء المخلوقات الأخرى... ومن لا ينظر إلى نفع صديق، أو ضرر عدو، وينظر إلى الخلق بأكمله بعين واحدة... ينال النجاة الأبدية[332]. ويؤكد على ذلك قوله أيضا: من يتصرف بلطف وصبر، ولا يعاشر الطغاة، ولا يؤذي المخلوقات، ويضبط نفسه، ويتصدق بماله، سينال النعيم[333].

– يقول منو: إن من يؤذي الحيوانات لأجل المتعة والراحة النفسية، لن ينال الراحة لا في الحياة الدنيا ولا الآخرة... [334].

إذا كان قتل الحيوانات ذنب عظيم بحيث تمنع راحة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة، وبحيث توصي الهندوسية بتجنب تناول اللحم؛ لأن في قتلها أذية للحيوان، وهي مخلوقات أدنى من الإنسان فالأولى أن قتل وإيذاء الإنسان سيكون أعظم وعذابه أقسى، وبالمقابل الإنسان الذي يتجنب قتل الحيوانات سينال أجرًا عظيمًا، فالأولى أن الإنسان الرحيم بالإنسان الرحيم سينال نعيمًا أكبر ومنزلة أسمى.

---

[332] منو سمريتي 6: 75، 79.

[333] المرجع نفسه 4: 246.

[334] المرجع نفسه 5: 45– 48.

وذلك يوافق وصية الرسول ﷺ بالإحسان ورحمة الحيوان عند ذبحه حيث قال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرِحْ ذبيحته"[335].

– كما تنص الهندوسية على ضرورة معاقبة من يعتدي على الآخرين ويسبب الأذى والضرر لهم، يقول منو: الملك الذي يريد الحصول على تاج إندر والشهرة الأبدية يجب عليه ألا يهمل أبدًا عقاب مرتكبي أجرام الشدة والجبر، إن مرتكب أجرام الشدة والجبر، يعدّ مجرمًا كبيرًا وشريرًا أشد من اللصوص[336].

ينص قانون منو على أن الشخص الذي يرتكب جرائم النهب والسلب والسرقة، ومن خلال ذلك ينشر الرعب والعنف في المجتمع تجب معاقبته، وإن كان ذلك الشخص قريبًا أو صديقًا، بل حتى وإن كان براهمانيًا، وهذا برهان على عظمة هذا الذنب بحيث لم يُعفَ منه البراهماني على الرغم من أنه لا يعاقب على أي ذنب ارتكبه، أو يعاقب بعقوبات خفيفة، ولكن في ارتكابه مثل هذا الذنب الذي يستولي فيه على ممتلكات وحقوق الآخرين وينشر الخوف والرعب بينهم يقتل حتى البراهماني، ومن يقتل مرتكب هذا الذنب لا يعاقب ولا يعد أنه ارتكب ذنبًا.

وهناك نقطة مهمة أخرى في هذا النص حيث دعا إلى ضرورة حمل السلاح دفاعًا عن الدين، وعندما يتم سلب الحرية الدينية لطائفة ما أو يتم تهديد دينهم يحق لهم رفع السلاح دفاعًا عن دينهم، وعلى

---

[335] صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم (1955).

[336] منو سمريتي 8: 344– 351.

الرغم من أن النص اقتصر أمر حمل السلاح فيه على البراهمة والكشتريا والفايشي، إلا أنه سمح بحمل السلاح لمن حرموا من حمل السلاح، ويمكن من خلال ذلك الدلالة على أن المسلمين والمسيحيين يمكنهم حمل السلاح عندما يتم تهديد دينهم دفاعًا عنه، لأن الإسلام والمسيحية ليسا مكونينِ من نسيج النظام الاجتماعي الهندوسي، ولن يتم مقارنتهما أبدًا بطبقات المجتمع الهندوسي.

بالإضافة إلى أن عدم السماح للطبقات الدنيا بحمل السلاح دلالة على أن أصحاب الطبقات العليا لا يريدون منح الطبقات الدنيا فرصة لحمل السلاح، حتى لا يثوروا على النظام الذي يعمل على استغلالهم وتذليلهم.

– يقول غاندي في رسالته إلى محمد علي جناح: "إنني أؤمن أنه في الوحدة بين الأعراق وإزالة النبذ وتطبيق اللاعنف في الفكر والقول والفعل في أساليبنا هو الضوء والشمس بالنسبة لنا"[337].

– يقول غاندي: يعتمد جوهر الثقافة القديمة على ممارسة أقصى درجات اللاعنف، شعارها هو خير الجميع بما في ذلك كل كائن حي [338].

يشير غاندي إلى مثل الثقافة الغربية الزائفة التي ينظر إليها على أنها المثل الأعلى، ولا يرفض غاندي الثقافة الغربية بشكل عام طبقًا لفلسفته التي تسعى إلى تقبل الجميع، لذا فهو يسعى إلى الأخذ من الثقافة الغربية مع الحفاظ على الثقافة الهندوسية التي يجب الدفاع عنها بأي ثمن، لأن الثقافة

---

[337] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V27, 12\1\1924, 21\5\1924, P13

[338] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 27, P54– 55.

الهندية هي التي يقوم عليها اللاعنف، في حين أن مثل الثقافة الغربية لا تتوانى عن استعمال العنف لتحقيق مقاصدها.

3- الابتعاد عن الغضب والحقد: الغضب عدو العقل، فهو منسي الحرمات، ومدفن الحسنات، ومخلق الجنايات، ولهذا نهى الإسلام عن الغضب، روى أبو هريرة _رضي الله عنه_ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: "أوصني"، قال: "لا تغضب" فرد مرارًا قال: "لا تغضب"[339]، وقال ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[340]، ولذلك كان أجر ذلك كبيرًا عند الله _سبحانه وتعالى_، يقول تعالى: "وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[341].

كما نهى الإسلام عن الحقد الذي يعد آفة خطيرة، وسببًا رئيسيًا في المآسي والصراعات بين البشر، والحقد سببٌ في البغضاء والعداوة وسوء الظن والانتقام، كما يعد سببًا رئيسيًا في خلق الغضب وعدم القدرة على كتمه، كما يثمر الحقدُ الحسدَ، ولذا فهو يجمع بين أطراف الشر، والحاقد به شبه من الكفار الذين قال عنهم الله تعالى: "إِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الحقد والعداوة حيث قال: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا

---

[339] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (6116).

[340] متفق عليه.

[341] سورة آل عمران(134- 135).

عباد الله إخوانا"[342]، ولا محل للحقد في صدر المسلم، ويجب عليه أن يدعو الله دائمًا بأن يحمي قلبه من الحقد، لأن عقاب ذلك شديد.

والهندوسية ديانة تحث على المحبة والترابط والبعد عن الحقد والبغض، كما تدعو إلى ضرورة الابتعاد عن الغضب.

– وفي ذلك نصيحة راما لأخيه لكشمان حتى لا يتصرف بعنف وهو يرسله إلى سوغريف الذي اعتقد أنه أخلف وعده، قائلًا: لا تتصرف بعنف وغضب وتحدث برفق، واشرح الموقف بحزم ووضوح، وإذا لم يتقبل ما قلته له فلا تتصرف بعنف وتفقد صبرك، وأنصت باهتمام إلى ما يقول، وأخبرني بجوابه[343].

نصح راما أخيه بهذه النصيحة لأنه كان معروفًا بأنه يفقد صبره سريعًا، ولذلك طلب منه التأني والصبر والاستماع بالعناية، ودراسة الوضع جيدًا ثم اتخاذ القرار، على أن يكون ذلك القرار هو إخبار راما بالوضع أي حتى بعد كل ذلك يجب عليه ألا يتصرف وحده ويعاقب الآخرين، وإن كانوا فعلًا خانوا العهد الذي قطعوه.

– جلست دروبتي ذات يوم تنصح زوجها يوديهيشتير في الغابة بعد نفيهم من البلاد: هل هناك رجل من الكشتريا لا يشعر بالغضب، ولكن ما أراه منك هو الجمود والهدوء، وإذا كنت تريد أن تفكر في

---

[342] متفق عليه.

[343] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “When the Rains Cease”.

المغفرة، فيجب أن تعلم أنه لا يمكن منح المغفرة للشيطان، وخذ عبرة ذلك من قصة برادهال وحفيده بالي، فقد سأل بالي جده ذات يوم: هل الصفح أفضل وأعلى من العقاب؟"[344].

كان بهيم يستمع إلى الحديث الدائر بين زوجته وأخاه الأكبر، وقد ضاق ذرعًا من المنطق اللاعقلاني الذي تمسك به أخيه الأكبر، فهو لا يستطيع تقدير أسباب ذلك، ولا يستطيع تقدير الأسباب التي دفعتهم إلى العيش في المنفى، ونزع ملكهم ومجدهم، فما ذلك إلا سرقة واغتصاب لمملكتهم، فما جدوى الوفاء بعهد لا يعد إلا عبارة خالية بلا قيمة؟ وما قيمة الواجب (دهارما) إن لم تمنح الفرح والسعادة وتؤدي إلى الشقاء والذل؟ إذًا أليس سبيل القتال والحيلة أضمن وأفضل، وإن كان يتطلب التجرد من بعض القيم والأخلاق؟ وقد طلب من أخيه أن يترك هذا الكلمات المضللة، ويحمل سلاحه ليستعيدوا ملكهم المغصوب. إلا أن يوديهيشتير رفض ذلك وطلب من أهله التحلي بالصبر والفضيلة والتروي[345].

يشير حديث دروبتي إلى ضرورة معاملة الآخرين بالمثل، فمن يعاملك باللين يجب عليك معاملته باللين ومن يعاملك بالقسوة يجب عليك معاملته بالقسوة، بينما رأى يوديهيشتير أن الغضب والانتقام ليسا شيئًا محببًا، وعلى الإنسان أن يتصف بالرحمة والصبر والإحسان، إذ أن عليه تجريب النصيحة والمعاملة الحسنة مع الآخر عن طريق العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة قبل التوجه إلى استعمال السلاح، فسعي جميع الكائنات الحية في الكون هو نحو السلام والأمن، وحتى بعد ذلك لم ينكر يوديهيشتير ضرورة استعمال السلاح عند نفاذ جميع الاختيارات مع الطغاة لتحقيق الحق والسلام. في

---

[344] The Mahabharata, V 1, Book 3, Section XXVIII, Section XXIX, XXX.

[345] The Mahabharata, V 1, Book 3, Section XXXIII, XXXVI.

حين أن بهيم وافق على حديث زوجته وشدد على ضرورة اللجوء إلى القوة ليستردوا ملكهم، إلا أن يوديهيشتير رفض مرة أخرى الاستماع إلى كلماتهم ورأى أن العنف لن يؤدي إلا إلى الكراهية وإلى الدمار، ولذلك طلب من زوجته وإخوته التحلي بالصبر.

– قول كريشنا: أولئك الذين يؤدون جميع واجباتهم من أجلي، والذين يعتمدون علي ومكرسون لي، والذين هم أحرار من التعلق، ولا يحقدون على شيء من الكائنات الحية، هؤلاء المصلون يأتون إلى بالتأكيد"[346]، فسرها المفسرون: فمن يمتلئ قلبه بالحقد والخبث، لن يكون مخلصًا للإله، وبالتالي العابدون المخلصون لا يحقدون على أحد، حتى وإن قام أحد بإيذائهم فإنهم لا يحقدون عليهم، لأنهم يؤمنون أن الإله موجود في جميع الكائنات، ولهذا يغفرون للجميع[347]، أي أنه يجب عليه أن يكون متحرر من جميع مشاعر العداوة ضد الآخر[348]. التفسير السابق يشرح أن المؤمن الحقيقي في الهندوسية هو الذي يعبد الإله بإخلاص، ولا يحمل الحقد في قلبه اتجاه الآخر، وإن كان الآخر أخطأ في حقه، فلا يجب عليه أن يضمر الحقد في قلبه اتجاه أحد، ويجب أن يغفر لكل من أخطأ في حقه، فالرحمة واللاعنف والإحسان والمحبة من أعظم أخلاق الهندوسي.

---

[346] Bhagavad Gita 11: 55

[347] Bhagavad Gita, 11: 55.

[348] شرى مد بهگود گيتا: يتارتھ گيتا، ص293.

– يصف يوديهيشتير الدمار الذي لحقهم بعد الحرب لأرجون قائلًا: نحن نعتبر سبب الدمار الذي اجتاح العالم، ومع ذلك، فإن الخطأ يمكن أن يقع على أبناء دريتراشتهر، كان قلب دريودهن مليئًا بالحقد والكراهية والغضب[349].

يشرح يوديهشتير كيف أن كراهية دريودهن وعداوته وحقده كانت السبب في إلحاق الدمار بالمجتمع، مع أنه هو وإخوته تغاضوا عن أخطائه، وعفَوا عنه في كل مرة أخطأ فيها في حقهم، حتى تجرأ على إهانة زوجتهم، وحتى بعد ذلك لم يرد الصلح وأراد أن يقاتلهم ما تسبب بذلك الدمار، وفي النهاية جميعهم خسروا، فلم يستطع دريودهن وإخوته الانتصار ولم يستمتعوا بما معهم من مال وجاه، كما أن الباندو أيضًا على الرغم من انتصارهم إلا أنهم خسروا أقاربهم وعائلاتهم وخسروا أبناءهم وسببوا بدمار المجتمع، فنار كراهية دريودهن وحقده أحرق الجميع.

كما يوضح النص أن الإنسان صاحب المنصب عليه أن يؤدي مسؤوليته وواجبه بشكل كامل، ويجب ألا ينحاز لشخص على حساب الآخرين، وإن كان ذلك الشخص هو أحد أقربائه، فالأساس هو تحقيق العدالة، بالإضافة إلى بيان ضرورة الاستماع إلى أصحاب الشورى وأصحاب العقول الراجحة عندما يقدمون النصيحة بدلًا من المنافقين الذين يسعون إلى نشر الفساد.

---

[349] The Mahabharata, V 3, Book 12, Section 1– VII.

– أجاب بهيشم عندما سأله يوديهيشتير عن كيفية التصرف إذا أساء إليه أحد: إذا تعرض شخص للإساءة فعليه كتم غيظه، ويجب ألا يستسلم لغضبه، على الرجل الذكي تجاهل من أساء إليه، ويقال إن من يستسلم للكراهية يعيش عبثًا، لا ينبغي للشخص حتى أن يتحدث مع مثل هذا الشخص[350].

الإنسان الحكيم والعاقل هو الشخص الذي يسيطر على غضبه ولا يسيء إلى من أساء إليه ويعفو عنهم، وهو أمر أمرنا الإسلام به يقول تعالى: "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ"[351]، كما أن بعض الأشخاص لا ينبغي الحديث معهم لأنهم يسعون فقط إلى الجدال الذي لا فائدة منه والذي يؤدي إلى النزاع فقط، يقول الله تعالى: "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"، أي "إذا خاطبوهم بسفاهة وسوء أدب لم يقابلوهم بالمثل"[352].

– وفي ذلك يقول كريشنا أيضًا مجيبًا على أرجون عندما سأله عن سبب وقوع الإنسان في الخطيئة، قائلًا: "الرغبة، والغضب... إنها الأكثر شرًا، واعلم أنها عدو الإنسان على الأرض"[353]، في تفسير ذلك يقول المهاريشي: نفس الإنسان تخلق له الرغبات، وحينما تصدم هذه الرغبات بالحقيقة أو تجد أنها لا يمكن أن تتحقق فإنها تولد الغضب في نفس وعقل الإنسان، والغضب يعمي الإنسان عن إدراك

---

[350] The Mahabharata, V3, Book 12, Section CXIV.

[351] سورة آل عمران: 134.

[352] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج6، ط4، 1997م، ص93.

[353] Bhagavad Gita, 3:37.

الحقيقة، وتعميه، ولذلك سماه كريشنا "العدو"، فالغضب هي الدوامة التي تهدد التدفق السلس لكل شيء، وهو مثل النار التي تحرق كل شيء، وهو الشر الأكبر الذي يشوه حقيقة الحياة وغاية الخلق[354].

– وفي ذلك أيضًا في تفسير قول كريشنا: من الغضب يأتي الضلال، والضلال يؤدي إلى تشتيت الفكر والذاكرة، والفكر المشتت يعرض صاحبة للهلاك[355]، يقول المهاريشي: الغضب يجعل الإنسان يفقد القدرة على التمييز والتفكير والبصيرة الصحيحة للقيم والأخلاق، حيث يشعر الفرد الغاضب وكأنه منقطع عن الحياة والتفكير والحكمة، وأنه فاقد للسيطرة، وبالتالي تؤدي بالإنسان إلى ارتكاب الكوارث[356].

الفكر والعقل هو الطريق السليم الذي يقود الإنسان، فطالما أن الإنسان سليم التفكير يدل ذلك على وجود أمل للتقدم والتطور، أما عندما يفقد الإنسان القدرة على التفكير السليم فإن ذلك سيؤدي إلى هلاك الإنسان لنفسه ولغيره.

– ينصح منو الإنسان الذي قرر أن يعيش حياة التنسك أنه يجب عليه: "تجنب الغضب، ومباركة من يسبه ويشتمه، وألا يتبع الأبواب السبعة _الحواس الخمسة، والعقل، والإنية_ التي تقود إلى الشهوات، وعليه الانصراف إلى ذكر الإله، وتجنب الكذب"[357]. يوضح النص السابق أن الإنسان الذي يقرر التنسك عليه التخلي عن الغضب، إلى درجة أنه يجب عليه الإحسان إلى من يؤذيه، كما أن عليه

---

[354] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P236-237.

[355] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P164.

[356] Bhagavad Gita, 2:63.

[357] منو سمريتي 6: 48.

تجنب الأبواب السبعة، وهي كما ذكرها منو الحواس الخمس، أي تجنب شهوات الجسد، والعقل، لأن العقل يفكر بالمنطق ويبحث عن المنطق في كل شيء، أما الناسك فيجب عليه تربية نفسه وأن يفكر بقلبه بدلًا من عقله، والإنية، أي محاولة إثبات الذات وتميزه، لأن هذه الأشياء تقود إلى تتبع شهوات النفس.

يقول راما كريشنا: الغضب هو أخطر خطيئة تستحق الشجب، هل يجب أن يكون المرء تحت تعويذته؟ غضب الرجل الصالح يشبه علامة على الماء، والتي تختفي بمجرد ظهورها، لا يجب أن تلفت إلى حديث الرجال الحمقى، إذا كان الإنسان سيلتفت إلى كلامهم سيقضي حياته كلها بهذه الطريقة، فكر في الخطأ العظيم الذي سترتكبه تحت تأثير الغضب[358].

المطلب الثاني: قيم الإحسان وإنصاف الآخر:

1- إقرار الرحمة والإحسان: الرحمة بكل شيء، والإحسان إلى كل شيء من أخلاق الإسلام، ولذلك يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"[359]، وقال تعالى: "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[360]، والرحمة والإحسان من خلق الأنبياء عليهم السلام، كما أن الرحمة صفة خص الله بها نفسه، حيث

[358] Sri Ramakrishna The Great Master, P778.

[359] سورة النحل: 90.

[360] سورة البقرة: 195.

قال: " كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ"[361]، وقال تعالى: " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"[362]، وهو الرحمن الذي أرسل النبي ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[363].

وقال النبي ﷺ: "الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السَّماء"[364]، يقول شمس الدين السفيري _رحمه الله_: " فندب ﷺ إلى الرَّحْمَة، والعطف على جميع الخلق من جميع الحيوانات، على اختلاف أنواعها في غير حديث، وأشرفها الآدمي، وإذا كان كافرًا، فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذَّليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك، فأقرب النَّاس من رحمة الله أرحمهم بخلقه، فمن كثرت منه الشفقة على خلقه، والرَّحْمَة على عباده، رحمه الله برحمته، وأدخله دار كرامته، ووقاه عذاب قبره، وهول موقفه، وأظله بظله إذ كل ذلك من رحمته"[365]. وقال النبي ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"[366].

---

[361] سورة الأنعام: 54.

[362] سورة الأعراف: 156.

[363] سورة الأنبياء: 107.

[364] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم (1924).

[365] السفيري، شمس الدين، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، 2004م، ص50-51.

[366] صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم (1955).

والهندوسية كونها معتقدًا يدعو الإنسان إلى التزهد وعدم إيذاء الكائنات الحية واللاعنف، فهي ديانة تدعو إلى التراحم والإحسان إلى الآخر؛ بل وإلى جميع الكائنات الحية، والنصوص التي تدل على ذلك كثيرة:

– تحدى رافان راما في القتال ووافق راما على قتاله، حتى تحطمت عربة رافان وقتلت جياده، وهنا أظهر راما خُلقه قائلًا لرافان: لن أهجم عليك طالما أنك لن تقاتل، ويبدوا أنك تعبت انصرف الآن فأنا سأبقي على حياتك الآن ولن أقتلك[367]. وفي موقف آخر بعد معركة طاحنة بين راما ورافان أصيب رافان بشدة وفقد وعيه، فاقترح **متالي** على راما: أن هذه اللحظة المناسبة للقضاء على الشيطان رافان؛ لأنه فاقد وعيَه، فأجابه راما وهو ينحي قوسه جانبًا: ليس من العدل أن أهاجهم شخصًا فاقدًا وعيَه حتى وإن كنا في حرب، سأنتظر حتى يعود إلى وعيه[368].

من حسن خلق ورحمة راما أنه لم يرض أن يقاتل رافان الذي كان قد وصل إلى حال لم يكن يستطيع القتال فيه، مع العداوة التي كانت بينهما ومع الضرر الذي لحق راما من رافان بعد أن خطف زوجته سيتا، إلا أنه لم يرض أن يقتله وهو في حال لا يقوى فيها على القتال، لأنه لم يكن من العدل أن يهاجم شخصًا ضعيفًا لا يقوى على القتال، وهنا دلالة على أن العدالة والرحمة تقتضي عدم محاربة وقتل ومهاجمة من لا يقوى على القتال كالأطفال والشيوخ والنساء والأعزل والخائف ومن يهرب، إلا أن أعمال العنف المغلفة بالكراهية التي نراها اليوم في الهند لا تستهدف فقط الرجال الذي يستطيعون

---

[367] الرامايانا الهندية: ملحمة الإله راما، ص53. والميكى رامائن، ص799–800.

[368] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “Rama and Ravana in Battel”.

القتال، وإنما تهدف جميع فئات المجتمع ولا يكون ذلك بالقتل فقط، وإنما يكون بأقسى الطرق حيث يتم تعذيب البعض بطرق وحشية جدًا.

– أخبر بهيشم أبناء باندو عندما ذهبوا إلى مقابلته أثناء الحرب، وذلك بعد أن عجزوا عن قتله: ولكنكم تعلمون أيضًا أنني لا أهاجم من كان أعزل، أو راكب عربة بلا علم، ولا أقاتل الجبناء، ولا أقاتل المرأة، وفي صفك امرأة تدعى شيكنديني كانت هي أمبا في حياتها السابقة، فليضع أرجون في مقدمة عربته شيكنديني وأنا لن أرفع السلاح أو أهاجمها؛ لأنها امرأة[369].

من عدالة ورحمة بهيشم الذي لم يكن أحد يقوى على قتله أنه لم يكن يرفع سلاحه على كل من لا يستطيع قتاله، الأمر الذي ساهم في قتله، وذلك بعد أن تم وضع امرأة في مقدمة الجيش حيث لم يكن بمقدوره قتلها، مما أتاح الفرصة لأرجون للهجوم عليه وقتله.

– عندما تواجه بهيم ودريودهن وانتصر بهيم، وأصبح يكيل الضربات لدريودهن ويهينه، لم يتحمل يوديهيشتير ذلك المنظر ونهى أخاه عن فعل ذلك قائلًا: أليس هو قريبنا وابن عمنا؟ [370].

على الرغم من كل ما عاناه يوديهيشتير وأخوته ووالدتهم وزوجتهم وجنوده من دريودهن إلا أن الرحمة لم تفارق قلبه، وظل حتى آخر لحظة يعطف على عدوه الذي كان سبب فقده لأفراد عائلته وجنوده، وسببًا في الدمار الذي لحق البلاد، حيث نهى أخاه عن معاملته بذلك العنف وإن كان عدوهم، وكان

---

[369] Narasimhan, Chakravarthi V, The Mahabharata P115. .223, مهابهارات سمپورن اثهارهِ پرو

[370] The Mahabharata V 3, Book 9, LV, LIX .173 مهابهارات سمپورن اثهارهِ پرو، ص

ذلك هو شعور بلرام الأخ الأكبر لكريشنا، في حين أن كريشنا رأى الأمر من ناحية أنه وفاءٌ للعهد الذي قطعه بهيم، أي أنه رأى أنها العدالة التي يجب أن تتحقق.

– عندما أطلق أشوتهاما سلاحه (البراهماشستر) أثناء نزاله مع أرجون رفض أن يعيده إلى مكانه... فأجابه كريشنا متوعدًا: إن سلاحك الفتاك سيقتل الأجنة في أرحام النساء، وسيقتل جنين أوترا كما تشاء، ولكن إذا لم تتوقف عن قتل الأطفال فإنك ستمضي ثلاثة آلاف عام في التيه على الأرض، هائمًا على وجهك وحيدًا ودون صديق، وسيكون جسمك نجسًا مصابًا بالقيح والدم، ولن يكون لك ملجأ إلا الغابات والجبال، وستصاب دائمًا وأنت في ذلك التيه ما يصاب به البشر من أمراض وأوبئة، وذلك هو عقاب أفعالك[371].

يوضح النص السابق عظمة ذنب اللجوء إلى العنف وقتل الأبرياء وخاصة النساء والأطفال، فالعقاب الذي قرره كريشنا لمن وصف بقاتل الأطفال أشوتهاما لم يكن عقابًا بسيطًا.

– يقول منو: يجب على الملك ألا يستعمل في الحرب سلاحًا غلف بخشب، أو سلاحًا معقوفًا، أو سلاحًا مسمومًا[372].

المقصود من النص السابق أن يكون القتل سريعًا دون أن يسبب الألم للآخر، فالسلاح المغلف هو عندما يقوم أحدهم بإخفاء سلاح حاد في عصا، ويوهم خصمه أنه سيقاتله بالخشب ثم يفاجئه بالسلاح الحاد، وعندما يضطر الإنسان إلى قتل الإنسان الآخر، يجب عليه فعل ذلك بطريقة لا تسبب له الكثير

---

[371] Narasimhan, Chakravarthi V, The Mahabharata, p184–185. .313 مهابهارات سمپورن اثهارهِ پرو– ص

[372] منو سمريتي 7: 90– 93.

من الألم، كما لا يجب على الإنسان قتل من يرفض القتال، ومن يفر هاربًا، ومن يستسلم، ومن يكون خائفًا، ومن يقول أنا صديق لك، والنائم، والمجروح، والأعزل، ويجب على المقاتل تذكر واجبه دائمًا في أن يتجنب قتل الضعفاء، كل ذلك أثناء الحرب عندما تكون العداوة معروفة والحرب قائمة، فالأولى أن لا يتم قتل من يجلس في بيته دون علم بما يحدث لمجرد أنه ينتمي إلى دين أو طائفة مختلفة.

وهذا ما يؤكد عليه أخلاق الإسلام، يقول الرسول ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن"[373]، فكل من امتنع عن القتال وكان أعزل لا يجوز قتله، وكذلك قوله ﷺ: "انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"[374].

ويؤكد على النص السابق أيضًا نصيحة بهيشم ليوديهيشتير عن ما يعين على عدم إلحاق الأذى بالآخرين، قائلًا: أولئك الناس الذين ابتعدوا عن الغضب وحرروا أنفسهم عن الرغبات الدنيوية، ويتصفون بالصدق، ويمتنعون عن الإثم،... حتى المحارب لا يجب عليه ضرب وإيذاء الشخص الباكي والخائف والأعزل وغير المستعد للقتال أو المريض... [375].

وما يمنع الإنسان عن إيذاء الآخرين هو الابتعاد عن الغضب، والتحرر من الرغبات الدنيوية وخاصة الجشع والطمع، والتحلي بالصدق، والابتعاد عن إيذاء الآخرين، حتى إن المحارب يجب عليه ألا يؤذي

---

[373] صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، حديث رقم (1780).

[374] السنن الكبرى للبيهقي، مج9، باب قتل من لا قتال فيه من الكفار جائز وإن كان الاشتغال بغيره أولى، حديث رقم (18153).

[375] The Mahabharata V3, Book 12, Section CCXCVIII and CCXCIX.

الإنسان الخائف والأعزل والمريض، أي كل من لا يستطيع القتال، ولا يجب على الإنسان أن يسعى إلى تحقيق أهدافه من خلال إزهاق أرواح الآخرين، وما يعين على ذلك هو النظر إلى جميع المخلوقات نظرة مساواة ورحمة ومحبة وعطف، وتقديم المعونة لهم عند الحاجة، والتقليل من أحزانهم وآلامهم، ومن يفعل ذلك سيكون الفلاح نصيبه في الدنيا والآخرة، فعندما يقرر الإنسان أنه لن يؤذي الآخرين ويلتزم بمبدأ اللاعنف سيحقق الفلاح، ومن لا يؤذي الآخرين، لن يقوم الآخرون بإيذائه.

– عندما تخلى أبناء باندو عن الحكم وذهبوا للتنسك، وأثناء صعودهم على الجبل سقط كل واحد منهم بحسب ما ارتكب من ذنب عدا يوديهيشتير، حتى جاء إليه الإله إندرا ودعاه إلى ركوب العربة والذهاب معه إلى الجنة، إلا أن يوديهيشتير أصر على ذهاب الكلب الذي صاحبهم في رحلته معه مع أن إندرا رفض ذلك مرارًا وتكرارًا، إلا أن يوديهيشتير أصر على رأيه قائلًا: "أنا لن أتخلى عن هذا الكلب الذي أخلص لي ولو عرضت علي جنات النعيم، فأنا لن أعرض وأشيح عن نداء خائف أو محتاج" [376].

– يقول غاندي: لا يستثني حبي أحدًا لا يمكنني أن أحب المسلمين أو الهندوس وأكره الإنجليز، لأنني لو أحببت الهندوس والمسلمين فقط لأن طريقتهم ترضيني، فإنني في القريب قد أكرههم إذا أصبحت أستاء من طريقتهم، وهو ما يمكن أن يحدث في أية لحظة، إن الحب الذي ينبني على أن نحب من نرى فيهم الخير والصلاح فقط هو حب التجارة[377].

---

[376] Narasimhan, Chakravarthi V, The Mahabharata, p209. .571-570 مهابهارات سمپورن اتهاره پرو,

[377] Mahatma Gandhi, Fischer, Louis ed, The Essential Gandhi, Random House, New York, 1962, p193.

ويقول أيضًا: لكي تعرف روح الحقيقة الكونية السارية وجهًا لوجه عليك أن تكون قادرًا على أن تحب أصغر المخلوقات كما لو كان نفسك[378].

2- العفو ومقابلة السيئة بالإحسان: إن من أعظم الأخلاق التي جاء بها الإسلام وأكد عليها هي مقابلة الإساءة بالإحسان، امتثالًا لقوله تعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ"[379]، وقوله تعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ"[380]، ولهذا الخُلق منزلة سامية لا يبلغها كل إنسان، لأن مقابلة الإساءة بالإحسان تتطلب امتلاك زمام النفس، وكظم الغيظ، ومخالفة هوى النفس في الانتقام ومحبة الانتصار، فمن ينال هذه المرتبة هم من قال عنهم الله تعالى: "وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"[381].

ومقابلة السيئة بالإحسان من أخلاق الرسول ﷺ، عن أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة _رضي الله عنها_ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: "لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"[382].

وبالمثل تحث الهندوسية على مقابلة الإساء بالإحسان من خلال العديد من النصوص:

- عندما انتصر راما على رافان طلب براهما من داشرات أن ينزل إلى الأرض ويقابل راما، فنزل وقابل راما، وطلب داشرت من راما أن يطلب منه أمنية وسيحققها له، فطلب منه راما أن يعفو عن

---

[378] Mahatma Gandhi, “My Mission”, p65.

[379] سورة المؤمنون: 96.

[380] سورة فصلت: 34.

[381] سورة فصلت: 35.

[382] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم الحديث (2016)

بهارت وعن كايكيي[383]. على الرغم من أن كايكيي كانت السبب في ابتعاد راما عن وطنه وبيته وعائلته وأمه، وكانت السبب في قضائه هو وزوجته وأخيه أربعة عشر عامًا في الغابة ليعيش حياة الزهاد، بالإضافة إلى أنها كانت السبب غير المباشر في خطف زوجته سيتا، أي أنها كانت السبب في كل المصاعب التي تعرض لها راما وزوجته إلا أنه أحسن إليها وعفا عنها، ولم يكتفِ بذلك حتى أنه طلب من والده أن يسامحها، فلم ينسَ فضلها في أنها زوجة والده وأمه.

– أثناء إقامة الإخوة باندو في الغابة أراد دريودهن الاحتكاك بهم حتى يجعلهم يشعرون بالغيرة من حاشيته وجنده، وحتى تشعر دروبتي بالغيرة من زوجاته وبناته، لأنهم كانوا يعيشون حياة النساك والفقراء، وأثناء ذلك وقع في أسر ملك قوات السماء (شيترسين)، فاستنجدت قوات دريودهن بأبناء باندو، ففي حين زمجر بهيم قائلًا أنه يستحق ذلك جزاءً لما فعل، قاطعه يوديهيشتير ناصحًا أن هذا ليس وقت إظهار الحقد والغضب، فلا يجب عليهم رد الإساءة والانتقام منهم، والتغاضي عن مساعدة ونجدة من لجأوا إليهم، فالعداوة أمر وراد في كل عائلة، وهم بينهم وبين أنفسهم مائة ضد خمسة، ولكنهم على الغريب مائة وخمسة، ثم طلب من إخوته التوجه ومساعدة القوم وتحرير دريودهن وأسرته وأُسر الجنود من أسر جنود السماء[384].

---

[383] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “The Coronation”.

[384] مهابهارات سمپورن اثهارهـ پرو، ص109–112.

على الرغم من كل الظلم والطغيان الذي ارتكبه دريودهن في حق الأخوة الخمسة إلا أن يوديهيشتير لم يتردد في تقديم المساعدة لهم عندما لجأوا إليهم، كما أكد على ضرورة التعاون والتكافل عند مواجهة عدو خارجي على الرغم من الخلافات.

3- تحقيق العدالة: يحرص الإسلام على أن ينال كل شيء خَلقه وكَرّمه حقه دون تفريق، والعدالة مبدأ من مبادئ الإسلام يحكم جميع جوانب الحياة، وتعد العدالة ركيزة أساسية في البناء الحضاري وفي البناء المجتمعي وفي التشارك والتعايش مع الآخر، قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ"[385]، وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"[386].

فالعدالة في الإسلام مشروع حضاري ذو أبعاد أخلاقية وإنسانية، ولا يمكن إقامة أي مشروع حواري أو حضاري إلا إذا كان منطلق ذلك المشروع هي العدالة، التي خلقت البشرية من أجل تحقيقها وتطبيقها بين البشرية.

الهندوسية ديانة وضعت العدالة قيمة أساسية من قيمها، وهي قيمة حثت الهندوسي على العيش في ظلها، وأن يشعر بها كبينة أساسية في نظامها عند التعامل مع الآخر ومع ما حوله من مخلوقات.

- لم ينس راما أن الهدف من تجسيده هو تدمير رافان الشيطان الشرير، لنشر السلام والعدالة والمساواة في البشرية[387]، لذلك أصيب راما بصدمة وشعر بالخزي عندما قتل رافان؛ لأنه رأى ندبة

---

[385] سورة النحل: 90.

[386] سورة المائدة: 8.

[387] The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic, “Encounters in Exlie”.

على ظهره، حيث اعتقد أنه أطلق سلاحه على شخص حاول الانسحاب وكان يدير ظهره إليه، وشعر بالقلق الشديد من ذلك، حتى أوضح له فيبيهيشان أنها ندبة قديمة[388].

شعر راما بالقلق لإيمانه أنه ليس من العدالة أن يطلق على شخص أدار ظهره له، والذي قد يكون بسبب أنه أراد الانسحاب من القتال، وهذا يدل أن العدالة تقتضي عدم قتل إنسان أعزل أو قتل إنسان أو معاملته بعنف في حال لم يكن يريد ذلك الإنسان القتال معك أو كان يريد الانسحاب.

– قال بهيشم ينصح يوديهيشتير: لا ينبغي لأي شخص (الملك) أبدًا أن يخضع الأرض بوسائل غير صالحة وعادلة، حتى لو كان هذا النصر سيجعله ملكًا على كل الأرض، أي إنسان سيفرح بعد الحصول على النصر بطرق غير عادلة؟ النصر الملطخ بالإثم والخطيئة لا يدوم ولا يبلغ السماء [389].

يقر النص عددًا من المبادئ أهمها العدالة، فالدولة القائمة بالظلم لا تدوم أبدًا؛ لأنها ستكون عرضة للسقوط، كما يوضح مبدأ ضرورة السلام، فالسلام هو الوجه الآخر للعدالة، فحينما تحل العدالة يحل السلام، بالإضافة إلى أنه يقر مبدأ اللاعنف حيث يقر على أن الدولة والملك الذي يتم تأسيسه على دماء الآخرين وآلامهم ودموعهم لن يدوم طويلًا، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن أفضل مثال على ذلك هو فرعون، يقول تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ

---

[388] Ibid, “Rama and Ravana in Battel”.

[389] The Mahabharata, V 3, Book, 12, Section XCVI.

أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"[390]، فكانت عاقبته أن دمره الله تعالى هو وقومه، يقول تعالى: "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ"[391].

– في تفسير قول كريشنا: بعد أن عرفت الاتزان بين اللذة والألم، وبين الخسارة والربح، وفي النصر والهزيمة، انطلق الآن للحرب، وهكذا لن ترتكب الخطيئة[392]، يقول المهاريشي: بعد أن شرح كريشنا لأرجون أنه المكتسب سواءً انتصر أو انهزم، يحثه على الانطلاق للقتال، لأنه بالقتال سيحمي نفسه من الوقوع في الذنب، أما إذا امتنع عن ذلك فسوف يرتكب الخطيئة والذنب[393].

يبين التفسير السابق أن تحقيق العدالة والقتال من أجل العدالة واجب على أفراد المجتمع، والامتناع عن ذلك يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في الخطيئة، فبعد أن كان أرجون مقتنعًا أنه بالقتال سيرتكب خطيئة وذنب، أدرك الآن أنه إذا لم يقاتل ويدافع عن الحق والعدالة سيرتكب الذنب، ولا شك أن الحرب ستخلف الدمار، ولكن إذا حكم دريودهن الشعب وأصبح الملك فإن ذلك سيؤدي إلى دمار أكبر، بسبب طغيانه وسوء خلقه.

– وفي تفسير "بشكل مفاجئ" في الفقرة: ومن ثم انطلقت بشكل مفاجئ الأبواق والمزامير والطبلات والدفوف والطبول، وكان الصوت رهيبًا[394]، يقول المهاريشي ماهيش يوغي: إن هذه العبارة تشرح كيف أن الطبيعة مرنة للغاية في نمو الخير أو الشر، ولكن عندما يزيد الأمر عن حده ويفيض فإنه ينفجر،

---

[390] سورة القصص: 4.

[391] سورة القصص: 40.

[392] Bhagavad Gita, 2:38.

[393] Bhagavad Gita Chapters1-6- P114.

[394] Bhagavad Gita,1: 13.

بحيث إن الطبيعة لا تتحمل الشر العظيم، فزئير بهيشم المصاحب لصرخات وأصوات جيشه هو إعلان عن النقطة المتفجرة التي وصلت إليه شر دريودهن ومن معه، بحيث يدل ذلك على أن نهايتهم اقتربت[395].

لقد نتجت حروب كثيرة على مر التاريخ بسبب اضطهاد الأبرياء، حيث يمارس بعض الأفراد طغيانهم وظلمهم على بعض أفراد المجتمع دون أن يتوقعوا أن هذا الظلم سيؤدي إلى الانفجار الذي سيقضي على ظلمهم، فكل شخص يحصد ثمار أفعاله، وهذا ما تثبته الكثير من الثورات والحروب على مر التاريخ، كثورة مارتن لوثر، وثورة الهند، والثورة الفلسطينية عام 1936، وثورة 23 يوليو في مصر.

– يقول غاندي: عقيدة الخير الأعظم لأكبر عدد، أي من أجل السعي إلى تحقيق الخير لنسبة 51%، ينبغي التضحية بمصلحة 49%، هذه عقيدة بلا قلب تلحق الضرر بالبشرية، العدالة والعقيدة الإنسانية الحقيقة هي أعظم خير على الإطلاق، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال التضحية بالنفس[396].

4– إقرار مبدأ السلام: جاء الإسلام لينتزع العرب والبشرية من ويلات الحروب والعداء بما أرسل به من رسالة سامية هي بمنزلة هدًى ونورٍ للبشرية، من خلال نبي الرحمة ﷺ، وليس أدل على ذلك من أن لفظ السلم ومشتقاته ورد في القرآن مائة وأربعًا وأربعين مرة في، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[395] Bhagavad Gita Chapters 1-6, p35-36.

[396] Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi, V 55, P482.

ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً"[397]، كما أكد القرآن الكريم على أن سبيل الله تعالى هو السلام، قال تعالى: "يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ"[398]، بل تأكيدًا على أهمية مبدأ السلام سمى الله تعالى نفسه به، يقول تعالى: "هُوَ الله الّذِي لاَ إِله إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ السّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبّرُ سُبْحَانَ الله عَمّا يُشْرِكُونَ"[399]، وبرهان ذلك أيضًا أن الفقهاء عند حديثهم عن مسائل الحرب والسلام يعنونون باب ذلك بفقه السلم والحرب، حيث يكون السلم مقدمًا على الحرب؛ لأن السلم والسلام أصل الرسالة الإسلامية.

والهندوسية من الأديان التي حثت على السلم والسلام، والكتب المقدسة والأدب الهندوسي يزخر بالعديد من النصوص التي تحث على السلام.

– ليعطينا الجو السلام والأمان ولتكن هذه السماء والأرض آمنة لنا، أتمنى أن نكون أحرارًا من الخطر من الغرب والشرق وألا يكون هناك خوف من الشمال والجنوب[400].

– أتمنى أن تكون جميع العلامات المتنبئة للأحداث القادمة خالية من الاضطرابات وليثبت كل ما تم القيام به وما لم يتم القيام به مصدر السعادة للجميع، ليكن الماضي والمستقبل سلميين وليكرمنا جميعًا[401].

---

[397] سورة البقرة: 208.

[398] سورة المائدة: 16.

[399] سورة الحشر: 23.

[400] Atharva Veda 19: 15: 5.

[401] Atharva Veda 19: 9: 1.

– اقترح بهيشم الذي عرف بالنزاهة والعدل ورجاحة الرأي، والحكيم دريودهن والوزير والمستشار فيدور على دريهتراشتر بعد زواج دروبتي: يجب عليك أيها الملك أن تقوم باستدعاء أبناء باندو وتعطيهم نصف المملكة، حتى تضمن بذلك السلام والمحبة بين أبناء العمومة، وتتجنب العنف وتحفظ وترسي دعائم السلام في الشعب والوطن[402]. لقد كانت هذه الواقعة بعد أن حاول دريودهن قتل بهيم عن طريق السم، وبعد أن حاول أن يقتل الإخوة الخمسة ووالدتهم حرقًا في القصر، ولذلك كان هذا الاقتراح من ذوي العقول الراجحة للملك تجنبًا لأي فعل قد يعكر صفو السلام، وحتى يشعر الإخوة الخمسة أنه بمنحهم هذه المملكة قد حقق الملك لهم العدل.

– أخبر بهيشم يوديهيشتير عن واجبات الدولة والملك، وعن وضرورة وجود ملك قائلًا: "المملكة التي تسود فيها الفوضى تصبح ضعيفة وسرعان ما ينتشر فيها اللصوص، ولا مكان للحق والبر في الممالك التي مزقتها الفوضى، حيث السكان يلتهمون بعضهم، الفوضى هي أسوأ ما يمكن أن يصيب الدولة، لا ينبغي لأحد أن يسكن في ممالك مزقتها الفوضى، وإذا اقترب ملك عادل قوي يريد أن يضم مملكة عمتها الفوضى إلى سيادته، فيجب على الشعب أن يمضي قدمًا ويستقبله[403]. يوضح النص ضرورة تحقيق السلام وانتشاره حتى يستطيع البشر أن يعيشوا حياتهم كما ينبغي، فانتشار الفوضى وغياب السلام يؤدي إلى انتشار الظلم وسلب لحقوق الضعفاء والفقراء.

---

[402] Narasimhan, Chakravarthi V, The Mahabharata, p40-41.

[403] The Mahabharata V 3, Book, 12, Section, LXVII.

– في تفسير الفقرة: وأسفاه، نحن نصمم على اقتراف خطيئة فظيعة، باستعدادنا لقتل أقربائنا نتيجة للطمع بالمملكة[404]، يشرح المهاريشي ذلك قائلًا: يشعر أرجون بالحزن لأنه يشعر أنه سيضحي بعائلته ومجتمعه من أجل واجبه (دهارما) الذي يجب عليه الوفاء به، وسبب شعوره بذلك لأنه يعلم أن الله خلق الأرض وخلق فيها البشر ليتعاونوا فيما بينهم من أجل تطورها ورقيها، من خلال أداء كل فرد وعائلة ومجتمع واجبه نحو بعضهم ونحو المجتمع والكون[405].

يبين التفسير السابق شعور أرجون بعظم الخطيئة التي سيرتكبها من خلال الحرب التي ستؤدي به إلى دمار المجتمع وهو ذنب عظيم، كما يبين أن البشر جميعهم على الأرض خلقهم الله ليقوم كل إنسان بدوره فيها من أجل المحافظة عليها ومن أجل رقيها وإعمارها، فهو مشروع تعاوني يضمن السلام في المجتمع وفي الكون.

"ليحمينا (الكائن الأسمى) كلانا، معلمين ومعلمين.

ليكن راضيا عنا. أتمنى أن نكتسب القوة.

أتمنى أن تجلب لنا دراستنا الإضاءة. آمل ألا يكون هناك عداوة بيننا

أوم، السلام، السلام، السلام"[406].

هذه بعض أهم القيم في الفكر الهندوسي التي يمكن الاعتماد عليها في تفعيل الحوار الديني الإسلامي الهندوسي، وكما ذكرنا _سابقًا_ يمكن أيضًا الاعتماد على القيم التي وردت في المبحث الأول من

---

[404] Bhagavad Gita, 1: 45.

[405] Bhagavad Gita Chapters 1-6, P70.

[406] Katha Upanishad, Peace Chant and 2:3-19.

الفصل الثاني فهي تتداخل مع بعضها البعض، حيث إنها تفسر وتبين قيمًا يمكن من خلالها التعامل مع الآخر للتعايش والتشارك معه.

خاتمة:

بعد معالجة موضوع الآخر في الهندوسية من الناحية الفكرية والدينية والتاريخية والاجتماعية، توصلنا إلى النتائج الآتية:

– تفتقر الهندوسية إلى منهجية واضحة موحدة في العلاقة مع الآخر الديني، وهذا ما يبرر وجود العنف عند بعض التيارات الدينية، خاصة الهندوسية القومية (الهندوتوا) التي تتخذ من الدين وقودًا إيديولوجيا للترويج لخطاب الإقصاء ضد الآخر.

للأسف رغم وجود الدعوة للاعنف في الهندوسية ونصوصها المقدسة وفي خطابات بعض المصلحين الذين ظهروا على مر التاريخ، إلا أن الواقع يبقى بعيدًا عن التفاؤل بخصوص تقبل الآخر والتعايش معه، والتعامل معه بحب وعطف دون النظر إلى دينه وجنسه.

– لا يعتبر الآخر في الهندوسية من لا ينتمي إلى الهندوسية فقط، وإنما أصحاب الطبقات الدنيا يعتبرون آخرون ويعاملون بعنصرية واضطهاد.

– فهم الآخرين والتعايش معهم هو مفهوم حيوي في مجتمع متعدد الثقافات، وهو أمر لا بد أن يتم بأسلوب أخلاقي وحضاري لا يتضمن الهجوم على الآخر بأي شكل من الأشكال، كما أنه لا يعني أبدًا التساهل أو التنازل عن المبادئ والمعتقدات.

– تسعى الهند بعد الاستقلال إلى إحياء الثقافة والقومية الهندوسية على حساب الثقافات والأديان الأخرى وخاصة الإسلام، وتحمل بين طياتها دعوة للقضاء على الدين الإسلامي، حيث تدعو إلى هدم

أصول وقواعد وثوابت الإسلام، والاعتراف والتمسك بالتعاليم الهندوسية، استنادًا إلى تقييم غير موضوعي لحكم المسلمين للهند.

– لم تفلح دولة الهند العلمانية "والديمقراطية" في تحقيق أهدافها، بل لم تفلح في تطبيق دستورها، فالمساواة منعدمة بين أصحاب الديانات المخالفة وبين أتباع الهندوسية، والدليل على ذلك ما يعاني منه المسيحيون والمسلمون من عنف واضطهاد وكراهية دون وجه حق.

– قبول التعددية في الإسلام دليل على السماحة والعدالة في الإسلام، واعترافه أن الاختلاف طبيعة كونية، ولا تعني هذه السماحة والعدالة الاقرار بصحة عقائد وأفكار الآخر، ولكن لا يجب اجباره على تغيير معتقده، فكل إنسان حر فيما يعتقد ويؤمن به.

– وجود الأخلاق في دين ما لا يجب أن يكون مدعاة إلى الاستغناء عن الدين وعقائده وشرائعه، كما حدث مع الإسلام في الهند، فالقبول الواقعي لأخلاق وقيم دين آخر لا يعني بأي حال من الأحوال اعتناقها والتنكر لعقائد وشرائع الإسلام، بل اعتراف بحق الآخر في أن يعيش وفق دينه وثقافته.

التوصيات:

– الاهتمام دراسة الهندوسية في جميع جوانبها، وإعداد خبراء في هذا المجال لما للهندوسية أثر وأهمية كبيرة في العصر الحاضر.

– تشجيع ترجمة الكتب والنصوص الهندوسية المقدسة، والذي من شأنه أن يعمل على إثراء المكتبة العربية بالأبحاث في هذا المجال.

– ضرورة العودة إلى النصوص المقدسة الهندوسية وتفاسيرها لبيان الآخر في الهندوسية.

– عدم إغفال الجانب العقدي عند دراسة الهندوسية والأديان الشرقية، لتحصين الجيل الجديد من الخلط بين الأديان ووقايته من تبعات الأفكار التي تحاول زرع العنصرية والكراهية ضد الآخر.

– مد المكتبة الإسلامية بالعديد من الأبحاث والدراسات التي تتولى الرد على ما تدعو إليه الهندوسية القومية، بالإضافة إلى الأبحاث والدراسات التي تبين علاقة وصورة الآخر في الهندوسية والإسلام والمسيحية.

– مد المكتبة الإسلامية بالأبحاث التي تعزز الحوار والتعايش، وتبحث في الحلول والآليات المناسبة للتحديات التي يواجهها الحوار الديني، والتي يجب أن تكون قابلة للتطبيق.

– إخراج الحوار الإسلامي الهندي من جدلية الحوار إلى صياغة سلوك وواقع عملي.

وأخيرًا، – على المسلمين عدم الغفلة عن الدعوة إلى الله تعالى في كل مكان وزمان، لأن الدعوة إلى الله هو دفاع عن الإسلام والمجتمع الإسلامي، لأن ذلك يكسب المجتمع الإسلامي أعضاء آخرين

يدافعون عن الإسلام، ويكسبون المجتمع الإسلامي دعم معنوي، وأيضًا إذا لم ينشغل المجتمع الإسلامي بالدعوة إلى الله وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه سيجد آخرين يدعونهم إلى عقائد أخرى أو يحاولون تشويه أفكارهم ومعتقداته.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- الكتب:

- القرآن الكريم.

- الأعظمي، محمد ضياء، دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، مكتبة الرشد، ط2، 2003م.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج4.

- أحمد، غازي، مأساة شاب هندوسي اعتنق الإسلام، (ترجمة: نور عالم خليل)، مكتبة شمس، رياض. دار الصحوة: القاهرة، ط1، 1990م.

- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، 1995م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

- براساد، راجندر، عند قدمي غاندي، تر: منير البطبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1959م.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سبيمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.

- بنسالم حميش، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2019م.

- البيروني، محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، ط2، 1983م.

- البيهقي، أبو بكر أحمد، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.

- تارا شند، أثر الإسلام في الثقافة الهندية، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط1، 2016م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد، درا الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

- الرامايانا الهندية: ملحمة الإله راما، ترجمة: دائرة المعارف الهندية، مراجعة: محمد سعيد الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، د.ت، 2007م.

- رينيه جينو (الشيخ عبد الواحد يحيى)، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية والهندوسية بوجه خاص، تر: عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

- الزين، مصطفى، الحقائق الروحية: مختارات من راما كريشنا، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2002م.

- السفيري، شمس الدين، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

- ظفر الإسلام خان، حركة القومية الهندوسية وكيف غيرت الحياة السياسية الهندية وهمشت مسلمي الهند، Pharos Media & Publishing Pvt Ltd, New Delhi، ط1، 2022م.

- لوبون، غوستاف، حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، 2017م.

- لويس، دومون، مقالات في الفردانية: منظور أنثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة، ترجمة: بدر الدين عردوكي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2006م.

- مصلح النجار وآخرون، الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الكولونيالية، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م.

- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، 1991.

- النمر، عبد المنعم، كفاح المسلمين في تحرير الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1990م.

- النمر، عبد المنعم، مولانا أبو الكلا آزاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

- نهرو، جوهر لال، جوهر لال سيرته بقلمه، مكتبة الأنجلو المصرية، 1940م.

- نومسوك، عبد الله مصطفى، البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، 1999م.

- همايون، كبير، التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث، (ترجمة: البروفيسور ذكر الرحمن)، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، ط1، 2010م.

2- المجلات:

- مجلة ثقافة الهند، مارس، يونيو 1958.

ثانيًا: المصادر باللغات الأجنبية:

1- المصادر والمراجع باللغة الأوردية.

- أفق لكهنوى، منشى دواريكا پرساد، والميكى رامائن، لالہ رام دتہ مل اينڈ سنز تاجران كتب، لاہور.

- انند، سوامى اڑگڑ، شرى مد بہگود گيتا: يتارتھ گيتا، شرى پرم ہنس آشرم شيكتس گڑھ مقام وبوست، اتر پرديش.

- جگرانوى، كرپا رام شرما، منو سمريتي، پريس دهلى.

- حسين، سيد عابد، قومى تہذيب كا مسئلہ، انجمن ترقى اردو، على گڑھ، 1955م.

- ذاکر نائیک، خطبات ڈاکٹر ذاکر نائیک، طاہر سنز پبلیشرز، لاہور، 2007.

- سندر لال، گیتا اور قرآن، سندر لال سیکریٹری ہندستانی کلچر سوسایتی الہ أباد، 1941.

- سوامی وویکانند، نعرۂ حق، رامکرشن مشن، نئي دلهي، ط1، 1963م.

- الندوي، أبو الحسن علي، ہندوستانی مسلمان، مجلس تحقیقات و نشریات اسلامك، لکھنؤ، 1967م.

- وياس، وید، مہابہارات سمپورن اٹھارھ پرو، گرگ اینڈ کو تھوک کتبخانہ: دلہی.

2- المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية.

- Aiyar, B.V. Kamesvara, The Purusha Sukta, G.A. Natesan, Madras, 1898.

- Ambedkar, B. R., Who were the Shudras?, Delhi Open Books- 2021

- Ambedkar, B.r., Writings and Speeches, Dr. Ambedkar Foundation, New Delhi, 2014, Vol 8.

- Ambedkar, B.R, The Annihilation of Caste, Why social reform is necessary for political reform.

- Ambedkar, B.R.,The Annihilation of Caste- A Vindication Of Caste By Mahatma Gandhi.

- Atharva Veda, Sri Aurobindo Kapali Shasrty Institute of Vedic Culture, Banglore.

- Bhagavad Gita, yogaVidya.com, 2007.

- Bhandarkar, Devadatta Ramkrishna, Foreign elements in the Hindu population, Dept. of Ancient Indian History and Culture, University of Calcutta, Calcutta, 1968.

- Bonner, Michel, Aristocratic violence and Holy war: Studies in the Jihad and the Arab-Byzantine Frontier, American Oriental Society, 2013.

- Brian K, Pennington, Was Hinduism invented?, Oxford University Press, Oxford, 2005.

- Chakravorty, Sanjoy, The Truth About us: The Politics of Information from Manu to Modi, Hachette India, 2019.

- Chatterjee, Bankim Chandra, Anandamath, Translation: Sri Aurobindo and Barindra Kumar Ghosh, Auro e Books, 2016.

- Cole, Rebert E., "Functional Alternatives and Economic Development: An Empirical Example of Permanent Employment in Japan", American Sociological Review, 1973.

- Deshpande. V.G, Why Hindu Rashtra? A Summary of Speech Delivered by Prof. V. G. Deshpande, Hindu Mahasabha. New Delhi, 1949.

- Focus, "Patterns in Hate Crimes Against Indian Christians", March 2022.

- Gandhi Literature: Collected Works of Mahatma Gandhi.

- Gandhi, M.k, Harijan Sevak Sangh Magazine, 10 August 1947.

- Ghouse, Mohammed, Secularism Society and Law in India, Vikas Publishing House, Delhi, 1973.

- Ghosh, S.K, Muslims in India Democracy, Ashish Publishing House, New Delhi, 1984.

- Gold, Daniel, “Organized Hinduisms”: from Vedic truth to Hindu nation”, In: Marty, Marten E. and Appleby, R. Scot, Fundamentalisms Observed, University of Chicago, 1994.

- Golwalkar, M. S, We or Our Nationhood Defined, Bharat Publications, Nagpur, 1939.

- Golwalkar, M.S, Bunch of Thoughts, Sahitya Sindhu, Bangalore, 1996.

- Griffith, Ralph T.H, Ramayan of Valmiki, E.J. Lazarus, Benares, Luzac and Co. London, 1895.

- Harper, Susan Billington, In the Shadow of the Mahatma, Routledge, London and New York, 2019.

- Hiltermann, Joost R., A Poisonous Affair: America, Iraq, and the Gassing of Halabja, Cambridge University Press, Cambridge UK, 2007.

- Human Ri Justice ghts Watch, India: Politics by other means: Attacks Against Christians in India, October 1999, Vol 11, No. 6C.

- Human Rights Watch- Broken People: Caste Violence Against India’s “Untouchables”- New York, Washington, London, Brussels- 1999. All India Mahila Adhikar Manch (AIDMAM)- Dalit Women Rise for Justice- 2021.

- Husaain Khan, Masud, “Special Number Problems of Muslims In India, The Aligarh Magazine, Muslim University Aligarh, Aligarh, 1984.

- Ilaiah, Kancha, Why I am not a Hindu, 16 Southern Avenue, Calcutta, 1996.

- Kakar, Sudhir, The Colors of Violence: Cultural Identities, Religion, and Conflict, University of Chicago Press, Chicago, 1996.

- Kapila, Shruti and Devji, Faisal, Political Thought in Action: the Bhagavad Gita and Modern India, Cambridge University Press, UK Cambridge, 2013.

- Katha Upanishad, Peace Chant.

- Keer, Dhananjay, Veer Savarkar, Popular Prakashan, Bombay, 1988.

- Maharishi Mahesh Yogi, Bhagavad Gita Chapters 1-6, Penguin Books, 2nd ad, 1967.

- Mahatma Gandhi, Fischer, Louis ed, The Essential Gandhi, Random House, New York, 1962.

- Mahatma Gandhi, “My Mission” Yong India (3 April 1924), in Brown. Judith M, ed, Mahatma Gandhi: Essential Writing.

- Mahendra Nath Gupta, Sri Ramakrishna Kathamrita, 2007.

- Majumdar, R. C., History of the Freedom Movement in India, Firma KL Mukhpadhyay, Calcutta, 1971, Vol 1.

- Majumdar, R. C., Three Phases of India's Struggle for Freedom, Bharatiya Vidya Bhavan, Bombay, 1961.

- Muslim India, July, 1984.

- Muslim India, September, 1984.

- Nadwi, Abul Hasan Ali, Appreciation and Interpretation of Religion in the Modern Age, Tr. Husain, Athar, Academy of Islamic Research & Publications, Lucknow, 1982.

- Narasimhan, Chakravarthi V, The Mahabharata, First India Edition, Delhi, 1999.

- Narayanan, R K, The Ramayana a Shortened Modern Prose Version of the Indian Epic Penguin Books, 2006.

- Nehru, Jawaharlal, The Discovery of India, Meridian Books Limited, London- 1956.

- National Crime Records Bureau, Ministry of Home Affairs, Government of India- Crime in India, 2020- 9\2021- Viewed: 8\9\2022.

- Office of International Religious Freedom, 2021 Report on International Religious Freedom: India, 2\6\2022.

- Panikkar, K.M, The Foundation 0f New India, Aakar Books, 2019.

- Panikkar, Raimon, The Intrareligious Dialogue, Paulist press, 1999.

- Pew Research Center, The Future of World Religions: Population Growth Projections, 2010-2050, "Change in Countries with Largest Hindu Populations", 2\4\2015.

- Radakrishnan, S., Indian Philosophy. Oxford University Press, 2nd, 2008.

- Raghwa, G.N.S., Discovering the Rigveda a Bracing text for our Times, Kalpaz Publications, Delhi, 2009.

- Ramakrishna, Tales and Parables of Sri Ramakrishna, 1st ed., 2nd ed., 1943, 1947.

- Report of the National Commission for Religious and Linguistic Minorities, Ministry of Minority Affairs, New Delhi, 10\5\2007.

- Richard King, Orientalism and religion, Routledge, London, 2006.

- Rig Veda, Translation: Wilson, H. H, 1866.

- Savarkar, Vinayak Damdar, Hindutva, S.S Savarkar, Bombay, 1969.

- Shamsul Islam, Hindutva; Myth and reality, 25\2\2020, Introduction.

- Shastri, J. L., The Shiva Purana, Translation: Board of Scholars, Motilal Banarsidass, Delhi, Patna, 1950.

- Stephanie W. Jamison, and Joel P. Brereton, The Rigveda: The Earliest Religious Poetry of India, Oxford University Press, Oxford New York, 2014.

- Sudheer Deshpande, H R Nagendra, and Raghuram Nagarathna, “A randomized control trial of the effect of yoga on Gunas (personality) and Self esteem in normal healthy volunteers”, International Journal of Yoga, JanK Jun 2009.

- Swami Mukundananda, Bhagavad Gita the Song of God.

- Swami Saradananda, Sri Ramakrishna The Great Master, Tr: Swami Jagadananda, Sri Ramakrishna Math, Madras, 1952.

- The Constitution of India, Article 343 (1), 1949.

- The Mahabharata of Krishna, Dwaipayana Vyasa, Translation: Krishan Mohan Ganguli, 2003.

- Tisserant. E, Eastern Christianity in India, Orient Longman, London, 1957.

- United Christian Forum, Sc To Hera Plea on Hate CRMES Against Christian on First day of Court Reopening, New Delhi, 10\7\2022.

- Upanisads, Tr: Patrick Olivelle, Oxford University Press, New York, 1996. Brhadaaranyaka Upanishad.

- Vivek Ananda, Complete Works of Swami Vivekananda.

- Yajur Veda, Sri Aurobindo Kapali Shasrty Institute of Vedic Culture, Banglore.

-

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

- https://2u.pw/umcynHq
- https://2u.pw/ue7oYA
- https://2u.pw/tj8gWs
- https://2u.pw/pbYXd0
- https://2u.pw/rk48PZ
- https://2u.pw/0rECEj
- https://2u.pw/zM3E1X
- https://2u.pw/W89zD6
- https://2u.pw/8cWZ2T
- https://2u.pw/CgOLFS
- https://2u.pw/or4pOU
- https://2u.pw/H92cdk
- https://2u.pw/0E0i9t
- https://2u.pw/55rNZH
- https://2u.pw/fFRl39
- https://2u.pw/MmbZ44
- https://2u.pw/Oxh24w
- https://2u.pw/B2nwd6
- https://2u.pw/qxNf1q
- https://2u.pw/q39lPjs
- https://2u.pw/W4awwM
- https://2u.pw/HNqhQ3
- https://2u.pw/x15rfc
- https://2u.pw/GFgmkGl
- https://2u.pw/UlDxLF
- https://2u.pw/E8ydZj
- https://2u.pw/dnrGzl
- https://2u.pw/tvUUfr
- https://2u.pw/eelheH
- https://2u.pw/EC5v4l
- https://2u.pw/l8ooxK

- https://2u.pw/24P5Lt
- https://2u.pw/XVPElj
- https://2u.pw/un6p32
- https://2u.pw/TKaK8l
- https://2u.pw/xJ75eN
- https://2u.pw/P6Oxak
- https://2u.pw/NZWCCtA
- https://2u.pw/gOzUqq
- https://2u.pw/2w1ZLY
- https://2u.pw/rCphQP
- https://2u.pw/uVjFT9
- https://2u.pw/KcqyQC
- https://2u.pw/URRlWP
- https://2u.pw/Gd09Xcu
- https://2u.pw/TNlVu1q
- https://2u.pw/Cl0TNs
- https://2u.pw/C9LOPi
- https://2u.pw/AjV3lK
- https://2u.pw/PZhke
- https://2u.pw/5VGGju
- https://2u.pw/b8Fp6l
- https://2u.pw/sYdoMl
- https://2u.pw/nUJWYt
- https://2u.pw/8hxO0g
- https://2u.pw/lSKdsi
- https://2u.pw/ikQgg4
- https://2u.pw/ATmAPc
- https://2u.pw/m4yXza
- https://2u.pw/XTgHEA
- https://www.youtube.com/watch?v=B289qzvn_nY
- https://2u.pw/yz5Zys

- https://2u.pw/h3QGsJ
- https://2u.pw/nCRJ52
- https://2u.pw/lZBY3M
- https://2u.pw/f7gs57
- https://2u.pw/0Ly6IN
- https://2u.pw/DNxs22
- https://2u.pw/JDPj